ﷺ

ﷺ إلى ﷺ

ﷺ محمود وخلود ﷺ

ﷺ نفحات من أحاديث ﷺ

ﷺ سيد الوجود ﷺ

ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ

ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ

بقلم

ناصر الدين

الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العليم الصبان

رئيس قسم الحديث

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالزقازيق - فرع جامعة الأزهر

الجزء الأول

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥/٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الر حيم

إهـــــــــداء

إلى الحبيب الشهيد الصغير / أحمد حازم موسى
ابن السنة الر ابعة من المرحلة الابتدائية
والذى اختتفه الموت فى هذا الشهر الفضيل
و لقد كان حبيبا لى ولزوجتى ولولدى مهيب
ولقد ذكرنى استشهاده باستشهاد صديقى
/ محمد عبد الرحمن مهدى فى مثل سنه يومها
والذى كانت وفاته سببا فى تغيير مجرى حياتى كلها
والآن تجدد الذكرى يا أحمد
فعليك وعليه وعلى كل مسلم ومسلمة الرحمة والرضوان
وأعان والديك على الصبر على فراقك
فمثلك لاينسى وها أنا أبقى على ذكراك فى كتابى حتى
لاأنساك أبدا
عمك المحب للأبد

أد/ عبد الله عبد العليم الصبان
رئيس قسم الحديث بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالزقازيق

يوم السبت ليلة السابع والعشرين من رمضان ١٤٢٦هـ -
٢٩/١٠/٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين سيدنا محمدصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

وبـــعـــــــد

هو أسلوب جديد فى شرح الحديث النبوى وتطلب فهمه
تركت من أجله الشرح الكثير لثقتى فيمن يقرأ
ومدى تصوره وإدراكه لما يقرأ
وأخذ شكل السؤال والجواب ليسهل فهمه وتحتوى عباراته ،
و قد أسميته
(إلى محمود وخلود نفحات من أحاديث سيد الوجود صلى الله عليه وسلم)
وأعنى بمحمود كل شاب لبيب رشيد من شباب أمة الإسلام
وأعنى بخلود كل فتاة تؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد رسولا
حيث إن عماد الحياة هو الشباب من الجنسين
ولذا كانت الأحاديث محاطة بالأسئلة والإجابة عليها
وهى باقة من نفحاته التى عطرت وتعطر الكون على مر الزمان
نرتشف من معينها، ونستنشق شذاها
ونترسم فى خطانا ماتهدف إليه
حتى نصل إلى الحق على طريقة سيد الخلق
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

بقلم
ناصر الدين
الشيخ الدكتور / عبد الله عبد العليم محمد على فرج الصبان
رئيس قسم الحديث بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

الحديث الأول

الـــديــن النـــصـيحـة

روى مسلم بسنده عن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال : (الدين النصيحة ٠ قلنا لمن ؟ قال :لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)صدق رسول الله ﷺ ٠

فضيلة الشيخ الدكتور / ماهو المعنى اللغوى لقوله الدين النصيحة ؟

نقول وبالله التوفيق : إن كلمة الدين تعنى مايدين به الإنسان وما يعتقده وتكون بمعنى الملة : ويقصد به ملة الإسلام ودين الإسلام ٠

وأما كلمة النصيحة : فكلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ،ويقال هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام وليس فى كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه وقالوا :إن النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب ، وهناك من قال :إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع فشبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط ٠قوله (الدين النصيحة ،قلنا لمن ؟)

فضيلة الدكتور هنا وقع استفهام من أصحاب النبى ﷺ نرجو من فضيلتكم توضيحه ؟

نقول وبالله التوفيق :الاستفهام الذى وقع من أصحاب الحبيب قصد به بيان حال المنصوح له حتى يتثنى لهم القيام بما كلفوا به و تسهل مهمته ٠

فضيلة الدكتور/ كيف تكون النصيحة لله ؟

نقول وبالله التوفيق : أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفى الشرك عنه وترك الإلحاد فى صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص فى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف فى جمع الناس أو من أمكن منهم عليها ٠ قال الخطابى : وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد فى النصحة نفسه فالله تعالى غنى عن نصح الناصح٠

فضيلة الدكتور/وكيف تكون النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى ؟

نقول: أماالنصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لايشبهه شيىء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه فى التلاوة والذب عنه لتأويل

المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه ٠

فضيلة الدكتور/ وكيف تكون النصيحة للرسول ﷺ ؟

نقول : أما النصيحة للرسول ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ماجاء به وطاعته فى أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وإعظام حقه وتوقيره وإحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر شريعته ونفى التهمة عنها واستثارة علومها والتفقه فى معانيها والدعاء إليها والتلطف فى تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم وإجلال أهلهاالانتسابهم إليها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع فى سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك ٠

فضيلة الدكتور/ وكيف تكون النصيحة لأئمة المسلمين ؟

نقول وبالله التوفيق : النصيحة لهم تكون بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وأعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم ٠ يقول الخطابى :ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لايغروابالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين وأن من نصيحتهم قبول ماروره وتقليدهم فى الأحكام وإحسان الظن بهم ٠

فضيلة الدكتور / وكيف تكون النصيحة لعامة المسلمين ؟

نقول **:**أما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة ، الأمرفإرشادهم لمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم فيعلمهم مايجهلونه من دينهم ، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ودفع المضار، عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم مايحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع

ماذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان فى السلف الصالح رضى الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه .

ولقد أبدع الإمام أبو حامد الغزالى عندما رد على تلميذ له يطلب منه النصيحة فأرسل إليه رسالة قيمة تعتبر نصحية غالية لكل مسلم ولذا أنا أنقلها هنا إتماما اشرح الحديث وهى رسالة أسماها (أيها الولد) حققها وقدمها الأستاذ ابراهيم محمد البطاوى ط دار الإنسان وهى كالآتى :

أيها الولد

اعلم أيها الولد المحب العزيز أطال الله بقاءك بطاعته، وسلك بك سبيل أحبائه، أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة عليه السلام، إن كان بلغك منه نصيحة فأى حاجة لك فى نصيحتى؟ وإن لم يبلغك فقل لى: ماذا حصلت فى هذه السنين الماضية ؟! .

أيها الولد :

من جملة ما نصح به رسول الله ﷺ أمته قوله : »علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وإن امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار، وفى هذه النصيحة كفاية لأهل العلم«

أيها الولد :

النصيحة سهل والمشكل قبولها، لأنها فى مذاق متبع الهوى مر، إذ المناهى محبوبة فى قلوبهم، على الخصوص لمن كان طالب علم مشتغلاً فى فضل النفس ومناقب الدنيا، فإنه يحسب أن العلم المجرد له سيكون نجاته وخلاصه فيه، وأنه مستغن عن العمل، وهذا اعتقاد الفلاسفة، سبحان الله العظيم !! لا يعلم هذا القذر أنه حين حصل العلم إذا لم يعمل به تكون الحجة عليه آكد، كما قال رسول الله ﷺ : »أشد الناس عذاباً يوم القيام عالم لا ينفعه علمه«.

أيها الولد :

لا تكن من الأعمال مفلساً، ولا من الأحوال خالياً، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ اليد [١]. مثاله: لو كان على رجل فى برية عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى وكان الرجل شجاعاً وأهل حرب، فحمل عليه أسد عظيم مهيب فما ظنك: هل تدفع الأسلحة

---

[١]- أى بيد صاحب العلم.

شره عنه بلا استعمالها وضربها؟ ومن المعلوم أنها لا تدفع إلا بالتحريك والضرب فكذا لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها، ولم يعمل بها، لا تفيده إلا بالعمل.
ومثله أيضاً : لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوى يكون علاجه بالسكنجبين والكشكاب فلا يحصل البرء إلا باستعمالها.

كرمى دو هزار رطل همى بسيمائى
تامى نخورى نباشدت شيدائى [٢]

ولو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً) ، (جزاء بما كانوا يكسبون) ، (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً) ، (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً).

وما تقول فى هذه الأحاديث : «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

الإيمان قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان. ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى ، وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه ؛ لكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته لأن رحمة الله قريب من المحسنين. ولو قيل أيضاً : يبلغ بمجرد الإيمان ، قلنا : نعم .. لكن متى يبلغ ؟ وكم من عقبة كئود ينتقلها إلى أن يصل ؟

أول تلك العقبات : عقبة الإيمان وأنه هل يسلم من سلب الإيمان أم لا ، وإذا وصل يكون خائباً مفلساً.وقال الحسن البصرى : يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة : «ادخلوا يا عبادى الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم».

---

[٢]- ترجم هذا البيت عن الفارسية شيخ الطريقة النقشبندية فى مصر المرحوم السيد أمين الكردى شعراً فقال :
لو كلت ألفى رطل خمر لم تكن   لتصير نشواناً إذا لم تشرب.

أيها الولد :

ما لم تعمل لم تجد الأجر ؛ حكى أن رجلاً من بنى إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة، فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة فأرسل الله إليه ملكاً يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق به دخول الجنة، فلما بلغه قال العابد : نحن خلقنا للعبادة، فينبغى لنا أن نعبده، فلما رجع الملك قال : إلهى .. أنت أعلم بما قال، فقال الله تعالى: إذا هو لم يعرض عن عبادتنا، فنحن – مع الكرم – لا نعرض عنه، اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له.

قال رسول الله ﷺ : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا» وقال على رضى الله عنه (من ظن أنه بدون الجهد يصل فهو متمن، ومن ظن أنه يبذل الجهد يصل فهو مستغن) وقال الحسن رحمه الله تعالى: (طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب) وقال : (علامة الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل).

وقال رسول الله ﷺ : «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع هواه، وتمنى على الله تعالى الأمانى».

أيها الولد :

كم من ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب، وحرمت على نفسك النوم، لا أعلم ما كان الباعث فيه؟ إن كان نيل عرض الدنيا، وجذب حطامها وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال: فويل لك ثم ويل لك، وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة النبى ﷺ، وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمارة بالسوء، فطوبى لك ثم طوبى لك، ولقد صدق من قال شعراً :

سهر العيون لغير وجهك ضائع

وبكاؤهن لغير فقدك باطل

أيها الولد

عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزى به.

أيها الولد :

أى شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف والطب والدواوين والأشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف غير تضييع العمر بخلاف ذى

الجلال، إني رأيت في إنجيل عيسى عليه الصلاة والسلام قال : من ساعة أن يوضع الميت على الجنازة إلى أن يوضع على شفير القبر يسأل الله بعظمته منه أربعين سؤالاً، أوله : يقول : عبدى .. طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظرى ساعة، وكل يوم ينظر فى قبلك يقول : ما تصنع لغيرى وأنت محفوف بخيرى أما أنت أصم لا تسمع ؟!

أيها الولد ...

العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون واعلم أن العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصى، ولا يحملك على الطاعة، ولن يبعدك غداً عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تدارك الأيام الماضية تقول غداً يوم القيامة: (فارجعنا نعمل صالحاً) فيقال : يا أحمق أنت من هناك تجيء.

أيها الولد ..

اجعل الهمة فى الروح ، والهزيمة فى النفس ، والموت فى البدن ؛ لأن منزلك القبر ، وأهل المقابر ينتظرونك فى كل لحظة متى تصل إليهم ، إياك إياك أن تصل إليهم بلا زاد. وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : هذه الأجساد قفص الطيور واسطبل الدواب ، فتفكر فى نفسك من أيهما أنت ؟ إن كنت من الطيور العلوية ، فحين تسمع طنين طبل (ارجعى إلى ربك) تطير صاعداً إلى أن تقعد فى أعالى بروج الجنان كما قال رسول الله ﷺ «اهتز عرش الرحمن من موت سعد بن معاذ».

والعياذ الله إن كنت من الدواب كما قال الله تعالى (أولئك كالأنعام بل هم أضل) فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار إلى هاوية النار.

وروى أن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أعطى شربة ماء بارد ، فأخذ القدح .. غشى عليه وسقط من يده ، فلما أفاق قيل له : مالك يا أبا سعيد ؟ قال : ذكرت أمنية أهل النار حين يقولون لأهل الجنة : (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله).

أيها الولد :

لو كان العلم مجرد كافياً لك ، ولا تحتاج إلى عمل سواء ، لكان نداء : «هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟» ضائعاً بلا فائدة ، وروى أن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ذكروا عبد الله بن عمر عند رسول الله ﷺ ، فقال : «نعم الرجل هو لو كان يصلى بالليل».

وقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه : يا فلان .. لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة.

أيها الولد :

(ومن الليل فتهجد به) أمر (وبالأسحار هم يستغفرون) شكر ، (والمستغفرين بالأسحار) ذكر.

قال عليه السلام : «ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى : صوت الديك ، وصوت الذى يقرأ القرآن ، وصوت المستغفرين بالأسحار».

قال سفيان الثورى رحمة الله تعالى عليه : إن الله تبارك وتعالى خلق ريحاً تهب بالأسحار تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار.

وقال أيضاً : إذا كان أول الليل ينادى مناد من تحت العرش : ألا ليقم العابدون ، فيقومون ويصلون ما شاء الله ، ثم ينادى مناد فى شطر الليل : ألا ليقم القانتون ، فيقومون ويصلون إلى السحر ، فإذا كان السحر نادى مناد : ألا ليقم المستغفرون ، فيقومون ويستغفرون ، فإذا طلع الفجر نادى مناد : ألا ليقم الغافلون ، فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم.

أيها الولد :

روى فى وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال : يا بنى .. لا يكونن الديك أكيس منك ، ينادى بالأسحار وأنت نائم.   ولقد أحسن من قال شعراً :

لقد هتفت فى جنح ليل حمامة
على فنن وهنا وإنى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً
لما سبقتنى بالبكاء الحمائم
وأزعم أنى هائم ذو صبابة
لربى : فلا أبكى وتبكى البهائم !

أيها الولد :

خلاصة العلم : أن تعلم أن الطاعة والعبادة ما هى ؟

واعلـــم أن الطاعـــة والعـــبادة متابعة الشارع فى الأوامر والنواهى بالقول والفعل ، يعنى : كل ما تقول وتفعل وتترك يكون باقتداء الشرع كما لو صمت يوم العـــيد وأيـــام التشريق تكون عاصياً ، أو صليت فى ثوب مغصوب – وإن كانت صورة عبادة – تأثم.

أيها الولد :

ينبغـــى لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع ؛ إذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة ، وينبغى لك ألا تغتر بالشطح و طامات الصوفية ؛ لأن سلوك هذا الطـــريق يكـــون بالمجاهـــدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة ، لا بالطامات والترهات.

واعلـــم أن اللســـان المطلق والقلب المطبق المملوء الغفلة والشهوة علامة الشقاوة ، حتى لا تقتل النفس بصدق المجاهدة لن يحيى قلبك بأنوار المعرفة.

واعلـــم أن بعـــض مســـائلك التى سألتنى عنها ، لا يستقيم جوابها بالكتابة والقـــول ، إن تـــبلغ تلك الحالة تعرف ما هى ، وإلا فعلمها من المستحيلات لأنها ذوقية ، وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول : كحلاوة الحلو ومرارة المر ، لا يعـــرف إلا بالذوق ، كما حكى أن عنيناً كتب إلى صاحب له : أن عرفنى لذة المجامعـــة كـــيف تكون ؟ فكتب له فى جوابه : يا فلان .. إنى كنت حسبتك عنِّيناً فقـــط – الآن عـــرفت أنك عنِّين وأحمق !– لأن هذه اللذة ذوقية ، إن تصل إليها تعرف ، وإلا لا يستقيم وصفها بالقول والكتابة.

أيها الولد :..

بعــض مســائلك من هذا القبيل ، وأما البعض الذى يستقيم له الجواب فقد ذكــرناه فى «إحياء العلوم» وغيره ، ونذكر ههنا نبذاً منه ونشير إليه فنقول : قد وجب على السالك أربعة أمور :

أول الأمر : اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة.

والثانى : توبة نصوح لا يرجع بعدها إلى الزلة.

والثالث : استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق.

والرابع : تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدى به أوامر الله تعالى.

ثــم من العلوم الآخرة ما يكون به النجاة ، حكى أن الشبلى رحمه الله خدم أربعمائة أستاذ ، وقال : قرأت أربعة آلاف حديث ، ثم اخترت منها حديثاً واحداً ، وعملت به ، وخليت ما سواه ؛ لأنى تأملته فوجدت خلاصى ونجاتى فيه ، وكان علــم الأولين والآخرين كله مندرجاً فيه فاكتفيت به ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال لــبعض أصــحابه : «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها ، واعمل لله بقدر حاجتك إليه ، واعمل للنار بقدر صبرك عليها».

أيها الولد :..

إذا علمت هذا الحديث لا حاجة إلى العلم الكثير وتأمل فى حكاية أخرى .. وذلــك أن حاتم الأصم كان من أصحاب الشقيق البلخى رحمة الله تعالى عليهما ، فسأله يوماً قال : صاحبتنى منذ ثلاثين سنة ما حصلت فيها ؟ قال : حصلت ثمانى فوائد من العلم ، وهى تكفينى منه لأنى أرجو خلاصى ونجاتى فيها ، فقال شقيق : ما هى ؟ **قال حاتم الأصم :-**

الفائـــدة الأولـــى : أنى نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت وبعضه إلى شفير القبر ، ثم يرجع كله ، ويتركه فريداً وحيداً ، ولا يدخل معه فى قبره منهم أحد ، ففكرت وقلـــت : أفضــــل محبوب المرء ما يدخل فى قبره ويؤانسه فيه ، فما وجدته غير الأعمــــال الصالحة ، فأخذتها محبوباً لى ؛ لتكون سراجاً لى فى قبرى ، وتؤانسنى فيه ، ولا تتركنى فريداً.

الفائدة الثانية :-أنى رأيت الخلق يقتدون أهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فـــتأملت قوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هـــو المـــأوى﴾ وتيقنت أن القرآن حق صادق فبادرت إلى خلاف نفسى وتشمرت بمجاهدتها وما متعتها بهواها حتى رضيت بطاعة الله سبحانه وتعالى وانقادت.

الفائـــدة الثالـــثة :-أنى رأيت كل واحد من الناس يسعى فى جمع حطام الدنيا، ثم يمســـكها قابضـــاً يده عليه، فتأملت فى قوله تعالى : ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ فبذلك محصولى من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لى عند الله تعالى.

الفائـــدة الـــرابعة :-أنـــى رأيـــت بعض الخلق ظن شرفه وعزه فى كثرة الأقوام والعشائر فاغتر بهم، وزعم آخرون أنه فى ثروة الأموال وكثرة الأولاد، فافتخروا بها، وحسب بعضهم الشرف والعز فى غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم، واعـــتقدت طائفـــة أنه فى إتلاف المال وإسرافه وتبذيره، وتأملت فى قوله تعالى: ﴿إن أكـــرمكم عند الله أتقاكم﴾ فاخترت التقوى، واعتقدت أن القرآن حق صادق، وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل.

والفائـدة الخامسـة :-أنى رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضاً، فـوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه والعلم، فتأملت قوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بيـنهم معيشتهم فى الحياة الدنيا﴾، فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى فى الأزل فما حسدت أحداً، ورضيت بقسمة الله تعالى.

الفائـدة السادسة :-أنى رأيت الناس يعادى بعضهم بعضاً لغرض وسبب، فتأملت قـوله تعالى ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ علمت أنه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان.

والفائـدة السابعة :-أنى رأيت كل أحد يسعى بجد، ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش، بحيث يقع به فى شبهة وحرام ويذل نفسه وينقص قدره، فتأملت فى قوله تعالـى ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ فعلمت أن رزقى على الله تعالى وقد ضمنه، فاشتغلت بعبادته، وقطعت طمعى عمن سواه.

الفائدة الثامنة :-أنى رأيت كل واحد معتمداً إلى شيء مخلوق، بعضهم إلى الدينار والـدرهم، وبعضهم إلى المال والملك، وبعضهم إلى الحرفة والصناعة، وبعضهم إلى مخلوق مثله فتأملت فى قوله تعالى : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالـغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ فتوكلت على الله تعالى فهو حسبى ونعم الوكيل.

فقال شقيق : وفقك الله تعالى : إنى قد نظرت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فـوجدت الكـتب الأربعة تدور على هذه الفوائد الثمانى، فمن عمل بها كان عاملاً بهذه الكتب الأربعة.

أيها الولد :-

قــد علمــت من هاتين الحكايتين أنك لا تحتاج إلى تكثير العلم، والآن أبين لك ما يجــب على سالك سبيل الحق:- فاعلم أنه ينبغى للسالك شيخ مرشد مرب، ليخرج الأخــلاق السيئة منه بتربيته، ويجعل مكانها خلقاً حسناً، ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذى يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من الزرع ليحسن نباته، ويكمل ريعــه: ولابــد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده إلى سبيل الله تعالى لأن الله أرسل للعــباد رسولاً للإرشاد إلى سبيله فإذا ارتحل ﷺ قد خلف الخلفاء فى مكانه، حتى يرشدوا إلى الله تعالى.

وشرط الشيخ الذى يصلح أن يكون نائباً لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يكــون عالمــاً، ولكن لا كل علم يصلح للخلافة، وإنى أبين لك بعض علامته على ســبيل الإجمــال، حتى لا يدعى كل أحد أنه مرشد فنقول:- من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه، وكان قد تابع لشخص بصير تتسلسل متابعته إلى سيد المرسلين ﷺ، وكــان محســناً رياضـــة نفسه من قلة الأكل والقول والنوم وكثرة الصلوات والصدقة والصوم، وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً محاسن الأخلاق له سيرة، كالصــبر والصـــلاة والشــكر والــتوكل واليقين والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأنى وأمثالها، فهو إذا نــور مــن أنوار النبى ﷺ، يصلح للاقتداء به، ولكن وجود مثله نادر أعز من الكبريت الأحمر، ومن سعادته السعادة فوجد شيخاً كما ذكرنا. وقبله الشيخ. ينبغى أن يحتــرمه ظاهــراً وباطــناً. أما احترام الظاهر فهو أن لا يجادله، ولا يشتغل بالاحــتجاج معه فى كل مسألة وإن علم خطاه، ولا يلقى بين يديه سجادة إلا وقت

الصلاة فإذا فرغ يرفعها، ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته، ويعمل ما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعة وطاقته.

وأمـــا احتـــرام الباطن : فهو أن كل ما يسمع ويقبل منه فى الظاهر لا ينكره فى الـــباطن لا فعـــلاً ولا قـــولاً؛ لئلا يتم بالنفاق وإن لم يستطع يترك صحبته إلى أن يوافـــق باطنه ظاهره. ويحترز عن مجالسة صاحب السوء، ليقصر ولاية شياطين الجـــن والإنس من صحن قلبه، فيصفى عن لوث الشيطنة، وعلى كل حال يختار الفقر على الغنى.

ثـــم اعلم أن التصوف له خصلتان: (١) الاستقامة، (٢) والسكون عن الخلق، فمن استقام وأحسن خلقه بالناس وعاملهم بالحلم فهو صوفى.

والاســـتقامة : أن يفدى حظ نفسه لنفسه. وحسن الخلق مع الناس: ألا تحمل الناس على مراد نفسك، بل تحمل نفسك على مرادهم ما لم يخالفوا الشرع.

ثم إنك سألتنى عن العبودية وهى ثلاثة أشياء:-

أحدها : محافظة أمر الشرع.

وثانيها : الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى.

وثالثها : ترك رضاء نفسك فى طلب رضاء الله تعالى.

وســـألتنى عن التوكل وهو أن تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد، يعنى تعـــتقد أن مـــا قـــدر لك سيصل إليك لا محالة، وإن اجتهد كل من فى العالم على صرفه عنك، وما لم يكتب لن يصل إليك، وإن ساعدك جميع العالم.

وســـألتنى عن الإخلاص، وهو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى، ولا يرتاح قلـــبك بمحامـــد الناس، ولا تبالى بذمتهم. واعلم أن الرياء يتولد من تعظيم الخلق، وعلاجـــه أن تـــراهم مســـخرين تحت القدرة، وتحسبهم كالجمادات فى عدم قدرة إيصال الراحة والمشقة لتخلص من مراياتهم. ومتى تحسبهم ذوى قدرة وإرادة لن يبعد عنك الرياء .

أيها الولد :-

والباقـــى مـــن مســـائلك بعضها مسطور فى مصنفاتى، فاطلبه ثمة وكتابة بعضها حرام، إعمل أنت بما تعلم، لينكشف لك ما لم تعلم.

أيها الولد :-

بعد اليوم لا تسألنى ما أشكل عليك إلا بلسان الجنان، قال تعالى ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ واقبل نصيحة الخضر عليه السلام حين قـــال : ﴿فـــلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ ولا تستعجل حتى تبلغ أوانـــه يكشـــف لك وتره ﴿سأريكم آياتى فلا تستعجلون﴾ فلا تسألنى قبل الوقت، وتيقن أنك لا تصل إلا بالسير لقوله تعالى: ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا﴾.

أيها الولد :-

بالله إن تسر تر العجائب فى كل منزل، وابذل روحك؛ فإن رأس هذا الأمر بـــذل الروح، كما قال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى لأحد من تلامذته: «إن قدرت على بذل الروح فتعال، وإلا فلا تشتغل بالترهات الصوفية».

أيها الولد :-

إنـــى أنصـــحك بثمانية أشياء اقبلها منى لئلا يكون علمك خصماً عليك يوم القيامة، **تعمل منها أربعة، وتدع منها أربعة:**

أما اللواتى تدع:

أحدهما: ألا تناظر أحداً فى مسألة ما استطعت؛ لأن فيها آفات كثيرة، فإثمها أكبر مـــن نفعهـــا، إذ هـــى منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمـــباهاة وغيـــرها، نعم لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو قوم، وكانت إرادتك فيها أن تظهر الحق ولا يضيع، جاز البحث، لكن لتلك الإرادة علامتان:

إحداهما: ألا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك.

والثانية: أن يكون البحث فى الخلاء أحب إليك من أن يكون فى الملأ.

واعلـــم أن الجاهلين المرضى قلوبهم، والعلماء: الأطباء، والعالم الناقص لا يحسن المعالجة، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض، بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجـــة والصـــلاح، وإذا كانـــت العلة مزمنة أو عقيماً لا تقبل العلاج، فحذاقة الطبـــيب فيه أن يقول: هذا لا يقبل العلاج، فلا تشغل فيه بمداواته لأن فيه تضييع العمـــر. ثم اعلم أن مرض الجهل على أربعة أنواع، أحدها يقبل العلاج والباقى لا يقبل. **أما الذى لا يقبل:**

أحدها: من كان سؤاله واعتراضه عن حسده وبغضه، فكلما تجيبه بأحسن الجواب وأفصـــحه، فلا يزيد له ذلك إلا بغضاً وعداوة وحسداً، فالطريق ألا تشتغل بجوابه فقد قيل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها

إلا عداوة من عاداك عن حسد

فينبغي أن تعرض عنه، وتتركه مع مرضه، قال الله تعالى ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾.والحسود بكل ما يقول ويفعل يوقد النار فى زرع علمه «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

الثانى: أن تكون علته من الحماقة، وهو أيضاً لا يقبل العلاج كما قال عيسى عليه السـلام : «إنـى ما عجزت عن إحياء الموتى، وقد عجزت عن معالجة الأحمق» وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمناً قليلاً ويتعلم شيئاً من العلوم العقلى والشرعى، فيسـأل ويعتـرض مـن حماقته على العالم الكبير، الذى أمضى عمره فى العلوم العقلى والشرعى، وهذا الأحمق لا يعلم، ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضاً مشكل للعـالم الكبيـر، فإذا لم يعلم هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة، فينبغى ألا يشتغل بجوابه.

والـثالث: أن يكون مسترشداً، وكل ما لا يفهم من كلام الأكابر يحمل على قصور فهمه، وكان سؤاله للاستفادة، لكن يكون بليداً لا يدرك الحقائق، فلا ينبغى الاشتغال بجـوابه أيضاً، كما قال رسول الله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس علـى قـدر عقولهم». **وأما المرض** الذى يقبل العلاج، فهو أن يكون مسترشداً عـاقلاً فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال، ويكون طالـب الطـريق المستقيم، ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد وتعنت وامتحان، وهذا يقبل العلاج، فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله بل يجب عليك إجابته.

والثانى مما تدع: وهو أن تحذر وتحترز من أن تكون واعظاً ومذكراً؛ لأن فــيه آفة كبيرة إلا أن تعمل بما تقول أولا ثم تعظ به الناس، فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح ربك.

وإن ابتليت بهذا العمل فاحترز عن **خصلتين:**

الأولى: عن التكلف فى الكلام بالعبارات والإشارات والطامات والأبيات والأشعار؛ لأن الله تعالــى يــبغض المتكلفين، والمتكلف المتجاوز عن الحد، يدل على خراب الباطن وغفلة القلب. **ومعنى التذكير**: أن يذكر العبد نار الآخرة وتقصير نفسه فى خدمــة الخالق ويتفكر فى عمره الماضى الذى أفناه فيما لا يعنيه ويتفكر فيما بين يديــه من العقبات من عدم سلامة الإيمان فى الخاتمة، وكيفية حاله فى قبض ملك الموت وهل يقدر على جواب منكر ونكير؟ ويهتم بحاله فى القيامة ومواقفها، وهل يعبــر علــى الصراط سالماً أم يقع فى الهاوية؟ ويستمر ذكر هذه الأشياء فى قلبه فيــزعجه عــن قــراره، فغليان هذه النيران ونوحة هذه المصائب يسمى تذكيراً، وإعــلام الخلــق وإطلاعهم على هذه الأشياء، وتنبيههم على تقصيرهم وتفريطهم، وتبصــيرهم بعيوب أنفسهم لتمس حرارة هذه النيران أهل المجلس، وتجزعهم تلك المصـــائب ليتداركوا العمر الماضى بقدر الطاقة، ويتحسروا على الأيام الخالية فى غير طاعة الله تعالى.

هذه الجملة على هذا الطريق تسمى وعظاً، كما لو رأيت أن السيل قد هجم على دار أحد، وكان هو وأهله فيها فتقول: الحذر الحذر فروا من السيل !!! وهل يشتهى قلبك فى هذه الحالة أن تخبر صاحب الدار خبرك بتكلف العبارات، والنكت والإشارات؟ فلا تشتهى ألبته: فكذلك حال الواعظ فينبغى أن يجتنبها.

الخصــــلة الثانـــية: ألا تكــون همتك فى وعظك أن ينفر الخلق فى مجلسك ويظهـــروا الوجد، ويشقوا الثياب؛ ليقال: نعم المجلس هذا؛ لأن لك كله ميل للدنيا، وهو يتولد من الغفلة، بل ينبغى أن يكون عزمك وهمتك أن تدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة؛ ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الحرص إلى الزهد، ومن البخل إلى الســخاء، ومــن الغــرور إلى التقوى، وتحبب إليهم الآخرة، وتبغض إليهم الدنيا، وتعلمهــم علــم العــبادة والزهد؛ لأن الغالب على طباعهم الزيغ عن نهج الشرع، والسعى فيما لا يرضى الله تعالى به، والاستعثار بالأخلاق الردية، فألق فى قلوبهم الــرعب، وروعهــم، وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف، ولعل صفات باطنهم تتغير، ومعاملة ظاهرهم تتبدل، ويتظهروا الحرص والرغبة فى الطاعة والرجوع عــن المعصية، وهذا طريق الوعظ والنصيحة وكل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال علـــى مــن قـــال ويسمع، بل قيل: إنه غول وشيطان، يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم، فيجب عليهم أن يفروا منه، لأن ما يفسد هذا القائل من دينهم، لا يستطيع بمـــثله الشـــيطان، ومــن كان له يد وقدرة يجب عليه أن ينزله عن منابر الوعظ، ويمنعه عما باشر، فإنه من جملة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والـــثالث مـمـــا تـــدع: أنـــه لا تخـــالط الأمراء والسلاطين ولا ترهم لأن رؤيتهم ومجالســـتهم ومخالطتهم آفة عظيمة، ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم. لأن الله تعالـــى يغضـــب إذا مدح الفاسق والظالم، ومن دعا لطول بقائهم فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه.

والـــرابع مما تدع: ألا تقبل شيئاً من عطاء الأمراء وهداياهم وإن علمت أنها من الحلال، لأن الطمع يفسد الدين، لأنه يتولد منه المداهنة، ومراعاة جانبهم والموافقة

فى ظلمهم، وهذا كله فساد فى الدين وأقل مضرته أنك إذا قبلت عطاياهم، وانتفعت مــن دنــياهم أحببتهم، ومن أحب أحداً يحب طول عمره وبقائه بالضرورة، وفى محــبة بقــاء الظالم إرادة فى الظلم على عباد الله تعالى، وإرادة خراب العالم فأى شــيء يكــون أضر من هذا على الدين والعاقبة، وإياك إياك أن يخدعك استهواء الشــياطين أو قول بعض الناس لك: بأن الأفضل والأولى أن تأخذ الدينار والدرهم مــنهم وتفرقها بين الفقراء والمساكين، فإنهم ينفقون فى الفسق والمعصية، وإنفاقك على ضعفاء الناس خير من إنفاقهم، فإن اللعين قد قطع أعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة، وقد ذكرناه فى إحياء العلوم فاطلبه ثم.

وأما الأربعة التى ينبغى لك أن تفعلها:

الأول: أن تجعــل معاملــتك مع الله تعالى، بحيث لو عامل معك بها عبدك ترضى بها منه، ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب، والذى لا ترضى لنفسك من عبدك المجازى فلا ترض أيضاً لله تعالى وهو سيدك الحقيقى.

والثانــى: كلما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم؛ لأنه لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه.

والــثالث: إذا قــرأت العلــم أو طالعته، ينبغى أن يكون علمك يصلح قلبك ويزكى نفسك، كما لو علمت أن عمرك ما يبقى غير أسبوع، فالبضرورة لا تشتغل فــيها بعلم الفقه والأخلاق والأصول والكلام وأمثالها. لأنك تعلم أن هذه العلوم لا تغنــيك، بل تشتغل بمراقبة القلب، ومعرفة صفات النفس، والإعراض عن علائق الدنــيا، وتزكــى نفســك عن الأخلاق الذميمة وتشتغل بمحبة الله تعالى وعبادته،

والاتصـــاف بالأوصاف الحسنة، ولا يمر على عبد يوم وليلة إلا ويمكن أن يكون موته فيه.

أيها الولد ..

اســـمع منـــى كلاماً آخر، وتفكر فيه حتى تجد خلاصاً، لو أنك أخبرت أن السلطان بعد أسبوع يختارك وزيراً: اعلم أنك فى تلك المدة لا تشتغل إلا بإصلاح ما علمت أن نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن، والدار والفرش وغيرها، والآن تفكـــر إلى ما أشرت به فإنك فهم والكلام الفرد يكفى، أليس قال رسول الله علـــيه الســـلام: «إن الله لا ينظـــر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم».

وإن أردت على أحوال القلب فانظر إلى (الإحياء) وغيره من مصنفاتى وهذا العلم فـــرض عين، وغيره فرض كفاية إلا بمقدار ما يؤدى به فرائض الله تعالى، وهو يوفقك حتى تحصله.

والـــرابع: ألا نجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة، كما كان رسول الله عليه الســـلام يعد عن ذلك لبعض حجراته، وقال: اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً، ولم يكن بعد ذلك لكل حجراته بل كان يعده لمن علم أن فى قلبها ضعفاً، وأما من كانت صاحبة يقين فما كان يعد لها أكثر من قوت يوم ونصف.

أيها الولد ..

إنى كتبت فى هذا الفصل ملتمساتك، فينبغى لك أن تعمل بها ولا تتسانى فيه من أن تذكرنى فى صالح دعائك.

وأما الدعاء الذى سالت منى فاطلبه من دعوات الصحاح، واقرأ هذا الدعاء فـــى أوقاتك، خصوصاً أعقاب صلواتك:- اللهم إنى أسألك من النعمة تمامها، ومن العصمة دوامها، ومن الرحمة شمولها، ومن العافية حصولها، ومن العيش أرغده، ومن العمر أسعده ومن الإحسان أتمه، ومن الإنعام أعمه، ومن الفضل أعذبه، ومن اللطف أقربه. اللهم كن لنا ولا تكن علينا، اللهم اختم بالسعادة آجالنا، وحقق بالزيادة آمالنا، واقرن بالعافية عدونا وآصالنا، واجعل إلى رحمتك مصيرنا ومآلنا، واصبب سجال عفوك على ذنوبـــنا، ومن علينا بإصلاح عيوبنا، واجعل التقوى زادنا، وفى دينك اجتهادنا، وعليك توكلنا واعــتمادنا. اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة، وأعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة، وخفــف عنا ثقل الأوزار، وارزقنا عيشة الأبرار، واكفنا شر الأشرار، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأخواتنا من النار، برحمتك يا عزيز يا غفار، يا كريم يا ستار، يا عليم يا جبار يـــا الله. يا الله. يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين ويا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القـــوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فضيلة الدكتور ما القيمة الحقيقة لهذا الحديث ومالذى يرشد إليه ؟

نقول هذا الحديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام كما أنه يرشد إلى الآتى :

١- أن النصيحة تسمى دينا وإسلاما.

٢- أن الدين يقع على العمل كما يقع على القول

٣- أن النصيحة فرض يجزىء فيه من قام به ويسقط عن الباقين وأن النصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فإن خشى على نفسه أذى فهو فى سعة.

٤- لقد كان فى رسالة الغزالى منافع جمة والحرص على العمل بما فيها فائدة لمن يعرف قدر النصيحة لاسيما إن كانت من عالم جليل مثل أبى حامد الغزالى رحمه الله.

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحديث الثانى

(الجلوس فى الطرقات وأحكامه)

روى البخارى بسنده أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال(إياكم والجلوس فى الطرقات ٠فقالوا : يارسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ٠فقال : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ٠ قالوا : وماحق الطريق يارسول الله ؟ قال: غض البصر ،وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ،والنهى عن المنكر) صدق رسول الله ﷺ ٠

فضيلة الدكتور / مامعنى قوله ﷺ (إياكم والجلوس فى الطرقات ؟

نقول، وبالله التوفيق : قوله ﷺ إياكم والجلوس إياكم تحذيرية والجلوس منصوبة على التحذير ومعناه : اتقوا الجلوس واتركوه على الطرقات وعند مسلم (كنا قعودا بالأفنية)وهى جمع فناء وهو المكان المتسع أمام المنزل (فجاء رسول الله فقال : مالكم ومجالس الصعدات ؟)وهو ماكان موجودا إلى عهد قريب أمام البيوت من المساطب وغيرها ثم تمثلت فى عهدنا الحديث من قهاوى وكفتريات والأماكن المفتوحة والعامة ، ويلحق بذلك الجلوس فى الشبابيك المشرفة على المارة حيث تكون فى غير علو٠

فضيلة الدكتور / ومامعنى قولهم : مالنا من مجالسنا بد ،نتحدث فيها ؟

نقول : قولهم مالنا من محالسنا بد أى مالنا من مجالسنا هذه افتراق فلابد منها ولا استغناء عنها حيث إن حاجتنا إليها ملحة ففيها نتحدث عن حاجاتنا ومصالحنا من بيع وشراء وأمور الأسرة وأمور الحياة التى لانستطيع أن نتحدث عنها فى المسجد لجلالة المسجد عن هذه الأمور وأيضا نفتك فى هذه المجالس بعض الشيىء فنقول طرفة أو نذكر قصة فيها ماقد يسمرنا ويضحكنا وكلمة نتحدث فيها تعطى تلك المعانى جميعا فالحجر والتحذير فى هذه المسئلة أمر خطير وتضيق كبير عليهم لايطيقونه ولذا كانت مراجعتهم له ﷺ ومناقشتهم إياه وبيان عجزهم عن التنفيذ حتى يأتيهم بمخرج آخر أومتنفس غير الذى ينهاهم عنه ولذا كانت صراحة الصحابة فى هذا الأمر محموده حيث إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع وإذا أردت ألا تطاع فأمر بمالابستطاع فلم يكلف الله نفسا إلا وسعها يقول الحافظ ابن حجر : يحتمل أن يكونوا رجوا وقوع النسخ تخفيفا لما شكوا من الحاجة إلى ذلك ويؤيده أن فى مرسل يحي بن يعمر (فظن القوم أنها عزمة)ووقع

فى حديث أبى طلحة (فقالوا إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنانتحدث ونتذاكر) وقالوا أن الذى قال ذلك لرسول الله هو الصحابى الجليل أبو طلحة وهو بين فى رواية هذا الحديث عند مسلم ولكن القاضى عياض لمح فيه معنى آخر حيث يقول : فى الحديث دليل على أن أمره لهم لم يكن للوجوب ،وإنما كان على طريق الترغيب والأولى إذ لو فهموا الوجوب لم يراجعوه هذه المراجعة أقول : ولكن وما المانع من المراجعة فى الحكم فلربما عند المراجعة يتغير الحكم كما هو الحال وربما يزداد الحكم تأييدا وفى كلا الحالين خير ونفع عميم ٠

فضيلة الدكتور / وماذا كان رد الحبيب ﷺ عليهم ؟ ٠

نقول :كان رده عليهم ﷺ فيه التخفيف واللطف بهم وهو الرؤف الرحيم بأمته حيث قال لهم : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه ؟ وفى رواية الأخرى (فإن أبيتم إلا أن تفعلوا)وفى غيرها (فإن كنتم لابد فاعلين وهنا رواية تؤكد رضاه للأمر حيث تقول الرواية (فإذا أتيتم إلى المجالس وأيضا هذه التى تقول (فمن جلس منكم على الصعيد فليعطه حقه) أى أنه ﷺ قبل منهم أن يجلسوا ولكن بشرط إعطاء الطريق حقه فرد عليه الصحابة مستفهمين عن حق الطريق حيث لم يدر فى حسبانهم أن هناك شروط وقوعد للجلوس فى هذه الأماكن فقالوا وما حق الطريق ؟

فضيلة الدكتور / هنا استفهام وقع من الصحابة عليهم رضوان الله فما نوعه وعلام يلمح ؟٠

نقول :هو استفهام توضيحى قصدوابه أن يوضح لهم ﷺ حق الطريق حيث إنه المعنى بذلك والمكلف بالبلاغ وعليهم السمع والطاعة فهو إمامهم وسيدهم ومعلمهم فهو الناطق بالوحى المبلغ بالرسالة ٠ ويلمح لاستفهام إلى بيان حرص الصحابة على التعلم من رسول الله وعدم تفويت فرصة الاستفادة وإضافة الجديد من علوم الدين ومفاهيمه لديهم حيث إنه كان من الممكن أن يقولوا (إن شاء الله نعطه حقه)ويسكتوا كمن يريد أن يفوت الفرصة على المتحدث فى أمر من الأمور فيقول (إن شاء الله ٠٠٠ إن شاء الله) ولكن حرصهم على المعرفة لأنوار الإسلام دفعهم لطلب الاستزادة للاستفادة فلم يكن دأبهم الهروب من التكاليف بل طلب المعرفة عندهم كان أصلا فى حياتهم فقد كانوا يفرحون إذا قدم أعرابى

يسأل رسول الله حيث كانوا فى كثير من الأحيان يهابون ذلك خشية المشقة عليه أو يكون ممالافائدة فيه من وجهة نظرهم فيكونوا قد شغلوه به عما هو أهم ٠

فضيلة الدكتور/ و ماهو حق الطريق الذى أخبر به خير الأنام ؟

نقول: هى عدة قوانين أخلاقية ذكرها خير البرية هى كمال الأخلاق وأخلاق أهل الكمال وكل قانون منها مؤسسة فى ذاته ولاتكفى الحلقات الكثيرة لتغطيته سبق بها رسول الله كل أصحاب الأخلاق واالقوانين والأقلام نذكرها على إيجاز شديد فى الآتى :

الأولى : غض البصر وغض البصر أمر به الله فى كتابه فى سورة النور وأمر به الحبيب فى أحاديث كثيرة منها هذا الحديث فالنظرة كما قال الحبيب سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتى أبدلته إخلاصا يجد حلاوته فى صدره ومن غض بصره عن محارم الناس غض الناس بصرهم عن محارمه فمن جلس فى الطريق وجب عليه غض البصر عما هو محرم لايحل له

الثانية : كف الأذى وهوملخص لقوله ﷺ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده أى كف الأذى من الشخص نفسه أو كف الأذى من الغير إذا وقع على الغير ٠

الثالثة : رد السلام حيث إن إلقاء السلام سنة من سنن الإسلام ورده فريضة لقوله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) والحمدلله الذى جعل تحية أهل الإسلام السلام وليس التخويف والرعب ٠

وأما الرابعة : فهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو أصل مهم من أصول الدين فمن رأى منكرا وجب عليه تغيره بقدر المستطاع ولايهمل هذا الأمر ففيه خطوره وفساد كبير ولنضرب مثلا واحدا لذلك: ماالحال إذا رأيت شابا يضايق فتاة أو سيدة ويتطاول عليها بألوان الأذى المختلفة سواء كان ذلك فى الطريق العام أو أحد الأوتوبيسات أو القطارات هل تسكت وإذا سكت وسكت غيرك عن نهيه وقال الجميع وأنا مالى ؟ كيف ستكون العواقب وكيف سيكون حال تلك المرأة عندما ترى بعينيها موت النخوة والرجولة الإسلامية فى شباب ورجال المسلمين وهل تستأمن الخروج لبنتك ولزوجتك بعد مارأيت ؟ إذا لابد من الأمر بالمعروف بقدر المستطاع من تذكيرك الشخص بالمعابة لما يفعل وأنه ليس من خلق الرجال وهل ترضى ما تفعله أن يصنع فى أهلك وعشيرتك فما لاترضاه على نفسك لايرضاه الناس أيضا على أنفسهم وهكذا بكل أسلوب منأساليب

الإقناع والتوجيه ولذا فالأمر بالمعروف واجب على كل إنسان تجاه كل إنسان فإذا سكت عنه أو أهمل كان الشتات والضياع وفشى الفساد فى الأرض ٠

فضيلة الدكتور / وهل هناك بعض رويات بها زيادة على هذا الحديث ؟

نعم هناك روايات أخرى بها بعض الزيادات فمنها كمافى حديث أبى طلحة زيادة قوله ﷺ (وحسن الكلام)وفى حديث أبى هريرة (وإرشاد ابن السبيل وتشميت العاطس إذاحمد)وفى عمر عند أبى داود (وتغيثوا الملهوف وتهدوا الضال) وفى حديث البراء عند أحمد والترمذى (اهدوا السبيل وأعينوا المظلوم وأفشوا السلام) وفى حديث وحشى بن حرب عند الطبرانى (واهدوا الأغبياء وأعينوا المظلوم) وفى حديث سهل بن حنيف (وذكر الله كثيرا) ومجموع مافى هذه الأحاديث من الآداب التى ذكرها النبى أربعة عشر أدبا ٠

فضيلة الدكتور/ وماهى الدروس المستفادة من هذا الحديث المبارك ؟

نقول وبالله التوفيق : فى الحديث إلماح لعدم الجلوس فى الطرقات لغير حاجة حيث قد يقع ا لمحذور من التعرض للفتن كالنظر للنساء الشواب وخوف مايلحق النظر إليهن من الفتن إذلم يمنع النساء من المرور فى الشوارع لحوائجهن ٠

ومن التعرض لحقوق الله والمسلمين مما لايلزم الإنسان إذا كان فى بيته وحيث لاينفرد أويشتغل بما يلزمه ٠

ومن رؤية المناكير وتعطيل المعارف فيجب على المسلم الأمر والنهى عند ذلك فإن تركه فقد تعرض للمعصية وكذلك يتعرض لمن يمر عليه ويسلم عليه فإنه ربماكثر ذلك فيعجز عن الردعلى كل مار ورده فرض فيأثم والمرء مأمور بأن لايتعرض للفتن والزام نفسه مالعله لايقوى عليه فندبهم المشرع ﷺ إلى ترك الجلوس حسما لما ذكرناه فلما ذكروا ضرورتهم إلى ذلك لما فيه من المصالح من تعاهد بعضهم بعضا ومذاكرتهم فى أمور الدين ومصالح الدنيا وترويح النفوس بالمحادثة فى المباح دلهم على مايزيل المفسدة وهو ماذكره من آداب الطريق ٠

وفى الحديث حب النبى الأمته وحرصه علىماينفعها ولايفسد الخير فيها

هذا: وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنامحمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحديث الثالث

(النساء والخوف من النار)

روى مســـلم بســـنده عـــن عبد الله بن عمر عنْ رَسُولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم- أنَّهُ قالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاستغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النار . فَقَالَت امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟. قَـــالَ: تُكْثِـــرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِـــذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ".قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ قَالَ: "أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ".

-فضـــيلة الشـــيخ الدكـــتور / ورد فى الحديث بداية بعض الألفاظ التى قد لا يفهمهـــا الـــناس مثل قوله .معشر. جزلة. العشير ؟ ومالمقصود من قوله يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الإستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار ؟

نقـــول وبـــالله التوفيق / قال أهل اللُّغة: المعشر هم الجماعة الَّذين أمرهم واحد أي: مشتركون، وهو اسم يتناولهم فالإنس معشر، والجنُّ معشر، والأنبياء معشر، والنِّساء معشر ونحو ذلك، وجمعه: معاشر.

وأما قوله جزلة : قال ابن دريد: الجزالة: العقل والوقار.أى ذات عقل ووقار.

وأمَّا العشير، فبفتح العين وكسر الشِّين، وهو في الأصل المعاشر مطلقاً.

وقوله -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم-(:يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى رَأَيْـــتُكُنَّ أَكْثَـــرَ أَهْـــلِ النَّارِ) هو نداء من الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى نساء المســـلمين أن يكثـــرن مـــن عمـــل الخيـــرات وعلى رأس الخيرات ا لتصدق والاســـتغفار حـــيث إن فيهما أكثرمن غيرهما تكفيرا للذنوب وسترا للعيوب فى

الدنيا والأخرة فالصدقة تطفيء غضب الرب كما أخبرنا نبينا وهى أيضا برهان علـــى صدق صاحبها، وكذلك الاستغفار هو مدرة الرزق من الغفار يقول الحق (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنـــين ويجعـــل لكـــم جـــنات ويجعل لكم أنهارا) ويخبرنا الحبيب عنه أيضا فـــيقول(مـــن لزم لاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويـــرزقه مـــن حيث لا يحتسب) وأما قوله(فإنى رأيتكن أكثر أهل النار) وهو بنصب أكثر، إمَّا على أنَّ هذه الرُّؤية تتعدَّى إلى مفعولين، وإمَّا على الحال على مـــذهب ابن السَّرَّاج وأبي عليٍّ الفارسيِّ وغيرهما ممَّن قال: إنَّ أفعل لا يتعرَّف بالإضافة.وقيل: هو بدل من الكاف في رأيتكنَّ والمعنى أن رسول الله رأى ذلك علـــى الحقـــيقة ولـــذا فهو يخبر عن واقع لا عن خيال وتجنى وأما كيف رأى فاحـــتمال أن يكون ليلة الإسراء واحتمال أن يكون فى غيرها فقد كان يرى النار فى عرض الحائط وهو يصلى فيخبر أصحابه بأن الله قد جلى له النارفى عرض الحائط .

فضيلة الدكتور / قوله فقالت امرأة منهن جزلة (ومالنا أكثر أهل النار ؟)ماسم تلك المرأة ؟ ومانوع الاستفهام الوارد ؟ ولماذا نصبت الجملة ؟

نقول وبالله التوفيق :المرأة هى الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافـــع بن امرىء القيس الأنصارية الأوسية وهى بنت عم معاذ بن جبل وكانت تكنـــى أم سلمة وكان يقال لها خطيبة النساء شهدت اليرموك وقتلت يومها تسعة مـــن الروم بعمود خيمتها وعاشت بعدذلك دهرا . ووصفهابالجزالة لجرأتهافى الحق وعدم حيائها فى طلبه مع حسن فهمها لماقاله الحبيب ودقة سؤالهالذلك

وأمَّــا قــولها: (وَمَا لَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟) فهو استفهام توضيحى قصدت به بيان حقــيقة الأمــر وتعيينه فهى بدأ أقرت بأن النساء أكثر أهل النار ولم تنكر قوله صلى الله عليه وسلم وإنما هى تسأل عن الداعى الذى جعلهن كذلك ليتفادى نساء المســلمين مــن الوقوع فى الفعل الموجب لذلك وأما إعرابها فمنصوب إمَّا على الحكاية، وإمَّا على الحال.

فضــيلة الدكــتور / قوله صلى الله عليه وسلم(تكثرن اللعن وتكفرن العشير) مامعناه وعلام يدل ؟

نقــول: إن اللَّعنَ من المعاصي الشَّديدة القبح، وليس فيه أنَّه كبيرة، فإنَّه -صلَّى اللهُ عَلَــيْهِ وسَــلَّم- قال: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ" والصَّغيرة إذا أكثرت صارت كبيرة، وقد قال -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم-: "لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِه".

واتَّفــق العلماء على تحريم اللَّعن، فإنَّه في اللُّغة: الإبعاد والطَّرد، وفي الشَّرع: الإبعــاد مــن رحمــة اللَّه، فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله من لا يعرف حاله وخاتمـــة أمره معرفة قطعيَّة، فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحد بعينه مسلماً كان أو كافــراً أو دابَّـــة إلاَّ من علمنا بنصٍّ شرعيٍّ أنَّه مات على الكفر أو يموت عليه كأبـــي جهــل وإبلــيس.وأمَّــا اللَّعــن بالوصــف فليس بحرام، كلعن الواصلة والمستوصــلة، والواشــمة والمستوشــمة، وآكــل الربا وموكله، والمصوِّرين والظَّالمــين والفاسقين والكافرين، ولعن من غيَّر منار الأرض، ومن تولَّى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدث في الإسلام حدثاً أو آوى محدثاً، وغيــر ذلــك ممَّا جاءت به النُّصوص الشَّرعيَّة بإطلاق على الأوصاف لا على الأعــيان، فوقــوع المرأة فى اللعن والإكثار منه يوقع بها فى غياهب النيران ٠

وأمـــا كفـــران العشير فالمقصود به سرعة إنكار المعروف وفتراض سوء النية دون التحقق من الأمر وتأويل كل تصرف حسن فرحت له فى وقت الرضى إلى تأويـــل سيىء وأنه من مكر الزوج ليصل إلى مأربه على غفلة منها حتى أصبح الأمـــر الأن أن الزوج إذا قال كلاما طيبا لزوجته أو مدحها لم تأخذ كلامه على مأخذ الحب ولكن على مأخذ الحذر قائلة فى نفسها (يريد أن يأكل بعقلى حلاوة) ومـــا أحسن تعبير الرسول فىذلك حيث قد شرح فى رواية أخرى هذا الكفران فقـــال (إذا أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم أسأت إليها مرة قالت ماأحسنت إلينا قـــط)وبالطـــبع لـــيس كـــل النســـاء كذلك وإنما الأغلب يقع فى ذلك و إطلاق الكفرهناعلى غير الكفر باللّه، ككفر العشير والإحسان والنّعمة والحقّ، كمابيناه.

فضـــيلة الدكـــتور / قـــوله (وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن)ماالمقصود من هذا الكلام وما معناه ؟

نقول :المقصود منه التعجب من أفعالهن وكيدهن حتى أنها تخرج الرجل العاقل مـــن وقاره وتحرجه أمام الناس وقد تفضحه فى عقر داره بلا استحياء أو عيب فكـــم مـــن رجـــل لايســـتطيع أن يضيف الضيف بسبب زوجته وكم من رجل لايســـتطيع أن يبر أهله بسبب زوجته وهلم جرا وكان المنطق والمعقول هو أن يتبع الأقل عقلا الشخص العاقل ففى السير مع العاقل النجاة والسلامة إلافى حال المرأة فهى تستدرج الرجل ليقع هو فى أحبلها ومشاكلها حتى تخرجه عن محط الرجال وتوقعه فيما لايجب أن يقع فيه العيال ؟

فضـــيلة الدكـــتور/ قالـــت يارسول الله وما نقصان العقل والدين ؟هنا ستفهام نرجوا توضيحه مع بيان لماجاوبهم به رسول الله ؟ نقول : هو استفهام قصدت

بـــه أيضا التوضيح لذلك النقصان كيف يكون وماهي أسبابه حتى يحصل تفاديه قـــبل حدوثه فقال:(أمانقصان العقل فشهادةامرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقـــل قـــال الإمـــام أبو عبد الله المازريُّ -رحمه اللّه-: قوله -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَـــلَّم-: (أمَّا نُقْصَانُ العَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ) تنبيه منه -صلَّى اللهُ عَلَـــيْهِ وسَـــلَّم- علـــى ما وراءه، وهو ما نبَّه الله تعالى عليه في كتابه بقوله تعالـــى: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}من أنَّهنَّ قليلات الضَّبط.قال: وقـــد اخـــتلف الـــنَّاس فـــي العقـــل ما هو؟فقيل: هو العلم وقيل: بعض العلوم الضَّروريَّة.وقيل: قوَّة يميِّز بها بين حقائق المعلومات، هذا كلامه.

والاختلاف في حقيقة العقل وأقسامه كثير معروف لا حاجة هنا إلى الإطالة به، واخـــتلفوا في محلِّه.فقال أصحابنا المتكلِّمون: هو في القلب وقال بعض العلماء: هـــو في الرَّأس، واللَّه أعلم. **وأمَّا وصفه** -صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم- النِّساء بنقصان الـــدِّين فلتـــركهنَّ الصَّـــلاة والصَّوم في زمن الحيض،وقد يستشكل معناه وليس بمشكل بل هو ظاهر، فإنَّ الدِّين والإيمان والإسلام مشتركة في معنى واحد كما أنَّ الطَّاعـــات تســـمَّى إيماناً وديناً،وإذا ثبت هذا علمنا أنَّ من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت عبادته نقص إيمانه ودينه ثم إنَّ نَقْصُ الدِّين قد يكون على وجه يأثم به، كمن ترك الصَّلاة أو الصَّوم أو غيرهما من العبادات الواجبة علـــيه بلا عذر، وقد يكون على وجه لا إثم فيه، كمن ترك الجمعة أو الغزو أو غيـــر ذلـــك ممَّا لا يجب عليه لعذر، وقد يكون على وجه هو مكلَّف به، كترك الحائض الصَّلاة والصَّوم.فإن قيل: فإن كانت معذورة فهل تثاب على الصَّلاة في زمـــن الحـــيض وإن كانـــت لا تقضيها كما يثاب المريض والمسافر ويكتب له

فيمرضـــه وســـفره مثل نوافل الصّلوات الّتي كان يفعلها في صحّته وحضره ؟
فالجواب: أنّ ظاهر هذا الحديث أنّها لا تثاب، والفرق أنّ المريض والمسافر كان يفعلهـا بنــيّة الــدّوام عليها مع أهليّته لها، والحائض ليست كذلك بل نيّتها ترك الصّلاة في زمن الحيض، بل يحرم عليها نيّة الصّلاة في زمن الحيض، فنظيرها مســافر أو مريض كان يصلّي النّافلة في وقت ويترك في وقت غير ناوٍ الدّوام علــيها، فهــذا لا يكتب له في سفره ومرضه في الزّمن الّذي لم يكن يتنفّل فيه، واللّه أعلم.

فضــيلة الدكـــتور / ومـــا الـــذى يرشـــد إلـــيه هـــذا الحـــديث ؟

نقول :إن هذا الحيث فيه كثير من الفوائد منها الآتى:

١- بــيان حقــيقة المــرأة وماجــبلت عليه حتى يحسن معالجتها وتغيير بعض التصرفات التى لاتليق بها والإسلام هو الذى يقومنا جميعا ويعالج النقص فينا .

٢- بيان أن الإيمان يزيد وينقص بالعمل .

٣: وعظ الإمام وأصحاب الولايات وكبراء النّاس رعاياهم، وتحذيرهم المخالفات وتحريضهم على الطّاعات.

٤-: مــراجعة المــتعلّم العــالم والتّابع المتبوع فيما قاله إذا لم يظهر له معناه، كمراجعة هذه الجزلة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-.

٥-: جــواز إطــلاق رمضـــان مــن غير إضافة إلى الشّهر وإن كان الاختيار إضافته، واللّه أعلم.

الحديث الرابع

التكبير وتحميد عند النوم

روى البخارى بسنده عن عَلِي رضى الله عنهُ: أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السلام شَــكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْــأَلُهُ خَادِمًــا فَلَــمْ تَجِدْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ قَالَ: فَجَاءَنَــا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَقَالَ مَكَانَكِ فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَــدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ: أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِــنْ خَــادم ؟ إِذَا أَوَيْــتُمَا إِلَــى فِرَاشِكُمَا أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا أربعاوثَلاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ،) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فضــيلة الأســتاذ الدكــتور / ماهو المقصود من قول علىرضى الله عنه: إن السيدة فاطمة شكت ماتلقى فى يدها من الرحى؟

نقــول وبالله التوفيق :قوله(إن فاطمة شكت ما تلقى في يدها من الرحى) أى " ممــا تطحــن " وأرته أثرا في يدها وهو المجل ومعناه التقطيع الناتج عن العمــل قال الطبري: المراد به غلظ اليد، وكل من عمل عملا بكفه فغلظ جلدها قيل مجلت كفه.وفى رواية أحمد عن علي " قلت لفاطمة لو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسألتيه خادما، فقد أجهدك الطحن والعمل " وعنده وعند ابن سعد عن علي " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة " فذكر الحديث وفيه " فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، فقالت: وأنا

والله لقــد طحـــنت حتى مجلت يداي " وقوله " سنوت " بفتح المهملة والنون أي استقيت من البئر فكنى مكان السانية وهي الناقة، وعند أبي داود عن علي قال " كانـــت عندي فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، فجرت بالرحى حتى أثرت بـــيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في عنقها، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها " وخبزت حتى تغير وجهها".

فضـــيلة الدكـــتور / قوله فأتت النبى ﷺ تسأله خادما ؟ مامعناه وماالدافع الذى دفعها إلى ذلك ؟

نقـــول وبــــالله التوفيق :قوله (فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما) أي جارية تخدمها، ويطلق أيضا على الذكر.والدافع الذى دفعها إلى ذلك هوماجاء في روايـــة الســـائب قول على رضىالله عنه " وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي إليه فاســـتخدميه " أي اسأليه خادما.فذهبت (فلم تجده) •وفي رواية أبي الورد " فأتته فـــوجدت عـــنده حداثا " بضم المهملة وتشديد الدال وبعد الألف مثلثة أي جماعة يتحدثون " فاستحيت فرجعت " فيحمل على أن المراد أنها لم تجده في المنزل بل فـــي مكـــان آخر كالمسجد وعنده من يتحدث معه.(فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة بمجيء فاطمة)وجاء في مسلم " حتى أتت منزل النبي صلى الله عليه وسلم فلم توافقه، فذكرت ذلك له أم سلمة بعد أن رجعت فاطمة " ويجمع بأن فاطمة التمسته في بيتي أم المؤمنين، وقد وردت القصة من حديث أم سلمة نفسها أخـــرجها الطبري في تهذيبه عنها قالت " جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو إليه الخدمة " فذكرت الحديث مختصرا.

فضـــيلة الدكـــتور / وما المعنى من قوله (فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقوم فقال مكانك ؟وعلام يشير ؟

نقول وبالله التوفيق :قوله :(فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا) أى هيئنا أنفسنا للنوم ففى روايةابن حبان عن على" فأتانا وعلينا قطيفة إذا لبسناها طولا خرجت منها جنوبـــنا وإذا لبسناها عرضا خرجت منها رءوسنا وأقدامنا)(فذهبت أقوم) وفي روايـــة القطان " فذهبنا نقوم " (فقال مكانك) وفي رواية غندر " مكانكما " وهو بالنصـــب أي الـــزما مكانكما. " " أي استمرا على ما أنتما عليه.وهذا يشير إلى لطفـــه بأهله وشفقته عليهم ويدل على أن من طرقه طارق بليل وبعد هدئة الناس لايجـــب عليه التجمل له ٠(فجلس بيننا)أى فقعد بيني وبينها وعند النسائي، " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضع قدمه بيني وبين فاطمة.(حتى وجدت برد قدميه).وعند مسلم " فخرج حتى أتى منزل فاطمة وقد دخلت هي وعلي في اللحاف فلما استأذن هما أن يلبسا فقال: كما أنتما، إني أخبرت أنك جئت تطلبين، فمـــا حاجتك؟ قالت: بلغني أنه قدم عليك خدم، فأحببت أن تعطيني خادما يكفيني الخبز والعجن فإنه قد شق علي، قال: فما جئت تطلبين أحب إليك أو ما هو خير مـــنه؟ قال علي: فغمزتها فقلت قولي ما هو خير منه أحب إلي، قال: فإذا كنتما على مثل حالكما الذي أنتما عليه فكبرا٠٠الحديث.

وفي رواية علي بن أعبد " فجلس عند رأسها فأدخلت رأسها في اللفاع حياء من أبـــيها " ويحمـــل على أنه فعل ذلك أولا، فلما تآنست به دخل معهما في الفراش مـــبالغة مـــنه في التأنيس، وزاد في رواية علي بن أعبد " فقال ما كان حاجتك أمـــس؟ فسكتت مرتين، فقلت: أنا والله أحدثك يا رسول الله فذكرته له " ويجمع

بـــين الـــروايتين بأنهـــا أولا استحيت فتكلم علي عنها، فأنشطت للكلام فأكملت القصة.

فضـــيلة الدكـــتور /قـــوله ﷺ ألاأدلكمـــا على ماهو خير لكما من الخادم) نريد إيضاحه وبيان ما به من استفهام وعلام يدل ؟ وماهو هذا الخير الأفضل لهما مـــن الخادم؟ نقول وبالله التوفيق :قوله (ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم)وفي رواية السائب " ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فقالا: بلى.

فقال: كلمات علمنيهن جبريل". وألا هنا استفتاحية لتنبيه المخاطب بأهمية مايلقى عليه والاستفهام هنا للتحضيض وهو الحث والطلب برفق على سبيل التشجيع . وأمـــا الخير الأفضل لهما من الخادم فهو قوله (إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضـــاجعكما)الشك من الراوى (فكبرا أربعا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين) كذا هنا بصيغة الأمر والجزم بأربع في التكبير.زادفى الطبرانى " فتلك مائة باللسان وألف في الميزان " وفي رواية عبيدة بن عمرو " .

فضيلة الدكتور / وماالذى يستفاد من هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق:

١- فيه ما كان عليه السلف الصالح من شظف العيش وقلة الشيء وشدة الحال. وأن الله حمـــاهم الدنـــيا مـــع إمكان ذلك صيانة لهم من تبعاتها، وتلك سنة أكثر الأنبياء والأولياء.

٢-: فيه حمل الإنسان أهله على ما يحمل عليه نفسه من إيثار الآخرة على الدنيا إذا كانت لهم قدرة على ذلك.

٣- فيه جواز دخول الرجل على ابنته وزوجها بعد لاستئذان وجلوسه بينهما في فراشهما، ومباشرة قدميه بعض جسدهما.ففى الطبرانى " فأتانا وقد دخلنا فراشنا فلمــا اســتأذن علينا تخششنا لنلبس علينا ثيابنا، فلما سمع ذلك قال: كما أنتما في لحافكما".

٤- وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام.

٥- وفــيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر ونهاية الاتحاد بــرفع الحشــمة والحجــاب حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضــطجاعهما، وبالغ حتى أدخل رجله بينهما ومكث بينهما حتى علمهما ما هو الأولــى بحالهمــا مــن الذكر عوضا عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيذانا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والصبر على مشاق الدنيا والتجافي عن دار الغرور.

٦- و فــيه دلالــة علــى مكانة أم المؤمنين من النبي صلى الله عليه وسلم حيث خصتها فاطمة بالسفارة بينها وبين أبيها دون سائر الأزواج.

٧- وفــيه أن مــن واظــب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياءولايتضرر بكثــرة العمل ولايشق عليه لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه وسلم على ذلك.

الحديث الخامس

زواج الغنى والفقير

روى الــبخارى بســنده عَــنْ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ:(مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُــولِ اللَّــهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَــفَّعَ قَــالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ رَسُــولُ اللَّــهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُــلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لايُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لايُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لايُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ من مِثْلِ هَذَا) صدق رسول الله ﷺ .

فضــيلة الأستاذ الدكتور / فى الجزء الأول من الحديث تقول الرواية مر رجل علــى رســول الله ﷺ فقال لرجل عنده : مارأيك فى هذا ؟ من الرجل الذى مر ومن الرجل الذى كان عند النبى ﷺ ؟ ومانوع الاستفهام فى قوله مارأيك فى هذا ؟

نقول وبالله التوفيق:قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسم الذى مر ٠وقيل أنه الأقــرع بن حابس أو عيينة بن حصن على ماسوف نوضح بعد ذلك وقوله (مر رجل وفي " باب الأكفاء في الدين " من أوائل النكاح فى البخارى عن أبي حازم " فقال ما تقولون في هذا " وهو خطاب للجماعة.والرجل الذى كان عند النبى هو الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى حيث قد وقع في رواية جبير بن نفير عن أبي ذر عــند أحمد وأبي يعلى وابن حبان بلفظ " قال لي النبي صلى الله عليه وسلم

انظــر إلــى أرفع رجل في المسجد في عينيك، قال فنظرت إلى رجل في حلة " الحديث، ومنه نعرف أن المسئول هو أبو ذر، ويجمع بينه وبين حديث سهل أن الخطــاب وقــع لجماعة منهم أبو ذر ووجه إليه فأجاب ولذلك نسبه لنفسه، وأما نــوع الاســتفهام فهــو استفهام تقريرى قصد به حمل المخاطب على الإقرار والاعتــراف بأمر قد استقر عنده بمكانة هذا المسئول عنه ومنزلته فى صدره وعند الناس ٠

فضيلة الدكتور / وكيف أجاب الصحابى على النبى وما معنى ماقال ؟

نقــول :قال (هذا من أشراف الناس)أى من علية القوم ووجهائهم إذا نظرنا إلى حســبه ونســبه وإلى ماعنده من مال وأهل ثم أضاف خصال من كان هذا حاله فقــال :(هذا والله حرى) أي جدير وحقيق وزنا ومعنى (إن خطب أن ينكح) أي تجــاب خطبــته فى بنات الأشراف وتتلهف عليه وتشتهيه زوجا من بهن إلحاف وولــدن لآباء فقراء ضعاف فهو لهم أمل بل حلم (وإن شفع أن يشفع) أي تقبل شفاعته وإن عظم الجرم لمكانته وكرامته على الناس، وزاد إبراهيم بن حمزة في روايــته " وإن قــال أن يستمع " أى أنه إذا تكلم لايمر حديثه دون أن يسمع له الناس فهو ممن يعتد بقوله ويجاب رأيه، وزاد ابن حبان "و إذا سأل أعطى وإذا حضــر أدخل".أى الأبوب جميعها لديه مفتوحة لايغلق فى وجهه باب ولايرد له ســؤال ولاجواب فهو من الكرام الأحباب وممن يصطفى من الأصحاب٠ ومن المعلوم أن الرجل لم ينل ذلك لكثرة طاعته وصلاحه ومكانته من ربه بل لأن الله تفضــل عليه وبسط له فى رزقه فكان له هذا المكان وأقول والناس على هذا فى كل مكان وزمان ٠

فضيلة الدكتور / يقول الحديث (ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله مارأيك فى هــذا ؟ من الرجل الذى مر هذه المرة وما نوع الاستفهام ؟ وكيف كانت إجابة أبى ذر رضى الله عنه ؟

نقــول وبالله التوفيق :قوله (ثم مر رجل آخر) أى " من فقراء المسلمين " وفي روايـــة ابن حبان " مسكين من أهل الصفة".وأما اسمه فقد ذكر محمد بن هارون الرويانـــي فـــي مســـنده وابن عبد الحكم في " فتوح مصر " ومحمد بن الربيع الجيزي في " مسند الصحابة الذين نزلوا مصر " ما يؤخذ منه تسمية المار الثاني ولفظـــه " أن النبـــي صلى الله عليه وسلم قال له أى لأبى ذر كيف ترى جعيلا؟ قلت: مسكينا كشكله من الناس، قال: فكيف ترى فلانا؟ قلت: سيدا من السادات، قـــال: فجعيل خير من ملء الأرض من مثل هذا.قال: فقلت يا رسول الله ففلان هكـــذا وتصنع به ما تصنع؟ قال: إنه رأس قومه فأتألفهم".وذكر ابن إسحاق في المغازي عن محمد بن إبراهيم التيمي مرسلا أو معضلا قال " قيل يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جعيلا.قال: والذي نفسي بيده لجعيل بن ســـراقة خير من طلاع الأرض مثل عيينة والأقرع، ولكني أتألفهما وأكل جعيلا إلى إيمانه٠ وأما لستفهام فكسابقه استفهام تقريرى أى قصد به حمل أبى ذر على الإقرارولعتراف بأمراستقر عنده ٠فى شأن الصحابى الثانى ٠

وكانـــت إجابة أبى ذر (يارسول الله :هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى إن خطـــب أن لايـــنكح) أى جديـــر ممن هذا حاله إن خطب امرأة من الفقراء أن لايـــنكح فمـــا بالك لو خطب غنية، وإن خطب امرأة قليلة الجمال تأبت عليه فما بالك بالجميلة ٠ (وإن شفع أن لا يشفع) أى إذاجاء فى شفاعة لإنسان لايؤبه به

ولايلـتفت إلى شفاعته بل إنه بحاجة إلى شفيع يشفع له ليسمع أصلا لقوله فمثل هـذا فـي الناس لايسمع له فى الأساس وعلى مثله يداس (وإن قال أن لايسمع لقوله)أى إن من هذاحاله إذا أراد أن يتحدث إلى الناس فى موضوع له لايجد له جـلاس ولاإنصـات ولا إحساس وقالوا من أنت حتى نسمع لك ؟ وماهو مبلغ علمـك ؟ لو كان فيك خيرا لنفعك ؟ولعلى فى الناس كعبك ؟هكذا تبكيت وتبهيت ولا يحلوا إلا على مثله التنكيت ٠

فضـيلة الدكـتور / وماذا كان رد الفعل من سيد السادات وحبيب رب الأرض والسماوات ؟

نقـول وبالله التوفيق :رد رسول الله مبينا أن قياس الله خلاف قياس الناس وأن أعظم الناس عند الله من أحسن التقوى واتخذها أساس وإن كان من أفلس الناس لايجـد ما يأكله ولاما يستره من لباس فقال قولا فصلا قطع به رقاب الجبارين وأعلـى بـه كعب المساكين فقال (هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا) قال الطيبـي: وقـع التفضيل بينهما باعتبارات مميزه وهو قوله بعد هذا لأن البيان والمبين شيء واحد، زاد أحمد وابن حبان " عند الله يوم القيامة " وفي رواية ابن حـبان الأخرى " خير من طلاع الأرض من الآخر " أي ما طلعت عليه الشمس من الأرض ،وزاد في آخر هذه الرواية " فقلت يا رسول الله أفلا يعطي هذا كما يعطي الآخر؟ قال: إذا أعطى خيرا فهو أهله وإذا صرف عنه فقد أعطى حسنة "

فضيلة الدكتور / وما الذى يرشد إليه هذا الحديث ؟ نقول وبالله التوفيق :

١- فـي الحديث بيان فضل جعيل المذكور وأن السيادة بمجرد الدنيا لا لا أثر لها، وإنما الاعتبار في ذلك بالآخرة حيث" إن العيش عيش الآخرة "

وأن الذي يفوته الحظ من الدنيا يعاض عنه بحسنة الآخرة فالآخرة خير وأبقى

٢- يجب أن نعامل الناس على أساس التقوى فإذا جائنا من نرتضى دينه وخلقه أن نزوجه ولانهمله ولانفضل عليه من معه مال ولكن لاخلاق له ٠

٣- استشارة ولى الأمر رعيته لبيان مافيه مصلحة الجماعة وله أيضا أن يخص شخصا بعينه كما فعل ﷺ مع أبى ذر ٠

٤- وفـيه أيضـا عـدم التزام الإمام بالأخذ برأى المستشار وإن كان المستشار مؤتمن فبصيرة الراعى أدرك وعلمه ببواطن الأمور أكثرمن غيره ٠

٥- وفيه حسن المداراة من رسول الله ﷺ حيث كان يتألف من لم يصل الإيمان فى قلبه إلى حد الكمال ٠

٦- وفـيه أيضا معرفة النبى لقوة إيمان أصحابه ومدى تحملهم وصبرهم وإيثار غيـرهم علـيهم وإن كـان لبعض الصحابة رأى آخر حيث أعطى الأقرع وعيينة بن حصن وترك جعيلا لكمال إيمانه رغم حاجته وفقره ٠

٧- وفـيه مـدى القـرب والملاصقة بين الصحابة ونبيهم حيث كان الصحابة الكرام يجلسون معه ويجلس أيضا معهم ٠

هذاوبالله التوفيق

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحديث السادس

تحاج آدم وموسى عند الله

روى البخارى بسنده عن أبى هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ثلاثًا)•

فضيلة الأستاذ الدكتور/ مامعنى احتج آدم وموسى ومتى كان ذلك وماهى آراء العلماءفى ذلك؟ ولماذا خص موسى بالذكر؟

نقول وبالله التوفيق :قوله (احتج آدم وموسى)وفي رواية همام ومالك " تحاج "وهي أوضح وفي رواية أخرى " حج آدم وموسى " وعليها شرح الطيبي فقال: معنى قوله حج آدم وموسى غلبه بالحجة وقوله بعد ذلك " قال موسى أنت آدم إلخ " توضيح لذلك وتفسير لما أجمل، وقوله في آخره " فحج آدم موسى " تقرير لما سبق وتأكيد له.وأما متى كان: فرواية يزيد بن هرمز تقول " عند ربهما " وفي حديث عمر " لقي موسى آدم " ، وأما أبو داود فلفظه كما تقدم " قال موسى يا رب أرني آدم " وقد اختلف العلماء في وقت هذا اللفظ فقيل: يحتمل أنه في زمان موسى فأحيا الله له آدم معجزة له فكلمه أو كشف له عن قبره فتحدثا أو أراه الله روحه كما أرى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أرواح الأنبياء أو أراه الله له في المنام ورؤيا الأنبياء وحي ولو كان يقع في بعضها ما يقبل التعبير كما في قصة الذبيح، أو كان ذلك بعد وفاة موسى فالتقيا في البرزخ أول

ما مات موسى فالتقت أرواحهما في السماء، وبذلك جزم ابن عبد البر والقابسي، وقد وقع في حديث عمر لما قال موسى: أنت آدم؟ قال له من أنت؟ قال أنا موسى وأن ذلك لم يقع بعد وإنما يقع في الآخرة: والتعبير عنه في الحديث بلفظ الماضي لتحقق وقوعه.وذكر ابن الجوزي احتمال التقائهما في البرزخ واحتمال أن يكون ذلك ضرب مثل والمعنى لو اجتمعا لقالا ذلك، وخص موسى بالذكر لكونه أول نبي بعث بالتكاليف الشديدة، قال: وهذا وإن احتمل لكن الأول أولى و قال: وهذا مما يجب الإيمان به لثبوته عن خبر الصادق وإن لم يطلع على كيفية الحال، وليس هو بأول ما يجب علينا الإيمان به وإن لم نقف على حقيقة معناه كعذاب القبر ونعيمه، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق إلا التسليم.وقال ابن عبد البر مثل هذا عندي يجب فيه التسليم ولا يوقف فيه على التحقيق لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلا.

فضيلة الدكتور/ نريد أيضاحا لقول موسى لآدم أنت أبونا ؟وماهونوع لاستفهام فيه ؟

نقول وبالله التوفيق :قوله (فقال له موسى ياآدم أنت أبونا) في رواية " أنت الناس وعند الشعبي " أنت آدم أبو البشر " (خيبتنا وأخرجتنا من الجنة)و في رواية " أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة " هكذا في أحاديث الأنبياء وفي رواية مالك " أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة " ومعنى أغويت كنت سببا لغواية من غوى منهم، وهو سبب بعيد إذ لو لم يقع الأكل من الشجرة لم يقع الإخراج من الجنة ولو لم يقع الإخراج ما تسلط عليهم الشهوات والشيطان المسبب عنهما الإغواء، والغي ضد الرشد وهو الانهماك في غير الطاعة ، وعن

أبي سلمة " أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك " وعند أحمد من طريقه " أنت الذي أدخلت ذريتك النار " والقول فيه كالقول في أغويت،و صنعت " وعن الأعرج " يا آدم خلقك الله بيده ثم نفخ فيك من روحه ثم قال لك كن فكنت ثم أمر الملائكة فسجدوا لك ثم قال لك (اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) فنهاك عن شجرة واحدة فعصيت " وأكلت منها " وفي حديث عمر بعد قوله أنت آدم " قال نعم، قال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها و أمر الملائكة فسجدوا لك، قال نعم، قال فلم أخرجتنا ونفسك من الجنة " وفي لفظ لأبي عوانة " فوالله لو لا ما فعلت ما دخل أحد من ذريتك النار " " فأهلكتنا وأغويتنا " ومن هذا وهذا نشعر بأن جميع ما ذكر في هذه الروايات محفوظ وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر وكلها يوضح الحوار بين آدم وموسى عليهما ونبينا الصلاة والسلام ٠ وقوله "أنت آدم " استفهام تقريرى، وإضافة الله خلق آدم إلى يده في الآية إضافة تشريف وكذا إضافة روحه إلى الله، ، والنفخ بمعنى الخلق أي خلق فيك الروح، ومعنى قوله أخرجتنا كنت سببا لإخراجنا كما تقدم تقريره، وقوله أغويتنا وأهلكتنا من إطلاق الكل على البعض بخلاف أخرجتنا فهو على عمومه، ومعنى قوله أخطأت وعصيت ونحوهما فعلت خلاف ما أمرت به، وأما قوله خيبتنا من الخيبة فالمراد به الحرمان، وقيل هي كأغويتنا من إطلاق الكل على البعض، والمراد من يجوز منه وقوع المعصية، ولا مانع من حمله على عمومه والمعنى أنه لو استمر على ترك الأكل من الشجرة لم يخرج منها ولو استمر فيها لولد له فيها وكان ولده سكان الجنة على الدوام، فلما وقع الإخراج فات أهل الطاعة من ولده استمرار

الدوام في الجنة وإن كانوا إليها ينتقلون، وفات أهل المعصية تأخر الكون في الجنة مدة الدنيا وما شاء الله من مدة العذاب في الآخرة إما مؤقتا في حق الموحدين وإما مستمرا في حق الكفار فهو حرمان نسبي.

فضـــيلة الدكـــتور / هذا الذى مر هو احتجاج موسى فما كان رد آدم عليه ؟ وماهو نوع لاستفهام فى قول آدم؟و ما المقصود بقوله أربعين سنة ؟

نقول وبالله التوفيق :(قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده)وفي رواية الأعرج " أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته " " وقربك نجيا وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء " وعند ابن سيرين " اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة •فقال نعم " وفي حديث عمر " قال أنا موسى، قال نبي بني إسرائيل؟ قال نعم، قال أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال نعم".فقال آدم (أتلومني على أمر قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين سنة) وعند أبي سلمة ولفظه " فكم تجد في التوراة أنه كتب على العمل الذي عملته قبل أن أخلق؟ قال: بأربعين سنة.قال: فكيف تلومني عليه " وعند أحمد " فهل وجدت فيها – يعني الألواح أو التوراة – أني أهبط " وفي رواية الشعبي: أفليس تجد فيما أنزل الله عليك أنه سيخرجني منها قبل أن يدخلنيها؟ قال بلى " فقال أنا أقدم أم الذكر؟ قال بل الذكر " فقال" فتلومني في شيء كتبه الله على قبل خلقي" ولاستفهام هنا أيضا استفهام تقريرىمن آدم لموسى وكأن المسئلة محاكمة بين موسى وآدم حيث ألقى موسى بحججه فى أن آدم كان سببا فى ضياع الناس وإخراجهم من النعمة ودفاع آدم عن نفسه دفاعا يثبت فيه أن ذنبه على نفسه

وأنه لم يأمر أحدا بمعصية الله وأن الأمر مقدر ولاحيلة فيه وأماالمقصود من قوله قبل أن أخلق بأربعين سنة٠فقد قال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد بالأربعين سنة ما بين قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) إلى نفخ الروح في آدم، وأجاب غيره أن ابتداء المدة وقت الكتابة في الألواح وآخرها ابتداء خلق آدم.وقال ابن الجوزي: المعلومات كلها قد أحاط بها علم الله القديم قبل وجود المخلوقات كلها، ولكن كتابتها وقعت في أوقات متفاوتة، وقد ثبت في الصحيح يعني صحيح مسلم " أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " فيجوز أن تكون قصة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بأربعين سنة، ويجوز أن يكون ذلك القدر مدة لبثه طينا إلى أن نفخت فيه الروح، فقد ثبت في صحيح مسلم أن بين تصويره طينا ونفخ الروح فيه كان مدة أربعين سنة، ولا يخالف ذلك كتابة المقادير عموما قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

وقال المازري: الأظهر أن المراد أنه كتبه قبل خلق آدم بأربعين عاما، ويحتمل أن يكون المراد أظهره للملائكة أو فعل فعلا ما أضاف إليه هذا التاريخ وإلا فمشيئة الله وتقديره قديم، والأشبه أنه أراد بقوله " قدره الله على قبل أن أخلق " أي كتبه في التوراة لقوله في الرواية المشار إليها قبل " فكم وجدته كتب في التوراة قبل أن أخلق " وقال النووي: المراد بتقديرها كتبه في اللوح المحفوظ أو في التوراة أو في الألواح، ولا يجوز أن يراد أصل القدر لأنه أزلي ولم يزل الله سبحانه تعالى مريدا لما يقع من خلقه.

فضيلة الدكتور / ومن كانت له الحجة فى هذه المحاكمة آدم أم موسى وعلام يرشد إليه الحديث ؟

نقــول وبالله التوفيق : كانت الحجة لآدم على موسى وهو ما ذكره النبى بقوله (فحــج آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثا) " وعند النسائي " فخصم آدم موسى، فخصم آدم موسى واتفق الرواة والنقلة والشراح على أن آدم بالرفع وهو الفاعل، هــي المعتمدة في ذلك، ومعني حجه غلبه بالحجة، يقال حاججت فلانا فحججته مثل خاصمت فخصمته،٠قال ابن عبد البر: هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله، قال: وليس فيه حجة للجبرية وإن كان في بادئ الرأي يساعدهم. وقال الخطابي في " معالم السنن ": يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد ويتوهم أن غلبة آدم كانت من هذا الوجه، وليس كذلك وإنما معناه الإخبار عن إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير سابق منه، فإن القدر اسم لما صدر عن فعل القادر، وإذا كان كذلك فقد نفي عنهم من وراء علم الله أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور عن قصد وتعمد واختيار، فالحجة إنما نلزمهم بها واللائمة إنما تتوجه عليها، وجماع القول في ذلك أنهما أمران لا يبدل أحدهما عن الآخر: أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء ونقضه وإنما جهة حجة آدم أن الله علم منهم أنه يتناول من الشجرة فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه، وإنما خلق للأرض وأنه لا يترك في الجنة بل ينقل منها إلى الأرض فكان تناوله من الشجرة سببا لإهباطه واستخلافه في الأرض كما قال تعالى قبل خلقه (إني جاعل في الأرض

خليفة) قال فلما لامه موسى عن نفسه قال له: أتلومني على أمر قدره الله علي؟ فاللوم عليه من قبلك ساقط عني إذ ليس لأحد أن يعير أحدا بذنب كان منه، لأنه الخلق كلهم تحت العبودية سواء، وإنما يتجه اللوم من قبل الله سبحانه وتعالى إذ كان نهاه فباشر ما نهاه عنه، قال: وقول موسى وإن كان في النفس منه شبهة وفي ظاهره تعلق لاحتجاجه بالسب لكن تعلق آدم بالقدر أرجح فلهذا غلبه.
والغلبة تقع مع المعارضة كما تقع مع البرهان انتهى ملخصا.
وقال في أعلام الحديث نحوه ملخصا وزاد: ومعنى قوله " فحج آدم موسى " دفع حجته التي ألزمه اللوم بها.

قال: ولم يقع من آدم إنكار لما صدر منه بل عارضه بأمر دفع به عنه اللوم.
نقول: ولم يتلخص من كلامه مع تطويله في الموضعين دفع للشبهة إلا في دعواه أنه ليس للآدمي أن يلوم آخر مثله على فعل ما قدره الله عليه، وإنما يكون ذلك لله تعالى لأنه هو الذي أمره ونهاه.
وللمعترض أن يقول: وما المانع إذا كان ذلك لله أن يباشره من تلقى عن الله من رسوله ومن تلقى عن رسله ممن أمر بالتبليغ عنهم؟ وقال القرطبي: إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه فكان لومه له على ذلك نوع جفاء كما يقال ذكر الجفاء بعث حصول الصفاء جفاء، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلا .
وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين، وهو المعتمد.
وقد أنكر القدرية هذا الحديث لأنه صريح في إثبات القدر السابق وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم لآدم على الاحتجاج به وشهادته بأنه غلب موسى فقالوا: لا

يصح لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه، وقد قتل هو نفسا لم يؤمر بقتلها، ثم قال: رب اغفر لي، فغفر له، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له؟ ثانيها لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذي فرغ من كتابته على العبد لا يصح هذا لكان من عوتب على معصية قد ارتكبها فيحتج بالقدر السابق ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود ولاحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش، وهذا يفضي إلى لوازم قطعية، فدل ذلك على أن هذا الحديث لا أصل له. **والجواب على ذلك من أوجه:**

أحدها: أن آدم إنما احتج بالقدر على المعصية لا المخالفة، فإن محصل لوم موسى إنما هو على الإخراج فكأنه قال أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على الأكل من الشجر والذي رتب ذلك قدره قبل أن أخلق فكيف تلومني على أمر ليس لي فيه نسبة إلا الأكل من الشجرة والإخراج المرتب عليها ليس من فعلي.

ثانيها: إنما حكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم بالحجة في معنى خاص وذلك لأنه لو كانت في المعنى العام لما تقدم من الله تعالى لومه بقوله (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) ولا أخذه بذلك حتى أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض، ولكن لما أخذ موسى في لومه وقدم قوله له أنت الذي خلقك الله بيده وأنت وأنت لما فعلت كذا؟ عارضه آدم بقوله أنت الذي اصطفاك الله وأنت وأنت.

وحاصل جوابه إذا كنت بهذه المنزلة كيف يخفى عليك أنه لا محيد من القدر، وإنما وقعت **الغلبة لآدم من وجهين:**

أحدهما: أنه ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقا في وقوع ما قدر عليه إلا بإذن من الله تعالى فيكون الشارع هو اللائم، فلما أخذ موسى في لومه من غير أن يؤذن له في ذلك عارضه بالقدر فأسكته.

والثاني: أن الذي فعله آدم اجتمع فيه القدر والكسب، والتوبة تمحو أثر الكسب، وقد كان الله تاب عليه فلم يبق إلا القدر، والقدر لا يتوجه عليه لوم لأنه فعل الله ولا يسأل عما يفعل.

ثالثها: قال ابن عبد البر: هذا عندي مخصوص بآدم لأن المناظرة بينهما وقعت بعـد أن تاب الله على آدم قطعا كما قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة لأنه كان قد تيب عليه من ذلك وإلا فلا يجوز لأحد أن يقول لمن لامه على ارتكاب معصية كمـا لو قتل أو زنا أو سرق: هذا سبق في علم الله وقدره علي قبل أن يخلقني فليس لك أن تلومني عليه، فإن الأمة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك بل على استحباب ذلك كما أجمعوا على استحباب محمدة من واظب على الطاعة.

قال: وقد حكى ابن وهب في كتاب القدر عن مالك عن يحيى بن سعيد أن ذلك كان من آدم بعد أن تيب عليه.

رابعها: إنما توجهت الحجة لآدم لأن موسى لامه بعد أن مات واللوم إنما يتوجه على المكلف ما دام في دار التكليف، فإن الأحكام حينئذ جارية عليهم، فيلام العاصي ويقام عليه الحد والقصاص وغير ذلك، وأما بعد أن يموت فقد ثبت النهي عن سبب الأموات " ولا تذكروا موتاكم إلا بخير " لأن مرجع أمرهم إلى الله، وقد ثبت أنه لا يثني العقوبة على من أقيم عليه الحد، بل ورد النهي عن

التثريب على الأمة إذا زنت وأقيم عليها الحد، وإذا كان كذلك فلوم موسى لآدم إنما وقع بعد انتقاله عن دار التكليف، وثبت أن الله تاب عليه فسقط عنه اللوم، فلذلك عدل إلى الاحتجاج بالقدر السابق وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه غلب موسى بالحجة.

قال المازري: لما تاب الله على آدم صار ذكر ما صدر منه إنما هو كالبحث عن السبب الذي دعاه إلى ذلك، فأخبر هو أن الأصل في ذلك القضاء السابق فلذلك غلب بالحجة. وقال الداودي فيما نقله ابن التين: إنما قامت حجة آدم لأن الله خلقه ليجعله في الأرض خليفة، فلم يحتج آدم في أكله من الشجرة بسابق العلم لأنه كان عن اختيار منه، وإنما احتج بالقدر لخروجه لأنه لم يكن بد من ذلك. وقيل إن آدم أب وموسى ابن وليس للابن أن يلوم أباه، حكاه القرطبي وغيره، ومنهم من عبر عنه بأن آدم أكبر منه، وتعقبه بأنه بعيد من معنى الحديث، ثم هو ليس على عمومه بل يجوز للابن أن يلوم أباه في عدة مواطن، وقيل إنما غلبه لأنهما شريعتين متغايرتين، وتعقب بأنها دعوى لا دليل عليها، ومن أين يعلم أنه كان في شريعة آدم أن المخالف يحتج بسابق القدر وفي شريعة موسى أنه لا يحتج أو أنه يتوجه له اللوم على المخالف، وفي الجملة فأصح الأجوبة **الثاني والثالث**، ولا تنافي بينهما فيمكن أن يمتزج منهما جواب واحد وهو أن التائب لا يلام على ما يتب عليه منه ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف.

وقد سلك النووي هذا المسلك فقال: معنى كلام آدم أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب علي قبل أن أخلق فلا بد من وقوعه، ولو حرصت أنا والخلق أجمعون

علـــى رد مـــثقال ذر منه لم نقدر فلا تلمني فإن اللوم على المخالفة شرعي لا عقلي، وإذا تاب الله علي وغفر لي زال اللوم فمن لامني كان محجوجا بالشرع.
فإن قيل فالعاصي اليوم لو قال هذه المعصية قدرت على فينبغي أن يسقط عني اللوم قلنا الفرق أن هذا العاصي باق في دار التكليف جارية عليه الأحكام من العقوبة واللوم وفي ذلك له ولغيره زجر وعظة، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف مستغن عن الزجر فلم يكن للومه فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل فلذلك كان الغلبة له. وقال التوربشتي: ليس معنى قوله كتبه الله علي ألزمني به وإنما معناه أثبته في أم الكتاب قبل أن يخلق آدم وحكم أن ذلك كائن.
ثم إن هذه المحاجة إنما وقعت في العالم العلوي عند ملتقى الأرواح ولم تقع في عالم الأسباب، والفرق بينهما أن عالم الأسباب لا يجوز قطع النظر فيه عن الوسائط والاكتساب، بخلاف العالم العلوي بعد انقطاع موجب الكسب وارتفاع الأحكام التكليفية، فلذلك احتج آدم بالقدر السابق.
نقـــول: وهـــو محصل بعض الأجوبة المتقدم ذكرها، وفيه استعمال التعريض بصيغة المدح يؤخذ ذلك من قول آدم لموسى " أنت الذي اصطفاك الله برسالته " إلـــى آخر ما خاطبه به، وذلك أنه أشار بذلك إلى أنه اطلع على عذره وعرفه بالوحـــي فلو استحضر ذلك ما لامه مع وضوح عذره، وأيضا ففيه إشارة إلى شـــيء آخر أعم من ذلك وإن كان لموسى فيه اختصاص فكأنه قال: لو لم يقع إخراجي الذي رتب على أكلي من الشجرة ما حصلت لك هذه المناقب لأني لو بقيت في الجنة واستمر نسلي فيها ما وجد من تجاهر بالكفر الشنيع بما جاهر به

فـــرعون حتـــى أرسلت أنت إليه وأعطيت ما أعطيت، فإذا كنت أنا السبب في حصول هذه الفضائل لك فكيف يسوغ لك أن تلومني.

قـــال الطيبـــي مذهب الجبرية إثبات القدرة لله ونفيها عن العبد أصلا، ومذهب المعتزلة بخلافه، وكلاهما من الإفراط والتفريط على شفا جرف هار، والطريق المستقيم القصد، فلما كان سياق كلام موسى يؤول إلى الثاني بأن صدر الجملة بحرف الإنكار والتعجب وصرح باسم آدم ووصفه بالصفات التي كل واحدة منها مستقلة في علية عدم ارتكابه المخالفة ثم أسند الإهباط إليه ونفس الإهباط منزلة دون فكأنه قال: ما أبعد هذا الانحطاط من تلك المناصب العالية، فأجاب آدم بما يقابلها بل أبلغ فصدر الجملة بهمزة الإنكار أيضا وصرح باسم موسى ووصفه بصفات كل واحدة مستقلة في علية عدم الإنكار عليه، ثم رتب العلم الأزلي على ذلك، ثم أتى بهمزة الإنكار بدل كلمة الاستبعاد فكأنه قال: تجد في التوراة هذا ثم تلومني قال: وفي هذا التقرير تنبيه على تحري قصد الأمور.

قـــال وختم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله " فحج آدم موسى " تنبيها على أن بعض أمته كالمعتزلة ينكرون القدر فاهتم لذلك وبالغ في الإرشاد.

نقـــول: ويقرب من هذا ما تقدم في كتاب الإيمان في الرد على المرجئة بحديث ابـــن مسعود رفعه " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " فلما كان المقام مقام الرد علـــى المرجئة اكتفى به معرضا عما يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفـــرين بالذنب اعتمادا على ما تقرر من دفعه في مكانه، فكذلك هنا لما كان المـــراد بـــه الرد على القدرية الذين ينكرون سبق القدر اكتفى به معرضا عما يوهمه ظاهر من تقوية مذهب الجبرية لما تقرر من دفعه في مكانه والله أعلم.

وأما مايرشد إليه الحديث خلاف ماتقدم فيتمثل فى الآتى :

١- قال القاضي عياض ففيه حجة لأهل السنة في أن الجنة التي أخرج منها آدم هي جنة الخلد التي وعد المتقون ويدخلونها في الآخرة،

٢-وفـيه إطـلاق العموم وإرادة الخصوص في قوله " أعطاك علم كل شيء " والمراد به كتابه المنزل عليه وكل شيء يتعلق به؛ وليس المراد عمومه لأنه قد أقر الخضر على قوله " وإني على علم من علم الله لا تعلمه أنت "

٣- وفيه مشروعية الحجج في المناظرة لإظهار طلب الحق وإباحة التوبيخ والتعريض في أثناء الحجاج ليتوصل إلى ظهور الحجة وأن اللوم على من أيقن وعلم اشد من اللوم على من لم يحصل له ذلك.

٤- وفيه مناظرة العالم من هو أكبر منه والابن أباه ومحل مشروعية ذلك إذا كان لإظهار الحق أو الازدياد من العلم والوقوف على حقائق الأمور.

٥- وفيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر وخلق أفعال العباد.

٦-وفيه أنه يغتفر للشخص في بعض الأحوال ما لا يغتفر في بعض كحالة الغضب والأسف وخصوصا ممن طبع على حدة الخلق وشدة الغضب، فإن موسى عليه السلام لما غلبت عليه حالة الإنكار في المناظرة خاطب آدم مع كونه والده باسمه مجردا وخاطبه بأشياء لم يكن ليخاطب بها في غير تلك الحالة، ومع ذلك أقره على ذلك وعدل إلى معارضته فيما أبداه من الحجة في دفع شبهته. هذا وبالله التوفيق .

الحديث السابع

خلف السوء وأثره

روى البخارى بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ).

فضيلة الدكتور / ماهى مكانة الوالدين فى الإسلام ؟

نقول وبالله التوفيق :إن الإسلام كرم الأبوين تكريما عظيما وجعل رضاهما من رضا الله وسخطهما من سخطه حيث إنهما سبب الوجود ومصدر الحياة يقول تعالى (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) ويقول الحبيب صلى الله عليه وسلم (رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين) وقد روى عن الحبيب قوله (يفعل البار ما يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يفعل فلن يدخل الجنة) .

فضيلة الدكتور / ماهو الواجب على الآباء وما هو الواجب على الأبناء ؟

نقول وبالله التوفيق / الواجب على الآباء هو حسن تربية الأبناء التربية الصالحة،وتوجيههم التوجيه انكريم، ووزن معاملاتهم بميزان الشرع الحنيف، وإقامة العدل بينهم فى المودة لهم والرحمة بهم، حيث إن عاقبة أفعالهم تعود عليهم ففى الدعاء (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) فإن لم تكن التربية كما أراد الله ، كان الدعاء على غير المراد أيضا، فكم نرى ونشاهد من هو ساب لوالديه لاعن لهما سواء أكانوا أحياء أو أموات، ويكون ذلك نتيجة لسوء

التربية وعدم العدل بين الأبناء وتمييز بعضهم على بعض فى العطية أو الأولوية فى بعض الأمور أويحيي الأباء لأنفسهم وينسون أبناءهم فتكون العاقبة اللعن والسب لهما وإهمال الدعاء بالخير •**وأما واجب الأبناء نحو آباءهم** : فهو العطف، وعدم رد الإساءة بالعنف، وأن تكون الإجابات على تساؤلاتهم بلطف، والنهى التام عن التأفف أو قولة أف، وهناك فرق بين أن تختلف وجهات النظر، وأن تظهر الضيق والضجر وقذفك فى وجوههم كلاما هو أقسى من الصخر والحجر، وإياك أن تنسى أنهما أبواك ، وأنهما فى يوم كانا كل شيىء لك، يوم كان لا شيء لك، وكنت أيضا لاشيىء، فإن أساءا فأحسن، وإن أهانا فأكرم، وإن ابتعدا فاقترب، ولاتسيء لهما فى يوم الأدب، حتى ولو الخلاف دب، ورأيت منهما كل كرب

فضيلة الدكتور / يقول الحديث الذى معنا إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه)نريد إيضاح هذه الفقرة ؟

نقول وبالله التوفيق : عقوق الوالدين يعد من أكبر الكبائر، والمذكور هنا فرد من أفراد العقوق، وإن كان التسبب إلى لعن الوالد من أكبر الكبائر فالتصريح بلعنه أشد، وهذا لون من العقوق يقع فيه كثير من الناس وهم لايدرون فأراد الحبيب بيانه وإيضاحه ولذا كانت الغرابة من الصحابة حيث سأل أحدهم النبى فقال (يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟)•

فضيلة الدكتور / هنا استفهام من الصحابى نرجوا توضيحه ؟

نقول وبالله التوفيق:هواستفهام استبعاد من السائل استبعد فيه أن يسب المرء والديه لأن الطبع المستقيم والذوق السليم يأبيان ذلك، فبين في الجواب أنه وإن لم

يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه، وهو ما يقع كثيراوعبر عنه الحبيب صلىالله عليه وسلم بقوله (يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه)وما قاله الحبيب يؤيده الواقع حيث إن أكثر الشباب لايحلوا لهم الحوار أو الهزارإلا بسب الأب أو الأم بل و يتفكهون بذلك حيث توصف الأم بأحقر الأوصاف وأرذلها أمام ابنها الذى لايألوا جهدا إلا أن يكيل لأب أو أم زميله الذى قام بسبه فى أبيه أو أمه بأحقر الألفاظ أيضا ودواليك الكل يتبارى فى السب واللعن والتحقير والطعن وهكذا تكون مكافئة كل مخبول ومجنون لأبيه وأمه وهو ماحذر منه الحبيب صلى الله عليه وسلم ولذا يجب على كل مسلم عاقل أن لايوقع نفسه فى براسن الشيطان فيسب أى إنسان أو أن يصادق من كان طبعه السب والشتم والوقوع فى الأعراض حيث إن الله لايحب الفاحش البذىء والمجاهر بالسوء من القول فالنظافة من الإيمان وأولى بالنظافة اللسان قال ابن بطال: هذا الحديث أصل في سد الذرائع ويؤخذ منه: أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل وإن لم يقصد إلى ما يحرم، والأصل في هذا الحديث قوله تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) الآية.

فضيلة الدكتور / وما الذى يرشد إليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق :

١- فيه دليل على عظم حق الأبوين.

٢-وفيه العمل بالغالب لأن الذي يسب أبا الرجل يجوز أن يسب الآخر أباه ويجوز أن لا يفعل لكن الغالب أن يجيبه بنحو قوله.

٣-وفيه مراجعة الطالب لشيخه فيما يقوله مما يشكل عليه.

٤-وفيه إثبات الكبائر وأن عقوق الوالدين من الكبائر ٠،

٥-وفيه أن الأصل يفضل الفرع بأصل الوضع ولو فضله الفرع ببعض الصفات.أى إن الأب يفضل ولده على أى حال كان الإبن من المنصب والجاه ٠

٦- وفيه أن الإنسان قد يفوته عاقبة فعل يفعله فى حينه غير متصور لما يترتب عليه من البلايا والمصائب وإن كان ظاهر الأمر لايؤدى إلى ذلك ٠

هذا :وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحديث الثامن

الرحمة بالصغير والتباسط معه

روى البخارى بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيماً وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا)

فضيلة الدكتور/ لماذا وصف أنس بن مالك النبى بهذا الوصف ؟

نقول وبالله التوفيق: وصفه فى قوله (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا) قاله أنس توطئة لما يريد من قصة الصبي، وأول حديث شعبة عن أنس قال " إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا " " يعني لبيت أبي طلحة وأم سليم، ولأبي يعلىمن طريق خالد بن عبد الله عن حميد " كان يأتي أم سليم وينام على فراشها، وكان إذا مشى يتوكأ " ولسعيد بن منصور عن ربعي بن عبد الله بن الجارود عن أنس " كان يزور أم سليم فتتحفه بالشيء تصنعه له".

قوله: (وكان لي أخ يقال له أبو عمير) هو بالتصغير.

وفي رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند أحمد " كان لي أخ صغير " وهو أخو أنس بن مالك من أمه.

قوله: (وكان) أي النبي صلى الله عليه وسلم " إذا جاء لأم سليم يمازحه "، وفي أخرى " يضاحكه " وفي رواية محمد بن قيس يهازله.

فضيلة الدكتور/قول النبى يأبا عمير مافعل النغير؟لماذا سأله النبى ومانوع لاستفهام ؟

نقول وبالله التوفيق : قوله: (يا أبا عمير)و في رواية ربعي بن عبد الله " فزارنا ذات يوم فقال: يا أم سليم ما شأني أرى أبا عمير ابنك خائر النفس " أي ثقيل النفس غير نشيط.و عن حميد " فجاء يوما وقد مات نغيره " زاد مروان " الذي كان يلعب به" فوجده حزينا، فسأل عنه فأخبرته فقال: يا أبا عمير "قوله: (ما فعل النغير) بنون ومعجمة وراء مصغر، وهوسؤال قصد به وعرفة حال الطائر الذى كان يلعب به على سبيل التبسط و الممازحة

و(نغير كان يلعب به) وهو طير صغير واحد نغرة وجمعه نغران، قال الخطابي طوير له صوت، وفيه نظر فإنه ورد في بعض طرقه أنه الصعو بمهملتين بوزن العفو كما في رواية ربعي " فقالت أم سليم ماتت صعوته التي كان يلعب بها، فقال أي أبا عمير مات النغير " فدل على أنهما شيء واحد والصعو لا يوصف بحسن الصوت، قال الشاعر: كالصعو يــرتع في الرياض وإنما حبس الهزار لأنه يترنم

قال عياض: النغير طائر معروف يشبه العصفور، وقيل هي فرخ العصافير، وقيل هي نوع من الحمر بضم المهملة وتشديد الميم ثم راء، قال: والراجح أن النغير طائر أحمر المنقار.

قوله: (فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا الخ) تقدم شرحه مستوفى في كتاب الصلاة، وتقدمت الإشارة إليه قريبا أيضا.

وفي هذا الحديث عدة فوائد جمعها أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص الفقيه الشافعي صاحب التصانيف في جزء مفرد، بعد أن أخرجه من وجهين عن شعبة عن أبي التياح، ومن وجهين عن حميد عن أنس،

ومن طريق محمد بن سيرين، وقد جمعت في هذا الموضع طرقه وتتبعت ما في رواية كل منهم من فائدة زائدة.

وذكر ابن القاص في أول كتابه أن بعض الناس عاب على أهل الحديث أنهم يروون أشياء لا فائدة فيها، ومثل ذلك بحديث أبي عمير هذا قال: وما درى أن في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجها.

ثم ساقها مبسوطة،

قال الحافظ ابن حجر : فلخصتها مستوفيا مقاصده، ثم أتبعته بما تيسر من الزوائد عليه فقال:

١- فيه استحباب التأني في المشي، وزيارة الإخوان، وجواز زيارة الرجل للمرأة الأجنبية إذا لم تكن شابة وأمنت الفتنة، وتخصيص الإمام بعض الرعية بالزيارة، ومخالطة بعض الرعية دون بعض، ومشي الحاكم وحده، وأن كثرة الزيارة لا تنقص المودة، وأن قوله " زر غبا تزدد حبا " مخصوص بمن يزور لطمع، وأن النهي عن كثرة مخالطة الناس مخصوص بمن يخشى الفتنة أو الضرر.

٢- وفيه مشروعية المصافحة لقول أنس فيه " ما مسست كفا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم " وتخصيص ذلك بالرجل دون المرأة، وأن الذي مضى في صفته صلى الله عليه وسلم أنه " كان شثن الكفين " خاص بعبالة الجسم لا بخشونة اللمس.

٣- وفيه استحباب صلاة الزائر في بيت المزور ولا سيما إن كان الزائر ممن يتبرك به، وجواز الصلاة على الحصير، وترك التقزز لأنه علم أن في البيت صغيرا وصلى مع ذلك في البيت وجلس فيه.

٤- وفيه أن الأشياء على يقين الطهارة لأن نضحهم البساط إنما كان للتنظيف وفيه أن الاختيار للمصلي أن يقوم على أروح الأحوال وأمكنها، خلافا لمن استحب من المشددين في العبادة أن يقوم على أجهدها.

٥- وفيه جواز حمل العالم علمه إلى من يستفيده منه، وفضيلة لآل أبي طلحة ولبيته إذ صار في بيتهم قبلة يقطع بصحتها.

٦- وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه.

٧- وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح، وأن الذي ورد في صفة المنافق أن سره يخالف علانيته ليس على عمومه.

٨- وفيه الحكم على ما يظهر من الأمارات في الوجه من حزن أو غيره.

٩- وفيه جواز الاستدلال بالعين على حال صاحبها، إذ استدل صلى الله عليه وسلم بالحزن الظاهر على الحزن الكامن حتى حكم بأنه حزين فسأل أمه عن حزنه.

١٠- وفيه التلطف بالصديق صغيرا كان أو كبيرا، والسؤال عن حاله، وأن الخبر الوارد في الزجر عن بكاء الصبي محمول على ما إذا بكى عن سبب عامدا ومن أذى بغير حق.

١١-وفيه قبول خبر الواحد لأن الذي أجاب عن سبب حزن أبي عمير كان كذلك.

١٢- وفيه جواز تكنية من لم يولد له، وجواز لعب الصغير بالطير، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات، وجواز إمساك الطير في القفص ونحوه، وقص جناح الطير إذ لا يخلو حال طير أبي عمير من واحد منهما وأيهما كان الواقع التحق به الآخر في الحكم.

١٣- وفيه جواز إدخال الصيد من الحل إلى الحرم وإمساكه بعد إدخاله، خلافا لمن منع من إمساكه وقاسه على من صاد ثم أحرم فإنه يجب عليه الإرسال.

١٤- وفيه جواز تصغير الاسم ولو كان لحيوان، وجواز مواجهة الصغير بالخطاب خلافا لمن قال: الحكيم لا يواجه بالخطاب إلا من يعقل ويفهم، قال: والصواب الجواز حيث لا يكون هناك طلب جواب، ومن ثم لم يخاطبه في السؤال عن حاله بل سأل غيره.

وفيه معاشرة الناس على قدر عقولهم.

١٥- وفيه جواز قيلولة الشخص في بيت غير بيت زوجته ولو لم تكن فيه زوجته، ومشروعية القيلولة، وجواز قيلولة الحاكم في بيت بعض رعيته ولو كانت امرأة، وجواز دخول الرجل بيت المرأة وزوجها غائب ولو لم يكن محرما إذا انتفت الفتنة.

١٦- وفيه إكرام الزائر وأن التنعم الخفيف لا ينافي السنة، وأن تشييع المزور الزائر ليس على الوجوب.

١٧- وفيه أن الكبير إذا زار قوما واسى بينهم، فإنه صافح أنسا، ومازح أبا عمير، ونام على فراش أم سليم، وصلى بهم في بيتهم حتى نالوا كلهم من بركته، انتهى ما لخصته من كلامه فيما استنبط من فوائد حديث أنس في قصة أبي عمير.

ثم ذكر فصلا في فائدة تتبع طرق الحديث، فمن ذلك الخروج من خلاف من شرط في قبول الخبر أن تتعدد طرقه، فقيل لاثنين وقيل لثلاثة وقيل لأربعة وقيل حتى يستحق اسم الشهرة، فكان في جميع الطرق ما يحصل المقصود لكل أحد غالبا، وفي جميع الطرق أيضا، ومعرفة من رواها، وكميتها العلم بمراتب الرواة في الكثرة والقلة.

١٨- وفيها الاطلاع على علة الخبر بانكشاف غلط الغالط وبيان تدليس المدلس وتوصيل المعنعن.

ثم قال: وفيما يسره الله تعالى من جمع طرق هذا الحديث واستنباط فوائده ما يحصل به التمييز بين أهل الفهم في النقل وغيرهم ممن لا يهتدي لتحصيل ذلك، مع أن العين المستنبط منها واحدة، ولكن من عجائب اللطيف الخبير أنها تسقى بماء واحد؛ ونفضل بعضها على بعض في الأكل هذا آخر كلامه ملخصا.

وقد سبق إلى التنبيه على فوائد قصة أبي عمير بخصوصها من القدماء أبو حاتم الرازي أحد أئمة الحديث وشيوخ أصحاب السنن، ثم تلاه الترمذي في " الشمائل " ثم تلاه الخطابي، وجميع ما ذكروه يقرب من عشرة فوائد فقط، وقد ساق شيخنا في " شرح الترمذي " ما ذكره ابن القاص بتمامه ثم قال: ومن هذه الأوجه ما هو واضح، ومنها الخفي، ومنها المتعسف.

قال: والفوائد التي ذكرها آخرا وأكمل بها الستين هي من فائدة جمع طرق الحديث لا من خصوص هذا الحديث.

وقد بقي من فوائد هذا الحديث أن بعض المالكية والخطابي من الشافعية استدلوا به على أن صيد المدينة لا يحرم، وتعقب باحتمال ما قاله ابن القاص أنه صيد في الحل ثم أدخل الحرم فلذلك أبيح إمساكه، وبهذا أجاب مالك في " المدونة " ونقله ابن المنذر عن أحمد والكوفيين، ولا يلزم منه أن حرم المدينة لا يحرم صيده.

وأجاب ابن التين بأن ذلك كان قبل تحريم صيد حرم المدينة، وعكسه بعض الحنفية فقال قصة أبي عمير تدل على نسخ الخبر الدال على تحريم صيد المدينة، وكلا القولين متعقب.

وما أجاب به ابن القاص من مخاطبة من لا يميز التحقيق فيه جواز مواجهته بالخطاب إذا فهم الخطاب وكان في ذلك فائدة ولو بالتأنيس له، وكذا في تعليمه الحكم الشرعي عند قصد تمرينه عليه من الصغر كما في قصة الحسن بن علي لما وضع التمرة في فيه قال له " كخ كخ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة " كما تقدم بسطه في موضعه، ويجوز أيضا مطلقا إذا كان القصد بذلك خطاب من حضر أو استفهامه ممن يعقل، وكثيرا ما يقال للصغير الذي لا يفهم أصلا إذا كان ظاهر الوعك: كيف أنت؟ والمراد سؤال كافله أو حامله.

وذكر ابن بطال من فوائد هذا الحديث أيضا استحباب النضح فيما لم يتيقن طهارته.

١٩- وفيه أن أسماء الأعلام لا يقصد معانيها، وأن إطلاقها على المسمى لا يستلزم الكذب، لأن الصبي لم يكن أبا وقد دعي أبا عمير.

وفيه جواز السجع في الكلام إذا لم يكن متكلفا، وأن ذلك لا يمتنع من النبي كما امتنع منه إنشاء الشعر.

٢٠- وفيه إتحاف الزائر بصنيع ما يعرف أنه يعجبه من مأكول أو غيره.

٢١- وفيه جواز الرواية بالمعنى، لأن القصة واحدة وقد جاءت بألفاظ مختلفة.

٢٢- وفيه جواز الاقتصار على بعض الحديث، وجواز الإتيان به تارة مطولا وتارة ملخصا، وجميع ذلك يحتمل أن يكون من أنس ويحتمل أن يكون ممن بعده، والذي يظهر أن بعض ذلك منه والكثير منه ممن بعده، وذلك يظهر من اتحاد المخارج واختلافها.

٢٣- وفيه مسح رأس الصغير للملاطفة، وفيه دعاء الشخص بتصغير اسمه عند عدم الإيذاء، وفيه جواز السؤال عما السائل به عالم لقوله " ما فعل النغير "؟ بعد علمه بأنه مات.

٢٤- وفيه إكرام أقارب الخادم وإظهار المحبة لهم، لأن جميع ما ذكر من صنيع النبي صلى الله عليه وسلم مع أم سليم وذويها كان غالبا بواسطة خدمة أنس له.

وقد نوزع ابن القاص في الاستدلال به على إطلاق جواز لعب الصغير بالطير، فقال أبو عبد الملك: يجوز أن يكون ذلك منسوخا بالنهي عن تعذيب الحيوان.

وقال القرطبي: الحق أن لا نسخ، بل الذي رخص فيه للصبي إمساك الطير ليلتهي به، وأما تمكينه من تعذيبه ولا سيما حتى يموت فلم يبح قط.

ومن الفوائد التي لم يذكرها ابن القاص ولا غيره في قصة أبي عمير أن عند أحمد في آخر رواية عمارة بن زاذان عن ثابت عن أنس " فمرض الصبي فهلك " فذكر الحديث في قصة موته وما وقع لأم سليم من كتمان ذلك عن أبي طلحة حتى نام معها، ثم أخبرته لما أصبح فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا لهم فحملت ثم وضعت غلاما، فأحضره أنس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه عبد الله، وقد تقدم ذلك مستوفى في كتاب الجنائز، وتأتي الإشارة إلى بعضه في " باب المعاريض " قريبا.

وقد جزم الدمياطي في " أنساب الخزرج " بأن أبا عمير مات صغيرا وقال ابن الأثير في ترجمته في الصحابة: لعله الغلام الذي جرى لأم سليم وأبي طلحة في أمره ما جرى، وكأنه لم يستحضر رواية عمارة بن زاذان المصرحة بذلك فذكره احتمالا، ولم أر عند من ذكر أبا عمير في الصحابة له غير قصة النغير، ولا ذكروا له اسما، بل جزم بعض الشراح بأن اسمه كنيته، فعلى هذا يكون ذلك من فوائد هذا الحديث، وهو جعل الاسم المصدر بأب أو أم اسما علما من غير أن يكون له اسم غيره، لكن قد يؤخذ من قول أنس في رواية ربعي بن عبد الله " يكنى أبا عمير " أن له اسما غير كنيته.

وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه من رواية هشيم عن أبي عمير بن أنس بن مالك عن عمومة له حديثا، وأبو عمير هذا ذكروا أنه كان أكبر ولد أنس وذكروا أن اسمه عبد الله كما جزم به الحاكم أبو أحمد وغيره، فلعل أنسا سماه باسم أخيه لأمه وكناه بكنيته، ويكون أبو طلحة سمى ابنه الذي رزقه خلفا من أبي عمير باسم أبي عمير لكنه لم يكنه بكنيته، والله أعلم.

ثم وجدت في كتاب النساء لأبي الفرج بن الجوزي قد أخرج في أواخره في ترجمة أم سليم من طريق محمد بن عمرو وهو أبو سهل البصري وفيه مقال عن حفص بن عبيد الله عن أنس أن أبا طلحة زوج أم سليم كان له منها ابن يقال له حفص غلام قد ترعرع فأصبح أبو طلحة وهو صائم في بعض شغله فذكر قصة نحو القصة التي في الصحيح بطولها في موت الغلام ونومها مع أبي طلحة وقولها " أرأيت لو أن رجلا أعارك عارية الخ " وإعلامهما النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ودعائه لهما وولادتهما وإرسالها الولد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحنكه.

وفي القصة مخالفة لما في الصحيح: منها أن الغلام كان صحيحا فمات بغتة، ومنها أنه ترعرع، والباقي بمعناه.

فعرف بهذا أن اسم أبي عمير حفص، وهو وارد على من صنف في الصحابة وفي المبهمات، والله أعلم.

ومن النوادر التي تتعلق بقصة أبي عمير ما أخرجه الحاكم في " علوم الحديث " عن أبي حاتم الرازي أنه قال: حفظ الله أخانا صالح بن محمد – يعني الحافظ الملقب جزرة – فإنه لا يزال يبسطنا غائبا وحاضرا، كتب إلي أنه لما مات الذهلي – يعني بنيسابور – أجلسوا شيخا لهم يقال له محمش فأملى عليهم حديث أنس هذا فقال: يا أبا عمير ما فعل البعير؟ قاله بفتح عين عمير بوزن عظيم وقال بموحدة مفتوحة بدل النون وأهمل العين بوزن الأول فصحف الاسمين معا.

قلت: ومحمش هذا لقب وهو بفتح الميم الأولى وكسر الثانية بينهما حاء مهملة ساكنة وآخره معجمة، واسمه محمد بن يزيد بن عبد الله النيسابوري السلمي ذكره ابن حبان في الثقات وقال: روى عن يزيد بن هارون وغيره وكانت فيه ٠

الحديث التاسع

التباسط مع الأهل (من مناقب السيدة عائشة)

روى البخارى بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلا اسْمَكَ) .

فضيلة الدكتور/ نود بدأ تعريفا موجزا عن السيدة عائشة رضى الله عنها ؟

نقول وبالله التوفيق :هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق تكنى بأم عبد الله ،كناها به رسول الله صلى الله عليه وسلم بان أختها عبد الله بن الزبير ، وعائشة مأخوذ من العيش ،وحكى عيشة لغة فصيحة . وأمها أم رومان :زينب بنت عامر . تزوج رسول الله بها بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل ثلاث وقيل بسنة ونصف أونحوها فى شوال وهى بنت سبع سنين وقيل سبع وبنى بها فى شوال أيضا بعد وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة أقامت فى صحبته ثمانية أعوم وخمسة أشهر وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة .

عاشت السيدة عائشة خمسا وستين سنة وكانت من أكبرفقهاء الصحابة وأحد الستة الذين هم أكثر رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى لها (ألفا حديث ،ومئتا حديث ،وعشرة أحاديث)اتفق البخارى ومسلم على مائة وأربعة

وسبعين حديثا ،وانفرد البخارى بأربعة وخمسين ،ومسلم بثمانية وخمسين حديثا روت عن كثير من الصحابة وروى عنها جمع من الصحابة والتابعين قريب من المأتين • توفيت رضى الله عنها بعد سنة خمسين فى رمضان وقيل فى شوال وأمرت أن تدفن ليلا بعد صلاة الوتر بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة فى جمع من الصحابة رضى الله عنها وعنهم أجمعين •

فضيلة الدكتور/ ماالذى يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة ((إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت على غضبى ؟

نقول وبالله التوفيق : يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه، والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك، لأنه صلى الله عليه وسلم جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها، فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضا والغضب، ويحتمل أن يكون انضم إلى ذلك شيء آخر أصرح منه لكن لم ينقل وقول عائشة " أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك "•

قال الطيبي: هذا الحصر لطيف جدا لأنها أخبرت أنها إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة فهو كما قيل: إني لأمنحك الصدود وإنني قسما إليك مع الصدود لأميل وقال ابن المنير: مرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة مودة ومحبة ا هـ.

فضيلة الدكتور /قالت عائشة :فقلت من أين تعرف ذلك ؟هنا استفهام نرجوا توضيحه ؟•

نقول: هو استفهام قصدت به السيدة عائشة السبيل الذى عن طريقه عرف النبى صلى الله عليه وسلم رضاها وغضبها فهو استفهام قصد منه الإيضاح٠

فضيلة الدكتور/ ولماذا اختارت إبراهيم عليه السلام على غيره من الأنبياء ؟

نقول: وفي اختيار عائشة رضى الله عنها ذكر إبراهيم عليه السلام دون غيره من الأنبياء دلالة على مزيد فطنتها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أولى الناس به كما نص عليه القرآن، فلما لم يكن لها بد من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل حتى لا تخرج عن دائرة التعلق به في الجملة.

فضيلةالدكتور /علمنا أن الهجران حرام فلماذا اغتفر للسيدة عائشة مع النبى ؟

نقول وبالله التوفيق : إنما اغتفرت مغاضبة عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم مع ما في ذلك من الحرج - لأن الغضب على النبي صلى الله عليه وسلم معصية كبيرة -و لأن الحامل لها على ذلك الغيرة التي جبلت عليها النساء، وهي لا تنشأ إلا عن فرط المحبة، فلما كان الغضب لا يستلزم البغض اغتفر، لأن البغض هو الذي يفضي إلى الكفر أو المعصية، وقد دل قولها " لا أهجر إلا اسمك " علىأن قلبها مملوء بمحبته صلى الله عليه وسلم.قال المهلب: يستدل بقول عائشة على أن الاسم غير المسمى إذ لو كان الاسم عين المسمى لكانت بهجره تهجر ذاته وليس كذلك.

ومالذى نأخذه من هذا الحديث الشريف؟

نقول نأخذ من هذا الحديث الآتى :

١-بيان مدى ملاحظة النبى زوجاته على العموم والسيدة عائشة على الخصوص

٢- بيان مدى المحبة والدلال بين النبى والسيدة عائشة مع هذا التباسط والتناغم الذى قل مثله وندر بين الناس ٠

٣- بيان وقوع الهجر بين المحبين ولكن لايقع بينهم بين حيث إن الهجر هجر لسان لاهجر جنان

٤- أن الغضب والرضا مما لايسلم منهم أحد حتى الأنبياء يقع منهم ويقع عليهم

٥- فطنة المحب حيث وإن هجر اسم المحبوب يذكرمن يشبهه حتى لايحرم الأنس فى الهجر ويكون داعية لتأليف القلوب حيث كانت تقول (لاورب إبراهيم وهو الشبيه الحبيب)٠

٦- بيان الوضوح بين الزوجين فى التعامل وأن لاختلاف فى وجهات النظر لايفسد للود قضية ٠

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحديث العاشر

الحب فى الله وأثره

روى البخارى بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ ولا صَوْمٍ ولا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَال : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضيلة الدكتور /نرجوا من فضيلتكم إلقاء الضوء على فضل الحب فى الله ؟

نقول وبالله التوفيق / إن دين الإسلام بناؤه هو الحب وأساسه هو الحب ورأس ماله هو الحب، ولذا أرسى مبدأ لاإكراه فى الدين، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، حيث إن الله عز وجل يريدها طاعة قلوب لاطاعة قوالب، وعلوا المحبة والمودة يذكره الله فى قوله (يحبهم ويحبونه) (رضى الله عنهم ورضوا عنه) فالمبدأ هو: حبه ثم يليه حب من يحبه ثم يليه حب من يقربنا إلى حبه، فمن حبه قوله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أولاها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ثانيها: أن يحب المرء لايحبه إلا لله وثالثها: أن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار) . ويخبرنا الحبيب أن الحب فى الله يوم القيامة سيكون هو مظلة المحبين من حر الشمس يومئذ فيقول فى شأن ذلك(سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله) فيذكر منهم (رجلان تحابا فى الله) ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل قلبه معلق بالمساجد)أى بدوام دخول بيت حبيبه وسيده ويخبرنا سيدنا

وحبيبنا محمد أن الله ينادى على محبيه يوم القيامة فيقول(أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى)٠

فضيلة الدكتور / فماهوحال من أحب ولم يقدر على عمل المحبين أو تعثر عن اللحوق بهم ؟ هل يحرم منهم يوم القيامة أو يلحق بهم أو يكون فى رتبتهم ؟

نقول: يجيب عن ذلك الحديث الذى معنا حيث كان الوضوح فى أجابته صلى الله عليه وسلم بأن من أحب قوما حشر معهم بقوله(أنت مع من أحببت)٠

فضــيلة الدكتور/ فى الحديث قوله أن رجلا سأل النبى من هذا الرجل ؟ وعلام كان استفهامه؟

نقول وبالله التوفيق / قالوا أنه رجل من أهل البادية اسمه ذو الخويصرة اليمانى ذاك الــرجل البدوى الذى كان قد بال فى المسجد وكاد الصحابة أن يتناولوه لولا شفقة النبى ورأفته حيث عفا عنه لقلة علمه وعدم فقهه وحداثة عهده بالإسلام

أما قوله: (متى الساعة) هكذا في أكثر الروايات عن أنس، ووقع في رواية جرير عن منصور في أوله " بينما أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجين من المسجد فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال: يا رسول الله متى الساعة "؟ وفى أخرى عن أنس " دخل رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب " وأخرى عن حميد عن أنس " جاء رجل فقال: متى الساعة؟ فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ثم صلى، ثم قال: أين السائل عن الساعة "؟ ويجمع بينهم بأن سأله والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلم يجبه حينئذ، فلما انصرف من الصلاة

وخرج من المسجد رآه فتذكر سؤاله، أو عاوده الأعرابي في السؤال فأجابه حينئذ.ولاستفهام هنا استفهام عن موعد قيام الساعة وزمانه وكان حال كثيرمن الأعراب وشغلهم الشاغل هو السؤال عن الساعة وقيامها..

فضيلة الدكتور/ جاء الرجل يستفهم عن الساعة ففاجئه الرسول مستفهما منه هو الآخر بقوله ومأعددت لها ؟فمانوع هذا لاستفهام وعلام يدل ؟

نقول :أما نوع لاستفهام فى قوله(ما أعددت لها) ؟ فهو استفهام تقريرى أراد منه أن يرى مابذله من جهد فى العبادة يؤهله أن يسأل هذا السؤال حيث سلك مع السائل أسلوب الحكيم، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم. ويدل هذا الأسلوب على مراجعة النفس والبحث عن مخرج وحل لما قد يجد أو يقع ولذا تقول الرواية الأخرى (فكأن الرجل استكان ثم قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله، فقال صلى الله عليه وسلم : (أنت مع من أحببت) وعند أنس " إنك مع من أحببت، ولك ما احتسبت " وعند ابن مسعود " أنت مع من أحببت، وعليك ما اكتسبت، وعلى الله ما احتسبت".ومعناه أنت ملحق بهم حتى تكون من زمرتهم،

فضيلة الدكتور/ماهى البشرى الواردة فى الحديث ومالذىيحثنا عليه ؟

نقول وبالله التوفيق: أما البشرى فهى تلك المفاجأة الغير متوقعة وهى أن نكون مع من أحببنا وإن قلت أعمالنا وهل للمسلم من غاية إلا أن يكون مع سيد البشر وإمام الناس فى الجنة،

وأمامايحثنا عليه هذا الحديث فيتمثل فى الآتى:

١- بيان فضيلة الحب فى الله وأجره وأثره فى الدنيا والآخرة

٢- سؤال أهل الذكر فيما يعن للمسلم من أمور دينه ودنياه ولايمنعه الحرج من ذلك ٠

٣- أن لايسئل الإنسان عن أمر من منصب أو مكانة قبل أن يمكن نفسه أولا ٠

٤- التشبه بأهل الكمال ومحاولة تقليدهم إن لم أستطع القيام بما يعملوه ومحبتهم وتأيدهم ٠

٥- أن أعمال الخير من صدقة وصيام وزكاة تؤهل صاحبها للنجاة من عذاب الله يوم القيامة ٠

الحديث الحادى عشر

ستر عورات المؤمنين يوم القيامة

روى البخارى بسنده **عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى قَالَ:(يَدْنُوأَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ.وَيَقُولُ:عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَرِّرُهُ. ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ)صدق الله صلى الله عليه وسلم**

فضيلة الدكتور؟ من الذى سأل ابن عمر وماهو السؤال؟

نقول وبالله التوفيق: قال الحافظ ابن حجرلم أقف على اسم السائل لكن يمكن أن يكون هو سعيد بن جبير، فقد أخرج الطبراني من طريقه قال " قلت لابن عمر حدثني " فذكر الحديث.

وأما السؤال فهو قوله: (كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى)؟ **والنجوى** :هي ما تكلم به المرء يسمع نفسه ولا يسمع غيره، أو يسمع غيره سرا دون من يليه، قال الراغب: ناجيته إذا ساررته، وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض، وقيل أصله من النجاة وهي أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه، والمراد بهاهنا :المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين.

قال الكرماني: أطلق على ذلك النجوى لمقابلة مخاطبة الكفار على رءوس الأشهاد هناك.

فضيلة الدكتور/ومامعنى قوله (يدنوا أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه)؟

نقول وبالله التوفيق: أماقوله: (يدنو أحدكم من ربه) و في رواية سعيد بن أبي عروبة " يدنو المؤمن من ربه " أي يقرب منه قرب كرامة وعلو منزلة.وقوله: (حتى يضع كنفه) بفتح الكاف أي جانبه، والكنف أيضا الستر وهو المراد هنا، والأول مجاز في حق الله تعالى كما يقال فلان في كنف فلان أي في حمايته ويؤيده " وفى رواية " يجعله في حجابه " وستره". وكلاءته.

الروايات التىجائت فيها وما نوع الاستفهام؟.

نقول :وردت عدة روايات ففي رواية همام يقول " أتعرف ذنب كذا وكذا " وفي رواية سعيد وهشام " فيقرره بذنوبه " وفي رواية سعيد بن جبير " فيقول له أقرأ صحيفتك فيقرأ، ويقرره بذنب ذنب، ويقول أتعرف أتعرف".إذا فهو استفهام تقريرى حتى يعلم العبد أن الله لم يك غافلا عما يعمل ولذا يقول(نعم)و في رواية همام " أي رب " وفي رواية سعيد وهشام " فيقول أعرف".

فضيلة الدكتور / هذا عبد مؤمن قد أقر أمام مولاه بذنوبه ما مصيره بعد ذلك وما هى بشراه ؟.وماهو حال الكافر والمنافق؟.

نقول: مصيره وبشراه هو ماورد فى بقيةالحديث:وهو قول الحق سبحانه (إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم) وفي رواية سعيد بن جبير " فيلتفت يمنة ويسرة فيقول: لا بأس عليك إنك في سترى لا يطلع على ذنوبك غيري " فيعطى كتاب حسناته". **وأما الكافر والمنافق** " فينادى على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين ،.

فضيلة الدكتور/ نريد مزيد إيضاح للبشرى، مع بيان ما يرشد إليه هذا الحديث من القضايا الفقهية؟ وماحال الذنوب التى تقع من العباد فى شأن بعضهم البعض؟

نقول وبالله التوفيق /: في الحديث بيان تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم، بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدا إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادي عليهم على رءوس الأشهاد باللعنة.

قال الحافظ بن حجر :و قد استشعر البخاري هذا فأورد في كتاب المظالم هذا الحديث ومعه حديث أبي سعيد وفيه " إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة " الحديث، فدل هذا الحديث على أن المراد بالذنوب في حديث ابن عمر ما يكون بين المرء وربه سبحانه وتعالى دون مظالم العباد، فمقتضى الحديث أنها تحتاج إلى المقاصصة، ودل حديث الشفاعة أن بعض المؤمنين من العصاة يعذب بالنار ثم يخرج منها بالشفاعة كما تقدم تقريره في كتاب الإيمان، فدل مجموع الأحاديث على أن العصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين: أحدهما من معصيته بينه وبين ربه، فدل حديث ابن عمر على أن هذا القسم على قسمين: قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا فهذا الذي يسترها الله عليه في القيامة وهو بالمنطوق، وقسم تكون معصيته مجاهرة فدل مفهومه على أنه بخلاف ذلك.

والقسم الثاني من تكون معصيته بينه وبين العباد فهم على قسمين أيضا: قسم ترجح سيئاتهم على حسناتهم فهؤلاء يقعون في النار ثم يخرجون بالشفاعة، وقسم تتساوى سيئاتهم وحسناتهم فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاص كما دل عليه حديث أبي سعيد، وهذا كله بناء على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة أن الله يفعله باختياره، وإلا فلا يجب على الله شيء وهو يفعل في عباده ما يشاء.

هذا وبالله التوفيق

الثانى عشر
ماأعده الله للمؤمنين فى الجنة

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى:أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرأوا إن شئتم(فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون)

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدكتور/ نود إلقاء الضوء على هذا الحديث ،مع بيان من هم عباد الله الصالحين ؟

نقول وبالله التوفيق :يخبرنا نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه فى هذا الحديث القدسى أن الله عز وجل قد أعد لعباده الصالحين فى جنته ما لا يستطيع وصفه الواصفون من رؤيا عين وسمع أذن أو تصور عقل، والإعداد هو التجهيز والتهيىء، أى أن الله قد أعد ذلك وفرغ منه وهو ما يثبت أن الجنةو النار موجودة الآن ،وقوله (لعبادى الصالحين) أى أن ما أعده الله ليس لكل الناس وإنما لأناس مخصوصين وصفهم بحسن العبودية له ولذا أضافهم لنفسه وأكد الصفة لهم بذلك، والصلاح: هو التوازن فى كل أعمال الخير والبر من أمر أمر به الحق أو نهى نهى عنه، يقول تعالى فى وصفهم (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقرا ومقاما، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لايدعون مع الله إلها آخر ،ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ، والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين) فكان جزاؤهم كما قال الحق (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما).

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم بيان البشريات الواردة فى هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق / إن البشريات أو العاقبة تكون دائما على قدر من وعد بها ، وفى حياتنا إن من أجاد وأحسن فى دراسته مثلا كوفىءبأعلى الدرجات ومكن من أماكن الخير مالم يصل إليه إلا من قام بمثل عمله أوزاد عليه زيادة فضل وتمكين ، وأن من أبدع فى إنتاج أو فكر أو اكتشاف كوفىء كذلك فهناك جوائز الدولة التشجيعية والتقديرية وقلادة النيل ،وهناك جوائز عالمية كانوبل مثلا، هذه الجوائز والحوافز على قدر جهد المجتهد وعلى قدر الدولة المعطية أو الشخص المعطى وتكون الجائزة والمكافىء محل إعجاب وتقدير من الجميع ، فما بالنا والمعطى هو رب الناس ملك الناس إله الناس فهل يستوى عطاؤه بعطاء الناس ؟
هنا يخبر الحق أن مكافئته لها صفة وهى أن لا تستطيع وصفها أنت ولا غيرك لأنها فوق الإدراك البصرى والسمعى والتصور العقلى فقال (ما لاعين رأت) وما :هنا إما موصولة أو موصوفة و(عين) وقعت فى سياق النفى فأفاد الاستغراق والمعنى مارأت العيون كلهن ولاعين واحدة (ولا أذن سمعت) أى أن الأذن قد تسمع من الأوصاف مافاق رؤية العين من اللطائف والاصناف ومع ذلك فإنه يستحيل أن يصل إليها وصف ما أعده الله لعباده فى الجنة من كمال النعمة وعظيم الفضل فلو اجتمع وصافى العالم وأدباؤه ومؤلفوه لكى يعطوا تصويرا لما أعده الله فى الجنة لعباده الصالحين لكان العجز حليفهم ، (ولاخطر على على قلب بشر) أى أن هذا العطاء الربانى مما لا يتصوره العقل الإنسانى مهما أعطى من قوة الإدراك والتصور فالنصيب فى العين والأذن والقلب هو العجز عن إدراك الفضل ، ثم أكد على ذلك بقوله(فقرأوا إن شئتم قوله تعالى ((فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)) أى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبى مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخره الله تعالى لأولئك وأخفاه عن جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم، ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها.

فضيلة الدكتور / فما الذى نستفيده من هذا الحديث؟

نقول وبالله التوفيق نأخذ من هذا الحديث الآتي:-

١- الجد والاجتهاد والتشمير فى الطاعة حتى نحظى بالمكافأة الغالية والثمينة ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة.

٢- حب الله لعباده وحرصه على إكرامهم ومقابلة قليل عملهم بعظيم فضله ومنه.

٣- أن الجنة والنار قد فرغ الله من خلقهما من أزمنة بعيدة.
٤- أن الله لم يرض لنا الدنيا رغم ما فيها من نعم حيث إنها فانتة ومنتهية وأعد لنا الجنة نعيم مقيم لا موت فيه.
٥- عطاء الله وفضله لا يتصور ولا يماثله عطاء البشر أبداً فشتان شتان بين عطاء الله وعطاء الإنسان.
٦- الصبر على الطاعة ومجاهدة المعصية ولا نغتر بمن غرتهم الدنيا فنتمنى ما يتمنون ونحلم بما عندهم فتكون المعصية ويكون التقصير.
هذا: وبالله التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الثالث عشر
فضل الذكر بعد الصلاة

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال ((من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)) صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فضيلة الأستاذ الدكتور / نود من سيادتكم إلقاء الضوء على هذا الحديث وما فيه من البشريات؟

نقول وبالله التوفيق: فى هذا الحديث يحثنا النبى على التسبيح والتحميد والتكبير خلف المكتوبات مشترط فيها الشروط التى إن توفرت قوبلت بالمغفرة من الحق فيقول: ((من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين)) ومعنى التسبيح تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفى الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل وقوله ((دبر كل صلاة)) وفى رواية ((خلف كل صلاة)) وفى غيرها ((إثر كل صلاة)) يقتضى أن الذكر المذكور يقال عند الفراغ من الصلاة فلو تأخر ذلك عن الفراغ من الصلاة فإن كان يسيراً بحيث لا يعد معرضاً أو كان ناسياً أو متشاغلاً بما ورد أيضاً بعد الصلاة كآية الكرسى فلا يضر، وظاهر قوله ((دبر كل صلاة) يشمل الفرض والنفل ولكن حمله أكثر العلماء على الفرض، وقد وقع فى حديث كعب بن عجرة عند مسلم التقييد بالمكتوبة وكأنهم حملوا المطلقات عليها.

وقوله ((ثلاثاً وثلاثين)) يستنبط منه أن مراعاة العدد المخصوص فى الأذكار معتبر وقد كان بعض العلماء يقول إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلوات إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد

وللعلماء فى ذلك أقوال أولاها الامتثال لما قال الحبيب وعدم التزيد فيما حدد لأن شأن العظماء إذا حدوا شيئاً أن يوقف عنده ويعد مسيئاً للأدب من زاد عن المطلوب.

وقوله ((وحمد الله ثلاثاً وثلاثين)) أى وأردف التسبيح بالحمد أيضاً ثلاثاً وثلاثين والحمد هو الثناء بالجميل والمدح بالكمال الثابت لله دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح و الطرق إلى العلم به فى غاية الكثرة لأن جميع أسمائه تبارك وتعالى حمد وصفاته حمد وأفعاله حمد وأحكامه حمد وعدله حمد وانتقامه من أعدائه حمد وفضله فى إحسانه إلى أوليائه حمد والخلق والأمر إنما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده وكان الغاية هى حمده فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله فحمده روح كل شيء وقيام كل شيء بحمده وسريان حمده فى الموجودات وظهور آثاره فيها أمر مشهود بالأبصار والبصائر والخلاصة أن كل صفة علياء واسم حسن وثناء جميل وكل حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وإجلال وإكرام فهو لله عز وجل على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها وجميع ما يوصف به ويذكر به ويخبر عنه به فهو محامد له وثناء وتسبيح وتقديس فسبحانه وبحمده لا يحصى أحد من خلقه ثناءً عليه.

وقوله ((وكبر الله ثلاثاً وثلاثين)) هو الإعلان بجلال الله وكبريائه وعزته وعظمته وكونه أكبر من أن تصل إليه عقول العقلاء وأوصاف الوصافين وذكر الذاكرين وإذا كان الفضل والإفضال لله ومن الله وليس من غيره شيء من ذلك فلا يكون أحد أكبر منه فكان البدء بالتسبيح لأنه نفى النقائص عن البارى سبحانه وتعالى ثم التحميد لأنه يتضمن إثبات الكمال له إذ لا يلزم نفيه النقائص وإثبات الكمال أن يكون هناك كبير آخر. وقوله ((فتلك تسعة وتسعون)) تأكيد لما ذهبنا إليه بخصوصية العدد.

وقوله ((وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)) هو إعلان الولاء التام وإظهار العبودية الخالصة لله وكان فى مقابل ما مر العطية والبشرى وهى غفران الخطايا وإن كانت مثل زبد البحر لقوله ((غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر)) وهى كناية عن سعة رحمة الله ومغفرته وفضله حيث يغفر الذنوب وإن كانت كثيرة كثرة لا تحصى ولكن هل المغفرة للصغائر والكبائر أم للصغائر فقط؟ هناك أقوال للعلماء والأرجح للصغائر حيث إن الكبائر لابد لها من توبة.

فضيلة الدكتور / وما الذى نستخلصه من هذا الحديث الشريف؟

نقول وبالله التوفيق:

١- حرص النبى على تعليمنا ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا.

٢- أن التسبيح والتحميد والتكبير خلف الصلوات المكتوبات هو محو للذنوب والسيئات.

٣- أن الله عز وجل يغفر الذنوب مهما جلت وعظمت طالما أن الإنسان دائم التسبيح طالباً للغفران.

٤- الالتزام بالأعداد المخصوصة التى وردت عن النبى -صلى الله عليه وسلم- حيث أن هناك سراً فى الأعداد لا يعلمه إلا من أمر به.

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آداب الطـعـــام

الرابع عشر

الحمد لله على الأكل والشرب

روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ((إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها)) صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فضيلة الأستاذ الدكتور / نريد إيضاحاً مجملاً لهذا الحديث؟.

نقول وبالله التوفيق: إن الله عز وجل خلق الأرض وما عليها لخدمة ابن آدم وخدمة من يخدم ابن آدم وعلى رأس ذلك إخراج الأرض الأطعمة على أشكالها المختلفة ولذا يمن الحق علينا جميعاً فيقول ((أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون)) ثم يتحدث عن الماء الذى جعل منه كل شيء حي فيقول ((أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون)) ثم يتكلم عن حال الأكل الذى يجب أن يكون عند الإنسان والذى لا يدركه الحيوان من التفكر والتدبر والتذكر فيقول ((فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم)) وإذا كان المتذوق والمدرك لعظمة هذه الأشياء جميعاً هو ابن آدم الذى يعرف جيداً طعم الحر والمر والحامض والحلو وجب عليه إذا أكل أن يشكر من رزقه الطعام وإذا شرب العذب الفرات وجب عليه أن يشكر من جاد عليه بهذا الماء هذا الماء الذى يخلطه الآدمي بما خرج من ثمرات الأرض فيجعل منه ألواناً من المشروبات اللذيذة الشهية وما ذلك كله إلا عطية من رب البرية. وإذا كان هذا من رماد الأرض ومائه فإنه أيضاً خلق الأنعام لنركب عليها ونشرب من ألبانها ونأكل من لحومها حيث يقول ((والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون)) ويقول ((والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها))، وعندما حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك حرم علينا من أجلنا ولم يحرم ذلك عنتاً وتضييقاً حيث قال ((ما جعل عليكم فى الدين من حرج)) فإذا جد الجد ولم يجد الإنسان غير تلك المحرمات فإنه يأكل منها ولا

يمت نفسه يقول الحق ((فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه)) أوليس ذلك يوجب على العبد شكر سيده الذى أنعم أم لا؟

فضيلة الأستاذ الدكتور / ما هي البشريات الموجودة فى هذا الحديث؟

نقول وبالله التوفيق: إن الحديث كله بشريات حيث إن الله عز وجل يرضى من العبد أن يشكره على نعمه التى لاتعد ولاتحصى هذا هو الذى يأخذه الرب من العبد ثم يكون هذا الشكر مدرة الزيادة فى العطاء يقول الحق ((ولئن شكرتم لأزيدنكم)) إذاً فقد ضمن العبد رضا ربه بشكر النعمة ثم ضمن عود تلك النعمة بشكل أطيب وأجود.

فضيلة الدكتور : وما هو الواجب علينا عند الأكل والشرب؟

نقول وبالله التوفيق : الواجب علينا أن نبدأ بالتسمية لتحصل البركة فى الطعام والشراب وأن نأكل ونشرب باليد اليمنى إلا عند الاضطرار حيث إن الله يحب التيامن فى الأمور كلها وألا نذم النعمة أو نستخف بها فإذا اشتهيناها أكلناها وإلا فلندعها بغير ذم فإنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة ثم شكر الله على النعمة بعد الطعام والشراب لرضا الحق ودوام المزيد.

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخامس عشر
(تعليم الصبى آداب الطعام)

عــن عمر بن أبى سلمة ﷺ قال : " كنت غلاماً فى حجر رسول الله ﷺ وكانــت يــدى تطيش فى الصحفة ، فقال لى رسول الله ﷺ : يا غلام سمِّ الله ، وكُــلْ بيمينك ، وكل مما يليكَ ، فما زلت تلك طِعْمَتِى بعدُ "[١] . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم التعريف براوى الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق :

هوعمــر بــن أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واســم أبيه أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب ابن هاشم، وأم عمر هى السيدة أم سلمة زوج النبىﷺ وهو ربيب رسول الله ﷺ أى ابن زوجة النبى ﷺ ، وله أحاديث توجب له فضل الصحبة مع رسول الله ﷺ ، وطال عمره ﷺ[٢] .

فضيلة الدكتور / نريد شرحا مبسطا لهذا الحديث ؟مع بيان ما يستفاد؟

نقول وبالله التوفيق : **قوله** " كنت غلاماً " أى دون البلوغ ، يقال للصبى من حــين يــولد إلــى أن يبلغ غلام . وذكر ابن عبد البر أنه ولد فى السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة ؛ ولكن الصواب أنه ولد قبل ذلك ، فقد صح فى حديث عبد الله بن الزبير أنه قال " كنت أنا وعمر بن أبى سلمة مع النسوة يوم الخندق ، وكان

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأطعمة " ، " باب التسمية على الطعام " ، ٥٢١/٦ ، وأخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب آداب الطعام ... إلخ " ، ١٥٩٩/٣ عن عمر بن أبى سلمة ، كما أخرجه غيرهم .

(٢) أنظر : * تهذيب الكمال ، ٣٧٢/٢١ . * تهذيب التهذيب ، ٣٨٥/٧ .

كـــان أكبـــر منـــى بســـنتين ومولد ابن الزبير فى السنة الأولى من الهجرة على الصـــحيح فـــيكون مولد عمر قبل الهجرة بسنتين فيكون عنده من العمر يوم مات النبىﷺ اثنتا عشرة سنة وقيل تسعة أعوام قوله " فى حجر رسول الله ﷺ أى فى تـــربيته وتحت نظره ، وأنه يربيه فى حضنه تربية الولد واقتصر عليه . والحَجْرَ والحِجْـــر بمعنـــى واحـــد وهو يطلق على الحضن وعلى الثوب فيجوز فيه الفتح والكســـر ، وقـــيل إذا أريـــد به الحضانة فبالفتح لا غير ، وإن أريد به المنع من التصرف فبالكسر. **وقولهم** " فلان فى حجر فلان ": أى فى كنفه ومنعته ومنه قوله **تعالـــى** " وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم ". **وقوله** " وكانت يدى تطيش " أى تتحرك حوالى الصحفة ولا تقتصر على موضع واحد .

قـــال الطيبى : والأصل أطِيش بيدى فأسند الطيش إلى يده مبالغة ، والصحفة ما يشـــبع عشرة . **قوله** " يا غلام سم الله " أى قول بسم الله فى ابتداء الأكل وأصرح مـــا ورد فـــى صفة التسمية ما رواه أبو داود والترمذى من طريق أم كلثوم عن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال " إذا أكل أحدكم الطعام فليقل بسم الله ، فإن نسى فى أولـــه فليقل بسم الله أوله وآخره " والأمر بالتسمية عند الأكل محمول على الندب عـــند الجمهـــور ، وحملـــه بعضهم على الوجوب لظاهر الأمر .**وقال النووى** : اســـتحباب التسمية فى ابتداء الطعام مجمع عليه ، وكذا يستحب حمد الله فى آخره .**قال العلماء** : ويستحب أن يجهر بالتسمية لينبه غيره، فإن تركها عمداً أو ناسياً أو جـــاهلاً أو مكرهاً أو عاجزاً لعارض ثم تمكن فى أثناء أكله يستحب له أن يسمى وتحصل التسمية بقوله"بسم الله " فإن اتبعها بالرحمن الرحيم كان حسنا ويسمى كل واحد من الآكلين. **وقال الشافعى** : فإن سمى واحد منهم حصلت التسمية.

وقوله " كل بيمينك " أى كل بيدك اليمين ، والأكل باليمين حمله أكثر العلماء علــى الــندب ، وبــه صرح الغزالى والنووى ، وقد نص الشافعى على وجوب التســمية. **وقال القرطبى :** إن الأكل باليمين محمول على الندب ، ولأنه من باب تشريف اليمين ، ولأنها أقوى فى الأعمال وأسبق وأمكن ، ولأنها مشتقة من اليمن والبــركة ، فقد كان ﷺ يجعل يمينه لطعامه وشرابه وشماله لما سوى ذلك ، فإن احتــيج إلى الاستعانة بالشمال فبحكم التبعية . **وقوله** " كل مما يليك " أى مما يلى الأكل وهو سنة متفق عليها ، وخلافها مكروه شديد الاستقباح إذا كان الطعام واحد

قوله " فما زالت تلك طعْمتّى بعد " أشار **بقوله " تلك "** إلى جميع ما ذكر من الابتداء بالتسمية والأكل باليمين والأكل مما يليه . **قوله** " طِعْمتى" بكسر الطاء وهذه الصيغة للنوع ، وأراد أن أكله كان بعد ذلك على هذا النوع المذكور الذى أشار إليه بقوله تلك . **وقال الكرمانى :** ويروى بضم الطاء والطعمة بالضم بمعنى الأكلة يقال طعم طعمة : إذا أكل أكله " بعدُ " مبنى على الضم : أى بعد ذلك فلما حذف المضاف إليه بنى على الضم . وقد ذكرنا عن قريب أن الأمر بالتسمية محمول على الندب عند الجمهور . وأما الأكل باليمين فقد ذهب بعضهم إلى أنه واجب لظاهر الأمر ولورود الوعيد فى الأكل بالشمال ، وقد ذكرنا طرفاً منه ، وسوف يأتى حديث النهى عن الأكل بالشمال فيما بعد ، ولما رواه عن النبى ﷺ " لا تأكلوا بالشمال ، فأن الشيطان يأكل بالشمال" ولما رواه أحمد عن النبى ﷺ " من أكل بالشمال أكل معه الشيطان "

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- الأمــر بالتســمية عند الأكل ، وهو محمول على الندب عند الجمهور وعلى الوجوب عند الإمام أحمد . والحكمة فى التسمية إنها تجلب البركة وتدعو إلى القناعة وعدم الشره .

٢- وجوب تربية الأولاد ، على الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة وتوجيهم إلى الصواب .

٣- الأكـــل باليمـــين مخالفة للشيطان فإنه يأكل بشماله ، ولأن البركة فى التيامن ولأنها مركز التركيز الإرادى فى الإنسان .

٤- التزام الصحابة ﷺ لتوجيه النبى ﷺ والتزامهم لسنته حتى الصغار .

٥- الأكـــل مما يلى الآكل سنة متفق عليها وخلافها مكروه ، وهذا خاص فى غير الفاكهة ، أما الفاكهة فللآكل أن يختار .

السادس عشر

(النهى عن الأكل باليد اليسرى)

عن أبى إياس سلمة بن الأكوع ﷺ " أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال : كل بيمينك . قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر فما رفعها إليه فيه "(١)

.فضيلة الدكتور/ نود من فضيلتكم التعريف بالراوى ،مع شرح الحديث وبيانه ومايرشد إليه ؟ نقول وبالله التوفيق:

الـــراوى هـــو: سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسمه ،سنان بن عبد الله بن بشير بن خزيمة ابن مالك بن سلامان بن أسلم أبو مسلم . ويقال أو إياس ويقال أبو عامر . شـــهد مـــع النبى ﷺ بيعة الرضوان . روى عن النبى ﷺ وعن أبى بكر وعمر وعـــثمان وطلحـــة ﷺ ، وعنه ابنه إياس ومولاه يزيد بن أبى عبيد وغيرهم خلق كثيـــر . وكـــان شجاعاً رامياً ويقال كان يسبق الفرس شدّاً على قدميه وكان يسكن الربذة . مات سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة . وقيل غير ذلك(١).

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب آداب الطعام والشراب " ، ١٥٩٩/٣ .

(١) أنظر : " تهذيب الكمال ، ٣٠١/١١ . " تهذيب التهذيب ، ١٣٦/٤ .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

كـــان رسول الله ﷺ يحب التيامن فى أموره كلها مأكله وملبسه ومشربه ولذا فإن كثيـــراً من العلماء ذهبوا إلى أن الأكل باليمين واجب وذلك لظاهر أمره إلى عمر بن أبى سلمة فقد روى البخارى بسنده عن عمر بن أبى سلمة ﷺ قال " كنت غلاماً فى حجر الرسول ﷺ، وكانت يدى تطيش فى الصحفة ، فقال لى رسول الله ﷺ يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك ، فمازالت تلك طعمتى بعد ".

ولورود الوعيد فى الأكل بالشمال فقد روى أحمد بسنده عن عائشة أن الرسول ﷺ قال " من أكل بشماله أكل معه الشيطان " وبما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قـــال " لا تأكلـــوا بالشمال ، فإن الشيطان يأكل بشماله " والحديث الذى معنا يخبـــر أن رجلاً قالوا أن اسمه " بسر بن راعى العير " وهو صحابى مشهور أكل عـــند رسول الله ﷺ بشماله فقال له الرسول الكريم : كل بيمينك فقال لا أستطيع قالها كبراً ، فدعى النبى ﷺ بقوله " لا استطعت " ، وذلك لمخالفة الحكم الشرعى بـــلا عذر ورده قول الرسول الله ﷺ فما استطاع أن يرفعها إلى فمه ، حيث إنها شـــلت فـــى الحال قيل إنه كان منافقاً فى أول أمره ، فلما كان الدعاء والآية التى ظهـــرت تاب وأناب وظلت آية قائمة بيده علامة لمن يخالف أمر النبى ﷺ ، قال تعالى " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم "(٢)

إذاً يستفاد من الحديث الآتى :

١- استحباب الأكل باليمين وكراهية الأكل بالشمال ، حيث لا عذر من الأكل باليمين كمرض أو قطع ، ومثل الأكل كل شىء شريف ، فيستحب مباشرته

---

(٢) سورة النور آية رقم ٦٣ .

وعكسه كل أمر خسيس .

٢- بيان أن دعاء الرسول كان بسبب امتناع الرجل تكبراً وعناداً .

٣-الترغيب فى القيام بأمور اليتيم والمحافظة على أمواله .

السابع عشر

كراهة الأكل متكئا

عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله ﷺ قال(قال رسول الله ﷺ إنى لا آكل متكئاً(١)
فضيلة الدكتور/ نود التعريف بالراوى ،مع شرح الحديث وبيان معنى لاتكاء ؟

نقـــول وبـــالله التوفيق هو: وهب بن عبد الله السوائى ، يقال له " وهب الخير " ، مات النبى ﷺ ولم يبلغ وهباً الحلم ، روى عن النبى ﷺ وعن البراء بن عازب ، وروى عنه ابنه عون وسلمة بن كهيل والشعبى وغيرهم ، ولاه على بن أبى طالب بـــيت المال ، واستعمله على خُمس المتاع وسماه " وهب الخير "، مات سنة أربع وسبعين للهجرة(٢) .

قوله ﷺ " **إنى لا آكل** متكئاً " أى حال كونى متكئاً . **قال الخطابى** : حسب العامـــة أن المتكـــئ هو المائل على أحد شقيه ، وليس كذلك ، بل المتكئ هنا هو المعتمد على الوطاء الذى تحته ، وكل من استوى قاعداً على وطائه فهوى متكئ : أى إذا أكلـــت لم أقعد متمكناً على الأوطئة فعل من يستكثر من الأطعمة ، ولكنى آكل العلقة من الطعام فيكون قعودى مستوفزاً له . **ولفظ الترمذى** : أما أنا فلا آكل

---

(١) أخرجه البخارى ، " كتاب الأطعمة " ، " باب الأكل متكئاً " ، ٩/٥٤٠ ، وأخرجه الترمذى ، " كتاب الأطعمة " ، " باب ما جاء فى كراهة الأكل متكئاً " ، ٥/٤٧٠ .

(٢) أنظر : " تهذيب الكمال ، ٣١/١٣٢ . " تهذيب التهذيب ، ١١/١٤٤ .

متكئاً، واستدل به بعضهم على أن ترك الآكل متكئاً من خصائصه ﷺ ، والظاهر عدم التخصيص . **وقد روى الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى الدرداء قال :** قال رسول الله ﷺ " لا تأكل متكئاً " ، ورجال إسناده ثقات . **وقال البيهقى :** يكره أيضاً لأنه من فعل المتعظمين وأصل الاتكاء مأخوذة من ملوك العجم . وإذا ثبت أن الاتكـــاء مكروه أو خلاف الأولى فالمستحب فى صفة الجلوس أن يكون جاثياً على ركبتيه وظهور قدميه ، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى .

قـــال الشـــيخ زين الدين العراقى : حمل الترمذى أحاديث الأكل متكئاً على الكـــراهة كمـــا بوب عليه وهو قول الجمهور ، وقد أكل غير واحد من الصحابة والتابعـــين متكـــئاً رواه ابـــن أبـــى شيبة فى مصنفه . ثم قال : اختلف فى المراد بالاتكاء فى حالة الأكل ، **فقيل :**

أ- هو المتربع المتقعد المتهيئ للطعام .

ب- وقيل هو المعتمد على الوطاء الذى تحته ، وكل من استوى قاعداً على وطاء فهو المتكئ كأنه أوكى مقعدته وسدها بالقعود على الوطاء الذى تحته .

جـ- وقيل هو أن يتكئ على أحد جانبيه وهو فعل المتجبرين .

والمتكئ أصله المتوكئ قلبت الواو تاء وأدغمت التاء فى التاء وهو من معتل الفاء ومهموز اللام ، تقول : اتكأ على شيء فهو متكئ .

الثامن عشر
الأكل مقعيا وحكمه

عن أنس ﷺ قال " رأيت رسول الله ﷺ جالساً مقعياً يأكل تمراً "(١) .

فضيلة الدكتور / نرجو من فضيلتكم شرح الحديث وبيانه مع ذكر مايستفاد ؟

نقـــول وبالله التوفيق : يحكى الصحابى الجليل أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أنـــه رأى رســـول الله " جالســـاً مقعياً " ، والمقعى هو الذى يلصق إِلْيَهُ بالأرض وينصـــب ساقيه وزاد أحد العلماء ويتساند ظهره وهو الاحتباء " يقال القرفصاء " الـــذى هو جلوس الأنبياء ، وأكثر جلوسه ﷺ ، وإنما كره هذا الإقعاء فى الصلاة للنهـــى عنه ، وطلب فى الأكل لما فيه من الاستيفاز وعدم التقعد المشعر بذلك بأن أكله بقدر الحاجة مع ما فيه بالأرقاء ففيه غاية التواضع .

إذاً فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- كـــراهة الجلـــوس إلى الطعام على هيئة تشعر بالكبر والتعالى والتجبر وربما يختلف هذا عرفاً من بلد إلى آخر ومن زمان إلى زمان .

٢- عدم الإكثار من الطعام والجلوس على المائدة طويلاً .

٣- الحث على التواضع مطلقاً اقتداء بالنبى ﷺ .

---

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب استحباب تواضع الأكل " ، ١٦١٦/٣ .

من آداب الشراب

التاسع عشر(النهى عن شرب البعير)

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " لا تشربوا واحد كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إن أنتم رفعتم "(١) .

فضيلة الدكتور/ نود من فضيلتكم التعريف بالصحابى مع شرح الحديث وبيان ذكر ما يستفاد ؟

نقـول وبـالله التوفيق : هـو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مـــناف أبو العباس الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ ، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بـــنت الحـــارث أخت ميمونة أم المؤمنين ، كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه وترجمان القرآن ، وهو أحد العبادلة الأربعة وهم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر و عبدالله ابن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وقـــال أحمد بن حنبل : ستة من الصحابة أكثروا الرواية عن رسول الله ﷺ : أبو هريـــرة ، وابن العباس ، وابن عمرو ، وعائشة ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالـــك ، وأبو هريرة أكثرهم حديثاً . روى ابن عباس عن النبى ﷺ " ألف حديث وســـتمائة وســـتين حديـــثاً " " ١٦٦٠ " حديث . اتفق البخارى ومسلم منها على " خمســـة وتســـعين حديـــثاً " " ٩٥ " حديثاً ، وانفرد البخارى بمائة وعشرين حديثاً ومسلم بتسعة وأربعين حديثاً . ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفى النبى ﷺ وهـــو ابـــن ثلاث عشرة سنة . **وقال الإمام أحمد** : خمس عشرة سنة . مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة على الصحيح فى أيام ابن

---

(٢) أخرجه الترمذى ، " كتاب الأشربة " ، ٥/٥٤٠ .

الزبيــر وصلى الله عليه محمد بن على أبى طالب المسمى محمد بن الحنفية . وقد عمى فى آخر عمره ﷺ (١).

معانى المفردات :

١- **لا تشربوا واحداً** : أى تجعلوا شربكم جرعة واحدة دون تنفس خلاله .

٢- **كشرب البعير** : أى فإنه لا يتنفس بين شربه .

٣- **رفعتم** : أى إناء الشرب من فمكم .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

يــروى ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " لا تشربوا واحداً " صفة مصدر محذوف تقديره " شرباً بأن لا تتنفسوا بينه كشرب البعير فإنه لا يتنفس بين شــربه ولكــن " استدراك " ، والمعنى مخالفة ما قبلها أى اشربوا " مثنى " أى فى نفســين و " ثــلاث " أى وفــى أنفاس ثلاثة . والنهى عن الشرب من نفس واحد للتنزيه، وقوله ﷺ " وسموا إن أنتم شربتم " إن شرطيه والضمير المنفصل بعدها فاعــل لفعــل الشــرط المقدر المفسر بالمذكور بعده ، وكذا حال الشرطية بعده " واحمــدوا إن أنتم رفعتم " من الشراب فى كل مرة من الثلاث أو المرتين ، وهذا الحديث حسن من وجه آخر عند الترمذى .

إذاً فمما يستفاد من الحديث الآتى :

كــراهة شرب الماء جرعة واحدة ، ويستحب أن يقول عند بدء الشرب بسم الله وإن أكمــل الــرحمن الرحيم فهو أفضل ، وأن يقول عند الانتهاء من الشرب الحمد لله وإن أتم رب العالمين فأكمل .

---

(١) أنظر : * تهذيب الكمال ، ١٥٤/١٥ . * تهذيب التهذيب ، ٢٤٥/٥ .

نص الحديث الثانى(النهى عن التنفس فى الإناء)

عــن عــبد الله بن أبى قتادة ﷺ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ " إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء "(١) .

نص الحديث الثالث(التنفس خارج الإناء)

عن أنس ﷺ قال : " كان رسول الله ﷺ يتنفس فى الشراب ثلاثاً "(٢) .

نص الحديث الرابع

عن أبى قتادة ﷺ " أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء "(٣) .

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم التعريف بالصحابى وشرحالأحاديث وبيان ما يستفاد ؟

نقول : هو الصحابى الجليل أبو قتادة الأنصارى السلمى فارس رسول الله ﷺ ، اسمه الحارث بن ربعى ، وقيل النعمان والمشهور أن اسمه الحارث بن ربعى بن بلدمـــة بـــن خناس بن سفان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى المدنى .روى عن النبى ﷺ وعن معاذ بن جبل وعمر بن الخطاب ، وروى عنه : ولداه ثابت وعبد الله مولاه نافع بن عباس بن الأقرع ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وخلق كثير . شهد غزوة أحد وما بعدها من الغزوات مع رسول الله ﷺ . قـــال فـــيه رســـول الله ﷺ " خيـــر فرساننا أبو قتادة " . توفى بالكوفة سنة أربع وخمسين، وهو ابن سبعين سنة(٢) .

---

(١) أخرجه الترمذى ، " كتاب الأشربة " ، " باب ما جاء فى كراهية التنفس فى الإناء " ، ٥٤٣/٥ .

(٢) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب كراهة التنفس فى الإناء " ، ١٦٠٢/٣ .

(١) أخرجه مسلم ، " كتاب الأشربة " ، " باب كراهة التنفس فى نفس الإناء " ، ١٦٠٢/٣ .

(٢) أنظر : * تهذيب الكمال ، ١٩٤/٣٤ . * تهذيب التهذيب ، ١٨٣/١٢ .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

ورد فـــى هذه الأحاديث الثلاثة النهى عن التنفس فى الإناء . **قال المهلب :** التنفس إنما نهى عنه كما نهى عن النفخ فى الطعام والشراب من أجل أنه لابد أن يقع فيه شيء من ريقه فيعافه الطاعم له ويستقذر أكله ، فنهى لذلك لئلا يفسد على من يريد تناوله ، وهذا إذا أكل أو شرب مع غيره ، وإذا كان وحده أو مع من يعلم أنه لا يستقذر شيئاً منه فلا بأس بالتنفس فى الإناء .

وقال الحافظ ابن حجر فى النهى عن النفخ : ولا فرق فى ذلك بين كونه مع غيره أو وحده إذا لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضله أو يحصل النفور من الإناء أو نحوه . **وقال أيضاً :** جاء النهى عن التنفس فى الإناء لأنه ربما حصل له تغير من النفس إما لكونه المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلاً أو لبعد عهده بالسواك أو المضمضة أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة والنفخ فى هذه الأحوال كلها أشد من التنفس . **وقال القرطبى :** معنى النهى عن التنفس فى الإناء لئلا يتقذر به من البصاق أو أثر رائحة كريهة تعلق بالماء وعليه إذا لم يتنفس يجوز له الشرب بنفس واحد ، وقيل يمنع لأنه شرب الشيطان . **أما قوله** " الشرب بنفسين أو ثلاثة ولفظ الحديث الذى أورده فى الباب كان يتنفس فكأنه أراد أن يجمع بين حديث الباب والحديث الذى ذكر قبله . النهى عن التنفس فى الإناء "لأن ظاهرهاالتعارض إذ الأول صريح فى النهى عن التنفس فى الإناء والثانى يثبت التنفس فحملها على الحالتين : **فحالة النهى** عن التنفس داخل الإناء ، **وحالة الفعل** على من يتنفس خارجه فالأول ظاهره من النهى ، **والثانى تقديره :** كان يتنفس فى حالة الشرب من الإناء . **وقد أجاب العلماء** بالجمع بين هذين الحديثين المتعارضين . ولقد أغنى

البخارى عن ذلك بمجرد لفظ الترجمة للباب فجعل الإناء فى الأول ظرفاً للتنفس والنهى عنه لاستقذاره ، **وقال فى الثانى** : الشرب بنفسين فجعل النفس الشرب أى لا يقتصر على نفس واحد بل يفصل بين الشربين أو ثلاث خارج الإناء ، فعرف ذلك بنفى التعارض . **قال الإسماعيلى** : المعنى أنه كان لا يتنفس أى لا محالة والأصل عدم النسخ والجمع مما أمكن أولى .

قـــال ابن حجر قلت : الأولى تعميم المنع لأنه لا يؤمن مع ذلك تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك .

قـــال ابن العربى : النهى عن التنفس من مكارم الأخلاق ، ولكن يحرم على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذر ، فإن فعله فى خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلمه فإن لم يعلمه فهو غش والغش حرام .

إذاً فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- اســتحباب أخــذ المـــاء على ثلاث جرعات وأن يتنفس بعد كل جرعة ، وأن يجعل تنفسه بعيداً عن إناء الماء ، ولا يخفى ما فى ذلك من الفوائد الصحية .

٢- كراهة التنفس فى الإناء أثناء الشرب أو بعد الجرعات ، وفمه على الإناء لئلا يتأثر الماء من رائحة كريهة أو بصاقة فيعافه الشارب ويستقذره .

نص الحديث الخامس النهى عن النفخ فى الإناء

عــن أبـــى سعيد الخدرى ﷺ " أن النبى ﷺ نها عن النفخ فى الشراب . فقـــال رجل : القذارة أراها فى الإناء . فقال : اهرقها . قال : لا أروى من نفس واحد قال فأبن القدح إذا عن فيك "(١) .

---

(١) أخرجه الترمذى ، " كتاب الأشربة " ، " باب ما جاء فى كراهية النفخ " ، ٥٤٢/٥ .

نص الحديث السادس

عــن ابن عباس ﷺ " أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء أو ينفخ فيه " رواه الترمذى[١] .

١- القــذاة : واحــدة القــذى ، وهو ما يقع فى الماء والشراب من تبن أو تراب أووسخ أو غير ذلك .

٢- فأبن القدح : أزل القدح " الكأس " وأبعده عن فمك إذا أردت الشرب أكثر من جرعة .

" الشرح والبيان وذكر ما يستفاد "

إن الحكمة من كراهية النفخ فى الشرب : هو خشية تقذر الشراب بما يصل إلــيه بواسطة النفخ . فعن أبى سعيد الخدرىﷺ : أن النبى ﷺ نها عن النفخ فى الشــراب نهــياً تنزيهياً. فقال رجل " القذاة " أى ما يسقط من الغبار والأوساخ أو الشعر وخلافه " أراها فى الإناء. فقال النبى ﷺ : أهرقها أى ألقها من الماء، ولا تنفخ فيه. فقال : أنى لا أروى من نفس واحد " أى لغلبة العطش ، " فقال : فأبن " أى أزل " القــدح إذا عــن فيك " أى عن فمك وتنفس لئلا يسبق شىء بالنفس إلى الإناء فتقزره .

أما الحديث الثانى : وهــو المروى عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ " نهى أن يُتــنفس " بالبــناء للمفعــول أو البناء للفاعل وهو المتنفس المفهوم من الفعل قبله " وفى الإناء أو " للتنويع " ينفخ فيه " وذلك خشية الاستقذار .

١- المرجع السابق

إذاً فمما يرشد إليه الحديث :

١- كراهية النفخ فى الشراب أثناء الشرب أو بعده حتى ولو كان لإبعاد وسخ وما شابهه .

٢- إذا وجد فى الشراب أريق منه شيء لإزالته حرصاً على السلامة والصحة .

العشرون

فضيلة طلب العلم

روى التـــرمذى بســـنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع))

صدق رسول الله صلى الله علي وسلم ٠

فضيلة الدكتور / نريد إيضاحا لهذا الحديث مع بيان ما يحمل من البشريات ؟

نقول وبالله التوفيق : فى هذا الحديث يحثنا سيدنا وحبيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والجد والمثابرة فيه، حيث إن به شرف الدنيا والآخرة فما تنال الدنيا إلا به، ولا تنال الآخرة إلا به ، فهو حياة القلوب من العمى ،ونور الأبصار من الظلم ،وقوة الأبدان من الضعف ،يبلغ به العبد منازل الأبرار ،والدرجات العلى ،والتفكر فيه يعدل بالصيام ،ومدارسته بالقيام ،به يطاع الله عزوجل،وبه يعبد ، وبه يوحد ويمجد ،وبه يتورع ،وبه توصل الأرحام ،ويعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه ،يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء٠٠

فتعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ،ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ،وتعليمه من لايعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين، والمصبر على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة، يقتدى بهم، أدلة فى الخير، تقتص آثارهم، وترمق أفعالهم، وترغب الملائكة فى خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم ،وكل رطب ويابس لهم يستغفر،حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها ٠ والشواهد على فضل العلم كثيرة ومتوفرة فى القرآن الكريم يقول الحق سبحانه (شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) فانظر كيف بدأ الله سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا ٠

ويقول(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) قال ابن عباس رضى الله عنهما :للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام ٠ ويقول الحق (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

ويقول (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وغير ذلك من الآيات كثير ٠٠ وأما الحبيب صلى الله عليه وسلم فقد نبه على قيمة العلم فى الإسلام فقال (طلب العلم فريضة على كل مسلم)وقال أيضا (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)وقوله صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضل القمرليلة البدر على سائر الكواكب)٠

والحديث الذى معنا يبين فيه المصطفي صلى الله عليه وسلم منزلة من يخرج من بيته لطلب العلم حيث بين أنه كالمجاهد فى سبيل الله تماما بتمام ويوضح ذلك أحاديثه الأخرى حيث يقول (يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء) ويقول أيضا (للأنبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة) ويقول أيضا (إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا) وقال أبو الدرداء (من رأى الغدو و الرواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله)٠

وقد جاء صفوان بن عسال إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهوفى المسجد متكىء على برد له أحمر فقال(يارسول الله إنى جئت أطلب العلم فقال (مرحبا بطالب العلم إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضها فوق بعض حتى تعلوا إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب فما جئت تطلب قال :قلت يارسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة فافتنى عن المسح على الخفين) ٠
وروى أبو الدرداء أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول((مامن عبد يخرج يطلب علما إلا وضعت له الملائكة أجنحتها ٠ وسلك به طريق الجنة ٠ وإنه ليستغفر للعالم من فى الأرض حتى الحيتان فى البحر ٠ وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)) فطالب العلم من المحظوظين الفائزين فى الدنيا والآخرة جعلنا الله من أهله العاملين بما فيه وهو ولى التوفيق ٠
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم٠٠

الحادى والعشرون

جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ.

روى البخارى بسنده عن أبى هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَفِى مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءاً وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فضيلة الدكتور/ مامعنى قوله صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة فى مائة جزء ؟

نقول وبالله التوفيق : قوله (جعل الله الرحمة في مائة جزء) قال الكرماني :كان المعنى يتم بدون الظرف فلعل " في " زائدة أو متعلقة بمحذوف، وفيه نوع مبالغة إذ جعلها مظروفا لها معنى بحيث لا يفوت منها شيء. وقال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون سبحانه وتعالى لما من على خلقه بالرحمة جعلها في مائة وعاء فأهبط منها واحدا للأرض.**ولكن نقول**: خلت أكثر الطرق عن ذكر الظرف كرواية سعيد المقبري عن أبي هريرة (إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة وعند مسلم " " إن الله خلق مائة رحمة يوم خلق السماوات والأرض، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض "٠

قال القرطبي: يجوز أن يكون معنى " خلق " اخترع وأوجد، ويجوز أن يكون بمعنى قدر، وقد ورد خلق بمعنى قدر في لغة العرب فيكون المعنى أن الله أظهر تقديره لذلك يوم أظهر تقدير السماوات والأرض.وقوله: " كل رحمة تسع طباق الأرض " المراد بها التعظيم والتكثير، وقد ورد التعظيم بهذا اللفظ في اللغة والشرع كثيرا.

فضيلة الدكتور / وما المقصود بقوله: فأمسك عنده تسعة وتسعين جزأ، وأنزل فى الأرض جزأ واحدا ؟ولماذا خص الفرس دون غيرها بالذكر ؟

نقول وبالله التوفيق : أما قوله: (فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا) هو ما فسرته رواية أبي هريرة عند مسلم " وخبأ عنده مائة إلا واحدة."أى للقيامة ٠

وقوله: (وأنزل في الأرض جزءا واحدا)وفي رواية عطاء " أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم " قال القرطبي :هذا نص في أن الرحمة يراد بها متعلق الإرادة لا نفس الإرادة، وأنها راجعة إلى المنافع والنعم.

(فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) و في رواية عطاء " فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها " وفي حديث سلمان " فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض ".

و **خص الفرس** بالذكر لأنها أشد الحيوان المألوف الذي يعاين المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل.ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها.

فضيلة الدكتور / بعد انتهاء الدنيا ما مصير تلك الرحمة التى نتعامل بها نحن والمخلوقات جميعا؟ وهل ستضم إلى الرحمات الأخرى أم لا؟ ولماذا خص هذا العدد بالذكر؟

نقول وبالله التوفيق : قد ورد في حديث سلمان عند مسلم في آخره من الزيادة قوله " فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة " وفيه إشارة إلى أن الرحمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحمون بها أيضا، وصرح بذلك المهلب فقال: الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم.قال: ويجوز أن يستعمل الله تلك الرحمة فيهم فيرحمهم بها سوى رحمته التي وسعت كل شيء وهي التي من صفة ذاته ولم يزل موصوفا بها، فهي التي يرحمهم بها زائدا على الرحمة التي خلقها لهم، قال: ويجوز أن تكون الرحمة التي أمسكها عند نفسه هي التي عند ملائكته المستغفرين لمن في الأرض، لأن استغفارهم لهم دال على أن في نفوسهم الرحمة لأهل الأرض.

نقول: وحاصل كلامه أن الرحمة رحمتان، رحمة من صفة الذات وهي لا تتعدد، ورحمة من صفة الفعل وهي المشار إليها هنا.ولكن ليس في شيء من طرق الحديث أن التي عند الله رحمة واحدة بل اتفقت جميع الطرق على أن عنده تسعة وتسعين رحمة، وزاد في حديث سلمان أنه يكملها يوم القيامة مائة بالرحمة التي في الدنيا، فتتعدد الرحمة بالنسبة للخلق.

وقال القرطبي: مقتضى هذا الحديث أن الله علم إن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم، فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة

وكلها للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيما) فإن رحيما من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن الكفار لا يبقى لهم حظ من الرحمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا كمل كل ما كان في علم الله من الرحمات للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (فسأكتبها للذين يتقون) الآية.

وقال الكرماني: الرحمة هنا عبارة عن القدرة المتعلقة بإيصال الخير، والقدرة في نفسها غير متناهية، والتعليق غير متناه، لكن حصره في مائة على سبيل التمثيل تسهيلا للفهم وتقليلا لما عند الخلق وتكثيرا لما عند الله سبحانه وتعالى٠ وأما مناسبة هذا العدد الخاص فحكى القرطبي عن بعض الشراح أن هذا العدد الخاص أطلق لإرادة التكثير والمبالغة فيه، وقال ابن أبي جمرة: ثبت أن نار الآخرة تفضل نار الدنيا بتسع وستين جزءا فإذا قوبل كل جزء برحمة زادت الرحمات ثلاثين جزءا، فيؤخذ منه أن الرحمة في الآخرة أكثر من النقمة فيها.ويؤيده قوله: " غلبت رحمتي غضبي."ويحتمل أن تكون مناسبة هذا العدد الخاص لكونه مثل عدد درج الجنة، والجنة هي محل الرحمة، فكان كل رحمة بإزاء درجة، وقد ثبت أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله تعالى، فمن نالته منها رحمة واحدة كان أدنى أهل الجنة منزلة، وأعلاهم منزلة من حصلت له جميع الأنواع من الرحمة.

فضيلة الدكتور /وما هى البشرة الواردة فى هذا الحديث وما الذى يحث عليه ؟

نقول : البشرى الواردة وما أعظمها من بشرى هى بيان مدى سعة فضل الله ورحمته بعباده فى الدنيا والآخرة وأن رحمته لاينالها إلا من اتقى ٠ وفي الحديث إدخال السرور على المؤمنين، لأن العادة أن النفس يكمل فرحها بما وهب لها إذا كان معلوما مما يكون موعودا.

وفيه الحث على الإيمان، واتساع الرجاء في رحمات الله تعالى المدخرة٠

الثانى والعشرون

كفالة اليتيم

روى البخارى بسنده عن **سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

فضيلة الدكتور / ماهى الحالة التى يعانيها اليتيم والتى يلمح إليها هذا الحديث؟

نقول وبالله التوفيق / فى هذا الحديث يبين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الحالة التى يكون فيها اليتيم من إحساس بالضياع والشتات، وعدم التقدير والتوقير والامبالاة ، والنظرة الضيقة من الناس فى شأنه، لاسيما اليتيم الفقير الذى يعضه الفقر واليتم فى آن واحد . حيث إن اليتيم يستقبل الحياة بلارائد ولاقائد يقوده ومن يلتفت إليه من الناس قليل، وهذا القليل قد يتهم بأن له مآرب أخرى حتى إن كثيرا مايتهرب العم أو غيره من الأقارب من الأخذ بيده إما مخافة التكلفة عليه أو أن الأمر لايسلم من تهمة أن له غرض فى أم اليتيم أو أخته أو ماله وفى كلا يقع الإهمال والتقصير فى شأنه، وقد ذاق الحبيب صلى الله عليه وسلم مرارة اليتم ووقع فى أسره، بل إن يتمه فاق يتم الأيتام جميعا، لقد كان يتيما لفقد أبيه حيث قد فارق الحياة قبل قدومه ، وكان يتيما لفقد أمه فلم يهنأ بها، وكان يتيما لأن الله لم يقدر أن يكون له أخ يستند عليه، أو يأوى إليه أو يبث شكواه له، وكان يتميا لأن الله لم يقدر أن يكون له أخت تعطف عليه أو تقوم بإطعامه أو غسل ثيابه، فقد كان محروما من هذا كله فضلا عن نظرة الإهمال من مجتمع لايعرف سوى الأقوى أما الأضعف فلا حياة له وسط هذه الجاهلية الجهلاء، ولذا كان مما من به الله على نبيه قوله (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى) وكلها إنما هى آثار عدوان اليتم ، ولذا كان الحث من الحق لنبيه بأن يتيقظ لأصحاب هذه الأحوال ويرد فضل الله عليه فيهم حيث قال (فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث) وإذا خاطب الله نبيه بهذا الخطاب كان غيره مطالب من باب أولى .

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم الشرح والبيان بإيجاز لهذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق / قوله: (أنا وكافل اليتيم) أي القيم بأمره ومصالحه، زاد مالك " كافل اليتيم له أو لغيره " ، ومعنى قوله له بأن: يكون جدا أو عما أو أخا أو نحو

ذلك من الأقارب، أو يكون أبو المولود قد مات فتقوم أمه مقامه أو ماتت أمه فقام أبوه في التربية مقامها.وفى رواية البزار " من كفل يتيما ذا قرابة أو لا قرابة له " وهذه الرواية تفسر المراد بالرواية التي قبلها .قوله: (وأشار بإصبعيه السبابة) في رواية " السباحة " والسباحة هي الأصبع التي تلي الإبهام سميت بذلك لأنها يسبح بها في الصلاة فيشار بها في التشهد لذلك، وهي السبابة أيضا لأنها يسب بها الشيطان حينئذ

. **قال ابن بطال:** حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.

وقد ورد فى رواية " وفرج بينهما " أي بين السبابة والوسطى، وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير الحديث الآخر " بعثت أنا والساعة كهاتين " وزعم البعض أنه صلى الله عليه وسلم لما قال ذلك استوت إصبعاه في تلك الساعة ثم عادتا إلى حالهما الطبيعية الأصلية تأكيدا لأمر كفالة اليتيم.

ونقول: مثل هذا لا يثبت بالاحتمال، ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى، وقد وقع في رواية الطبراني " معي في الجنة كهاتين " يعني المسبحة والوسطى " إذا اتقى " ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة، ويؤيد ذلك ماأخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة " أنا أول من يفتح باب الجنة فإذا امرأة تبادرني فأقول: من أنت فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتام لي " وقوله: " تبادرني " أي لتدخل معي أو تدخل في أثري، ويحتمل أن يكون المراد بمجموع الأمرين: سرعة الدخول، وعلو المنزلة.

وفى رواية أبى داود " أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة: امرأة ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا أو بانوا " وهذا فيه قيد زائد وتقييد في الرواية التي أشرت إليها بقوله: "إذا اتقي الله " أي فيما يتعلق باليتيم المذكور.

فضيلة الدكتور / اليتيم قد يكون بحاجة إلى توجيه بل وتعنيف من أجل مصلحته فما هو الحل فى هذا الحال؟وهل للكفالة أمد ؟وما الحكمة فى أن كافل اليتيم شبهت منزلته بمنزلة النبى فى الجنة ؟

نقول وبالله التوفيق /قد أجاب عن ذلك الحبيب عندما سأله الصحابى الجليل جابر بن عبد الله " قلت يا رسول الله مم أضرب منه يتيمي؟ قال: مم كنت ضاربا منه ولدك غير واق مالك بماله " " حتى يستغني عنه " وهوما يفيد منه أن للكفالة المذكورة أمد معلوم وقد تقدم أيضا مايفيد ذلك . ولعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي أو منزلة النبي لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلما ومرشدا، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه، ومن هنا تظهر المشابهة .

فضيلة الدكتور / وماهى البشرى فى ذلك الحديث ؟وما الذى يحثنا عليه ؟

نقول / وهل هناك بشرى أعظم ولا أكرم من مرافقة الحبيب فى الجنة. وأما مايحثنا عليه فهو : الرفق باليتيم والتلطف معه والشفقة عليه وتوجيهه والصبر عليه حتى يعلم وأن أعامله كولدى وأن أتقى الله فى ماله وأن لا أخيفه أو أروعه وأن أعلم أن الله يغار عليه ويغضب من أجله وقد نهى نبيه من أن يهين اليتيم والنبى أكمل الناس وأعدلهم فمابالك ومن أنت حتى تهين يتيما أو تقهره ..

هذا وبالله التوفيق

الثالث والعشرون

حب الله وأثره على عباده

روى البخارى بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :(إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ)صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الأستاذالدكتور / نود إلقاء الضوء على محبة الله لعباده ؟

نقول وبالله التوفيق : هذا الحديث أصل فى محبة الله لعباده ، وحب الله لعباده يتأتى من كمال فضله وجوده عليهم وإسباغ نعمه ظاهرة وباطنة وتحببه إلى عباده فى كل شيىء وقد عبرعن ذلك نبى الله إبراهيم عليه السلام عندما رد على قومه قولهم (نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) حيث قال (هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباءكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحين والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين)سورة الشعراء هكذا كان تحبب الله لعباده والذى يحتاج إلى عبد لبيب تقع عينه على أفضال ربه فيلهج لسانه بالذكر وقلبه بالشكر .

فضيلة الدكتور نريد إيضاحا أكثر لسبب هذه المحبة ؟

نقول وبالله التوفيق : قوله: (إذا أحب الله عبدا) وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها، ففي حديث ثوبان " إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول: يا جبريل إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي غلبت عليه)ويؤيد ذلك ماورد فى الحديث القدسى : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " الحديث فقوله: (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه) أى إذا وقع من الله الحب لعبد من عباده أعلن عن حبه ثم نادى على الملك المقرب والمحبب إليه وإلى سيد الناس محمد وإلى كل من آمن بمحمد ،والممدوح فى القرآن والأمين على وحى السماء معلنا عن هذا الحب طالبا من هذا الملك الحبيب أن يحب هذا العبد لأن الله أحبه فيقع الحب فى قلب جبريل

عليه السلام ، ففي حديث ثوبان " فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، وتقوله حملة العرش." (فينادي جبريل في أهل السماء) والفاء هنا للتعقيب أى ينادى مباشرة دون تقصير أو تأخير أهل السماوات السبع معلنا عن حب الله لعبده مطالبا كل من فى السماوات بحب هذا العبد فيقع الحب من أهل السماوات حيث قال (فيحبه أهل السماء) (ثم يوضع له القبول في أهل الأرض) زاد الطبراني في حديث ثوبان " ثم يهبط إلى الأرض، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) سورة مريم وقد ثبتت هذه الزيادة في آخر هذا الحديث عند الترمذي ، وقد أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ، ".
وقوله: " يوضع له القبول " هو من باب قوله تعالى: (فتقبلها ربها بقبول حسن) أي رضيها، والقبول فى اللغة مصدر يقال :قبل الله منك قبولا . والقبول :هو الرضا بالشيىء وميل النفس إليه ،يقال هذا الشيء عليه قبول أى إذا كانت العين تقبله،

والمراد بالقبول في الحديث: قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعا لله محبا له، ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن، وقد تطلق محبة الله تعالى للشيء على إرادة إيجاده وعلى إرادة تكميله، والمحبة التي في هذا الحديث من القبيل الثاني، وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه، والحب على ثلاثة أقسام: إلهي وروحاني وطبيعي، والحديث يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة، فحب الله العبد حب إلهي، وحب جبريل والملائكة له حب روحاني، وحب العباد له حب طبيعي.

فضيلة الدكتور / وما هى البشريات التى يحملها هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق : إن الحديث يحمل من البشرة أعظمهامنزلة وأعلاها قدرا ألا وهى محبة الله رب العالمين وأن الله يعلن عن حبه صراحة طالبا من سيد الملائكة جبريل أن يحب هذا العبدوأن يعلن فى الملائكة وأهل السماوات ثم يوضع له القبول فى الأرض أى يوضع له الحب فى قلوب أهل الأرض إنسهم وجنهم بل وغيرهم من المخلوقات فيسعد أهل الأرض برؤياه ويسارعون فى رضاه حيث إنه العبد

المحظوظ المرضى عنه فى العالمين وهى منزلة ليست بالهينة والبسيطة بل هى منزلة السعداءوالأولياء وأهل الكمال يقول الشيخ ابن أبى جمرة (فى تعبيره عن كثرة الإحسان بالحب تأنيس العباد وإدخال المسرة عليهم لأن العبد إذا سمع عن مولاه أنه يحبه حصل على أعلى السرور عنده وتحقق بكل خير ثم قال وهذا إنما يتأتى لمن فى طبعه فتوة ومروة وحسن إنابة كما قال (وما يتذكر إلا من ينيب)

فضيلة الدكتور / وما الذى يحثنا عليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق / الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها فرضها ونفلها حتى يرضى الحق علينا ويحبنا ، بيان إعلان حب الله لعباده وما يترتب عليه من أثر متمثلا فى حب أحب الملائكة للمؤمنين ثم حب الملائكة أجمعين ثم حب من فى السماوات ثم حب أهل الأرض بل حب الأرض ومن عليها لمن هذا حاله، وهذا الحب له ضريبته المتمثلة فى دوام الطاعة والبعد عما يغضب الحق ،
هذا وبالله التوفيق

الرابع والعشرون

سيد الاستغفار

روى البخارى بسنده عن شدَّاد بن أوس ﷺ عن النبى ﷺ " سيدُ الاستغفار أن يقول : اللهمَّ أنتَ ربِّى لا إله إلا أنتَ خلَقْتَنى وأنا عبدُك وأنا على عَهْدِكَ ووَعدِكَ ما استطعت ، أعوذُ بك من شر ما صنعتُ ، أبُوءُ لك بنعمتكَ علىَّ ، وأبُوءُ لك بذنبى ، اغفر لى ، فإنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنت . قال : ومن قالها من النهار مُوقناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو مُوقن بها فمات قبل أن يُصبحَ فهو من أهل الجنة)صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدكتور: نرجوا من فضيلتكم توضيح قوله سيد لاستغفاروأصل معنى الكلمة؟

نقول وبالله التوفيق : قوله " سيد الاستغفار " ، عبر النبى ﷺ بكلمة " سيد " لأن السيد فى الأصل الرئيس الذى يُقصد فى الحوائج ، ويرجع إليه فى الأمور ، ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعانى التوبة كلها استعير له هذا الاسم ، ولا شك أن سيد القوم أفضلهم ، وهذا الدعاء أيضاً سيد الأدعية وهو الاستغفار ، **فإن قيل :** ما الحكمة فى كونه سيد الاستغفار ؟ **أجيب :** بأنه وأمثاله من التعبديات ، والله تعالى أعلم بذلك ، لكن لا شك أن فيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف وذكر العبد نفسه بأنقص الحالات ، وهو أقصى غاية التضرع ، ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو ." والاستغفار " أصله : غفر ، ومنه : الغفور الغفار جل ثناؤه ، وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم . يُقال : اللهم اغفرْ لنا مغفرةً وغفراً وغُفراناً ، وإنك أنت الغفورُ الغفارُ يا أهل المغفرة.

فضيلة الدكتور/ هل وردت آيات وأحاديث تحث على الاستغفار وفضله ؟

نقول نعم: قد ورد فى فضل الاستغفار آيات كثيرة وأحاديث وفيرة ، منهاعلى سبيل المثال :قوله عز وجل " والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يُصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون " ليةمن سورة آل عمران ومن**الأحاديث النبوية:الحديث الذى معنا .**

فضيلة الدكتور/ نود توضحيا لما جاء فى الحديث مع بيان البشرى فيه؟

نقول وبالله التوفيق: قوله "سيد لاستغفار أن يقول " أى العبد ، " اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت " أى يالله أنت ربى الذى ربيتنى على موائد كرمك وجودك وعظيم فضلك ، أنت ربى وإلهى ورب الكون ومن فيه فلا إله ولا معبود فى الكون سواك ، أنا أدعوك وأخاطبك يا من ليس لى غيرك ولا رب لى إلا أنت . " خلقتنى " أى وأنا صنعتك ، حيث خلقتنى وسويتنى وركبتنى فى أجمل وأبهى صورة وفق مشيئتك وتقديرك فأنت أدرى بما صنعت وخلقت وقد جئت إليك راغباً فى عفوك وغفرانك ، " وأنا عبدك " لا عبد غيرك فمليكتى خالصة لك لا يشاركك فيها أحد ولا أرتضى بغيرك أحد . " وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت " .

قال الخطابى : أنا على ما عهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك ، ويحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدت إلىَّ من أمرك ومتمسك به ، ومنتجز وعدك فى المثوبة والأجر ، واشتراط الاستطاعة فى ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى . وفى قوله " ما استطعت " إعلام لأمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم ، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم .و قوله " أبوء لك بنعمتك علىَّ " ، **أبوء :** معناه : أعترف . والمعنى : أعترف بأنك صاحب الإفضال والنِّعم والمنن والكرم فما بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك ونعمك لا تحصى ولا تُعد . " وأبوء لك بذنبى " وأنا مع هذه النعم وذاك الكرم غلبتنى نفسى واتبعت هواى وسمعت وسوسة اللعين إبليس ، وأعترف لك بذنبى وتقصيرى ، ولُذتُ بعظيم كرمك وسعة عفوك ورحمتك فلا تُردنى خائباً ولا خاسراً ، إن تركتنى هلكت وضللت ضلالاً مبيناً ، وأفرحت فىَّ الشيطان وأنت أرحم الراحمين وقابل التائبين ولم تغلق أبواب رحمتك أمام المذنبين وأنا منهم " إغفر لى " فلا يقدر على الغفران غيرك وأنا لائذ بعظيم اللطف وجميل الكرم يا حليماً يُرجى لكل عظيم اغفر لى " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " وأنا اعترف بذنبى وجريرتى ، وجئت إليك تائباً برغبتى فلا نامت لى عين ولا قرّ لى قرار حتى ترضى عنى يا قهار وتغفر لى الذنوب والأوزار ، وتمحو اسمى من صحيفة الأشرار فلا يقدر على ذلك غيرك ٠

هنا تجىء البشرى لمن قال هذا لاستغفاروعاش فى تلك الأنواروهى قوله " من قالها من النهار موقناً بها " أى مخلصاً من قلبه مصدقاً بثوابها ، " فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة " أى دعى به فى النهار فمات كان مصيره إلى الجنة ." ومن قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة •

فضيلة الدكتور/ ومالذى يحثنا عليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق: جمع رسول الله ﷺ فى هذا الحديث من بديع المعانى وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار ، **ففيه :** الإقرار لله وحده بالألوهية والعبودية ، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذى أخذه عليه ، والرجاء بما وعده به ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه ، وإضافة النعماء إلى موجدها ، وإضافة الذنب إلى نفسه ، ورغبته فى المغفرة ، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو •وقد روى أثر عن الحسن البصرى رضي الله عنه : أن رَجلاً شكى إليه الجدب ، فقال : استغفر الله ، وشكى إليه آخر الفقر ، فقال : استغفر الله ، وشكى إليه آخر جفاف بستانه ، فقال : استغفر الله ، وشكى إليه آخر عدم الولد ، فقال : استغفر الله ، ثم تلا عليهم آية الاستغفار التى فى سورة نوح وهى قوله تعالى " **فقلتُ استغفروا ربَكُمْ إنه كان غفّاراً * يُرسلِ السماءَ عليكم مدراراً * ويمددكم بأموالٍ وبنينَ ويجعل لكم جنّاتٍ ويجعل لكم أنهاراً** ". هذا وبالله التوفيق •

الخامس والعشرون
الماهر بالقرآن

روى البخارى بسنده عن عائشة ﷺ قالت : " قال رسول الله ﷺ " الماهرُ بالقــرآن مــع السفرةِ الكرامِ البررةِ ، والذى يقرأُ القرآنَ ويتتعتعُ فيه وهو عليه شاقٌ له أجران " ٠صدق رسول الله عليه وسلم ٠

فضيلة الدكتور / نريد التوضيح والبيان للماهر والمتتعتع بالقرآن ؟

نقــول وبالله التوفيق / يخبرنا نبينا وحبيبنا محمد ﷺ عن أجر وجزاء من يكون سبّاقاً فى تلاوة القرآن بلسانه ، مصدقاً به بجنانه ، معايشاً له فى سلوكه ووجدانه ، ماهــراً فـــى ذلك فهو محترفٌ فى تلاوته بالأحكام الكاملة مُجمّلاً صوته ، مُحسّناً مخارجــه ، قائماً بأحكامه غير مقصر فيها بأنه" مع السفرة الكرام البررة " أى مع الملائكة الكرام السفراء بين السماء والأرض ، فهو فى درجتهم ، وفى معيتهم فلا يقــربه شــيطان ، ولا يكــون له عليه سلطان ، مستجاب الدعاء ، موفور الجزاء مقــبول مــنه كل رجاء ، فهو فى الدنيا فى حراستهم وحوزتهم ، وفى الآخرة له مــنازل كمنازلهم ودرجات كدرجاتهم ، حيث إنه قد تخلّق بأخلاق القرآن ، وطبق تعالــيمه مــن إيمــان وإحسان ٠ثم يخبرناعن المتتعتع فيقول " والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران " والذى يقرأ القرآن مجتهداً فى تلاوته ولكنه يخطــئ فـــى بعض الحروف والكلمات غير قاصد لذلك ولا متعمده ، ولكن لعدم خبــرته بالتلاوة ، أو لعدم وجود معلم له ، والقرآن يؤخذ بالتلقى عن حافظ دارس لأحكامـــه، ولكـــن هـــذا الشخص لم تتوفر لديه فرصة التلاوة على يد هذا العالم الدارس بظروف فيه من حيث طلب العيش وضرورة البحث عن الرزق ، وضيق ذات الـــيد ، وعـــدم توفر الوقت ، فهو ينته من وقته مثلا وقد غاب النهار فمن ذا

الـــذى يجالســـه أو يفـــرغ لـــه ؟، وهو يريد أن يتبرك ببعض التلاوة لأخذ الأجر والثواب ، وتذكُراً بعهد الله وميثاقه فمثل هذا " له أجران " أجر التلاوة التى يتلوها ، وأجر المشقة التى وقع فيها۰

فضيلة الدكتور / هل هناك رأى آخر وتوجيه جديد فى شأن المتتعتع ؟

نقول نعم الرأى الآخر: وهو أن هذا الشخص يحسن التلاوة والأحكام ولكنه لا يحسن تطبيق ما يعلم من أوامر القرآن لضعف نفسه وميلها إلى الآثام ، أو لتسلط الشيطان عليه فى بعض الأوقات ، أو لضعف همته فى بعده عن المحرمات فهو يحاول الهرب من المعصية فيشق ذلك عليه، فهو فى منازعة دائمة بين داعى القرآن ، وداعى الشيطان فيغلب مرة ويُغلب أخرى فمثلاً : هو لا يريد أن ينظر إلى امرأة حيث إنه مطلوب منه أن يغض بصره ، ولكنه لكثرة السائرات فى الطريق بالملابس الفاتنة والأجسام العارية مرة يُغض ، ومرة يلتفت ، مرة يغلب شيطانه ومرة يغلبه شيطانه فمثله نقول له حاول الاستمرار فى غض البصر أكبر قدر فإنك مأجور على ذلك ، وإذا غُولبت فى دفعك لنفسك بين أن تنظر أولا تنظر فلك أجران أجر لمحاولتك للالتزام ، وأجر لما قمت به من التزام فعلاً ، فداوم على المحاولة فالمسألة مسألة تمرين وتعود فمثلاً : ليس هناك من إنسان أمسك القلم وهو وصغير فكتب مباشرة الحروف والكلمات ، ولكنه كم قصف من أقلام حتى تمكن من ذلك ، وأيضا ليس هناك من إنسان وُلد ثم مشى دون أن يتعلم الجلوس أولاً ثم كيف يحبو ثم كم محاولة قام بها من أجل أن يقف على رجليه ثم كيف كانت خطوته الأولى ، وبعد كم من الوقوع على الأرض حصل على تلك الخطوة ، ثم بعد ذلك إذ هو يسير ويجرى ويلعب بل ربما كان أفضل عدّاء فى

العالم ، فلو قال فى أول أمره لا حاجة لى فى القيام والمشى حيث قد حاولت مرة فلم أستطع لظل قعيد الفراش ، فاقداً لكل ما فى المشى من إحساس ، ولذا يقول حبيبنا ﷺ " إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم " وهذا رأيى الذى أميل إليه لأنه : كم من منافق يتلو القرآن بصوت جميل و إتمام لكل أحكام التلاوة مع أنه أخل به تطبيقاً وتصديقاً فما قرأه فى وادٍ ، وأعماله الطالحة فى وادٍ آخر ، وكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه .

فضيلة الدكتور /وماهى البشرى الواردة فى هذا الحديث ومالذى يرشد إليه؟

نقول : البشرى واضحة جلية حيث إن الإسلا م لايحرم المجتهد والحريص بل يرفع رايته ويعلى قدره وينوه على شرفه، يؤخذ ذلك من قوله (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) كما أن فى الإسلام من له شرف المحاولة وإن تعثر مأجور ومكرم فسعى المجتهد والمحاول مشكور ٠أما مايرشدنا إليه الحديث فهوالآتى:

الحرص على الوصول إلى التفوق فى تلاوة القرآن والعمل به ، حيث إنهاالدرجة العليا والمنزلة العظمى درجة السفرة الكرام البرره .

وإن أفضل ما يتقرب به المتقربون ، ويتعبد به المتعبدون هو تلاوة القرآن وتدبره ومدراسته وتطبيق ذلك أخلاقاً وسلوكاً ٠إن الإسلام لا يحرم المجتهد والمحاول من شـــرف اجتهاده ومحاولته حيث جعل الأجر أجران أجر العمل وأجر التعب الذى وقع فى العمل ،ولم يكافئ على العمل وحده ، وأهدر طاقة المحاولة ٠

التنبـــيه لكـــل مـــن تاقت نفسه إلى الكمال أن أسبابه ووسائله موجودة ومتوفرة وقريبة فهذا هو القرآن موجودٌ فأين الماهر الذى يريد أن يمهر به ؟د

—

السادس والعشرون

منع الخلوة بالرجل ولو كان قريبا

روى البخارى ومسلم بسنديهما عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحموَ ؟ قال : الحمو الموت"

فضـيلة الدكـتور / نـرجو من فضيلتكم بيان المعنى العام وتوضيح ما ورد فى الحديث من استفهام؟

نقول وبالله التوفيق : قوله ﷺ "إياكم والدخول" بالنصب على التحذير، وهو تنبيه المخاطب على محذور ليتحرز عنه كما قيل : إياك والأسد، وقوله "إياكم مفعول بفعل مضمر تقديره اتقوا، وتقدير الكلام اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء والنساء أن يدخلن عليكم، ووقع فى رواية ابن وهب بلفظ "لا تدخلوا على النساء" وتضمن منع الدخول الخلوة بها بطريق الأولى. قوله "فقال رجل من الأنصار" قال الحافظ ابن حجر : لم أقف على تسميته. قوله "أفرأيت الحمو".

فضيلة الدكتور / نرجو توضيح هذا الاستفهام ؟

نقول : هو استفهام قصد به بيان الحال أى وما هو الشأن والحال فى الحمو والحمو هو كما قال الليث : الحمو أخو الزوج، وما أشبه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه، وقال الترمذى : يقال هو أخو الزوج، كره له أن يخلو بها. قال : ومعنى الحديث على نحو ما روى "لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان" وهذا الحديث الذى أشار إليه أخرجه أحمد.

قال النووى : اتفق أهل العلم باللغة على أن الأحماء : أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم، وأن الأختان : أقارب زوجة الرجل، وأن الأصهار: تقع على النوعين وقد اقتصر أبو عبيد وتبعه ابن فارس والداودى على أن الحمو أبو الزوجة، زاد ابن فارس: وأبو الزوج يعنى أن والد الزوج حمو المرأة ووالد الزوجة حمو الرجل، وهذا الذى عليه عرف الناس اليوم. وقال الأصمعى وتبعه

الطبرى والخطابى ما نقله النووى وكذا نقل عن الخليل، ويؤيده قول عائشة "ما كان بينى وبين على إلا ما كان بين المرأة وأحمائها".

وقال النووى : المراد فى الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت، قال : وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابن العم وابن الأخت ونحوهم مما يحل لها تزويجه لو لم تكن متزوجة، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبه بالموت وهو أولى بالمنع من الأجنبى. وقد جزم الترمذى وغيره كما تقدم وتبعه المازرى بأن الحمو أبو الزوج، وأشار المازرى إلى أنه ذكر للتنبيه على منع غيره بطريق الأولى وتبعه ابن الأثير فى "النهاية" ورده النووى فقال: هذا كلام فاسد مردود لا يجوز حمل الحديث عليه.

قال الحافظ ابن حجر: وسيظهر فى كلام الأئمة فى تفسير المراد بقوله "الحمو الموت" ما تبين منه أن كلام المازرى ليس بفاسد، واختلف فى ضبط الحمو: فصرح القرطبى بأن الذى وقع فى هذا الحديث حمء بالهمز، وأما الخطابى فضبطه بواو بغير همز لأنه قال وزن دلو، وهو الذى اقتصر عليه أبو عبيد الهروى وابن الأثير وغيرهما، وهو الذى ثبت عندنا فى روايات البخارى، وفيه لغتان أخريان إحداهما حم بوزن أخ، والأخرى حمى بوزن عصا، ويخرج من ضبط المهموز بتحريك الميم لغة أخرى خامسة، حكاها صاحب "المحكم". قوله "الحمو الموت" قيل المراد: أن الخلوة بالحمو قد تؤدى إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم، أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغيرة على تطليقها أشار إلى ذلك كله القرطبى.

وقال الطبرى: المعنى أن خلوة الرجل بامرأة أخيه أو ابن أخيه تنزل منزلة الموت، والعرب تصف الشيء المكروه بالموت، قال ابن الأعرابى: هى كلمة تقولها العرب مثلا كما تقول الأسد الموت أى لقاؤه فيه الموت، والمعنى احذروه كما تحذرون الموت. وقال صاحب "مجمع الغرائب" يحتمل أن يكون المراد أن المرأة إذا خلت فهى محل الآفة ولا يؤمن عليها أحد فليكن حموها الموت أى لا يجوز لأحد أن يخلو بها إلا الموت كما قيل نعم الصهر القبر، وهذا لائق بكمال الغيرة والحمية.

وقال أبو عبيد: معنى قوله الحمو الموت أى فليمت ولا يفعل هذا، وتعقبه النووى فقال: هذا كلام فاسد وإنما المراد أن الخلوة بقريب الزوج أكثر من الخلوة بغيره والشر يتوقع منه أكثر من غيره والفتنة به أمكن لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير نكير عليه بخلاف الأجنبى.

وقال القاضى عياض: معناه أن الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الفتنة والهلاك فى الدين فجعله كهلاك الموت فى الاستقباح والمفسدة أى فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ فى الزجر عنه وشبهه بالموت لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجة لإلفهم بذلك حتى كأنه ليس بأجنبى من المرأة فخرج هذا مخرج قول العرب: الأسد الموت، والحرب الموت، أى لقاؤه يفضى إلى الموت، وكذلك دخوله على المرأة قد يفضى إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غير الزوج أو إلى الرجم إن وقعت الفاحشة.

وقال ابن الأثير فى النهاية: المعنى أن خلوة المحرم بها أشد خلوة من غيره من الأجانب، لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تثقل على الزوج التماس ما ليس فى وسعه، فتسوء العشرة بين الزوجين بذلك، ولأن الزوج قد لا يؤثر أن يطلع والد زوجته أو أخوها على باطن حاله ولا على ما اشتمل عليه. فكأنه قال الحمو الموت أى لابد منه ولا يمكن حجبه عنها، كما أنه لابد من الموت.

والخلاصة: أن الزوجة إذا ترك زوجها المنزل من أجل العمل أو لأى أمر من الأمور وكان أولادها " قُصَّرٌ " أو صغارا دون سن التمييز لا يدخل أحد بيتها من الرجال إلا أبوها أو أخوها أو ابن أختها أو خالها أو عمها، أو ابن أختها أو النساء أما ما دون ذلك فممنوع منعاً باتاً فتح الباب واستقبال الضيف أياً كانت مكانته أو صفته أو درجة قرابته غير ما مر، ولها أن تقول بصوت واضح لا لبس فيه أن رجل البيت غير موجود وأنها لن تفتح الباب إلا بحضوره وأن هذا الكلام وإن لم يأمرها به زوجها فإن الإسلام أمرها به، فإن لم يأمرها زوجها بذلك بل طلب منها استقبال أهله وإخوته البنين أو أقربائه فى أى وقت وفى غير وجوده لا تستجيب لرأيه إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، ولأن تُتهم المرأة بأنها جامدة أو رجعية أو غير عصرية أو غير متحضرة أهون ألف مرة من الاتهام فى شرفها أو لحظة شك أو ريب ترى فى عين زوجها، وخاصة إخوة الزوج فربما التبسيط فى الحديث واعتياد الكلام فى المناسبات العامة والخاصة تستدعى عدم التحفظ وتفضيله فى أى وقت، وإذا دخل البيت ربما

تطور الحديث إلى هنا وهناك حتى يرمى الشيطان بالشبّاك فيُغلق الشُبَّاك، ويكون هناك مالا تحمد عقباه فالمصيبة من أخ فى عرض أخيه والبلية فى زوجة تخون زوجها فى أقرب الأقربين إليه، وهذا هو الموت النفسى والموت المعنوى والدمار الخُلقى والانهيار الأسرى والموت الجسدى، فليحذر الجميع وليتقى الله كل أنثى وليتق الله كل رجل.

فضيلة الدكتور /و ما الذى يرشد إليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق :

١- عدم دخول أحد الناس إلى بيت خال من الرجال وبه امرأة أو فتاة.
٢- أقارب الزوج هم أغراب على الزوجة تعاملهم معاملة الأجنبى وليس فى ذلك جفاء فلها أن تعامل النساء من أخوته وأقاربه، ولتترك زوجها لأهله من الرجل ليقوم بتقديم واجب الضيافة والترحيب.
٣- لا بأس من الترحيب على بعد مع وجود المحارم فى حدود اللياقة الإسلامية من خمار على الرأس وثياب فضفاض لا يشف مع وجه له هيبته لا يعطى القريب الفرصة فى أن يتمكن من جرأته.

السابع والعشرون
التقصير في جنب الله وعاقبته

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ:((ذكر رجلاً فيمن كان سلف – أو قبلكم- آتاه الله مالاً وولداً –يعنى أعطاه- قال : فلما حُضِرَ قال لبنيه : أىَّ أبٍ كنتُ لكم ؟ قالوا : خيرَ أبٍ. قال : فإنه لم يبتئرْ عند الله خيراً. فسرها قتادة: لم يدخر. وإن يَقدَمْ على الله يعذبْهُ. فانظروا، فإذا متُّ فأحرقونى، حتى إذا صرتُ فحماً فاسحقونى – أو قال : فاسهكونى، ثم إذا كان ريح عاصف فأذرُونى فيها، فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّى، ففعلوا، فقال الله : كُنْ، فإذا رجلٌ قائمٌ، ثم قال أى عبدى ما حملكَ على ما فعلت ؟ قال : مخافتُكَ – أو : فَرَقٌ منك فما تلافاهُ أن رحمهُ الله)).

فضيلة الدكتور / ما هو المعنى العام لهذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق : إن الخوف من الله عز وجل هو من المقامات العلية ومن لوازم الإيمان يقول تعالى "فلا تخشوا الناس واخشون" ويقول عز وجل "وخافون إن كنتم مؤمنين" وقوله "إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير" وقوله فى شأن الملائكة "يخافون ربهم من فوقهم" وقوله فى شأن الأنبياء "الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله" وإنما كان خوف المقربين أشد لأنهم يطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة، ولأن الواجب لله منه الشكر على المنزلة، فيضاعف بالنسبة لعلو تلك المنزلة، فالعبد إن كان مستقيماً فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى "يحول بين المرء وقلبه" أو نقصان الدرجة بالنسبة، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله، وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع فإن الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها، وأن يحرم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربه أن يُدخله فيمن يغفر له.

والحديث الذى معنا يخبرنا عن رجلٍ على به، تقصيره بربه، وأدرك أن الله معاقبه لا محالة جراء تقصيره، كما أنه غلبه الحياء عند اللقاء، ومن هنا كان طلبه من أبنائه ما طلب. يقول أبو سعيد مخبراً عن الحبيب أنه "ذكر رجلاً فيمن كان سلف" أى مخبراً عن حاله وحكايته وكان من شأنه أن "آتاه الله مالاً وولداً" ودائماً المالُ والولد هما محل الغرور والتباهى، ومن ورائهما تأتى الفتن والدواهى، ولذا يخبرنا ربنا عن فتنة ذلك فيقول "أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً" ويقول فى غيره "أن

كان ذا مالٍ وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين" ويقول فى مفتون آخر "أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً" وقال فى غيره "إنما أوتيته على علم عندى" وهذا الذى معنا من هذا الصنف أساء فى كل شيء مع ربه والناس، ولكنه كان مع أولاده محسناً، وعاش عاس، ولم يصبه إفلاس، وسرعان ما سار العمر، وقربت الرجل من القبر، بعد انحناء الظهر وتغير الأمر، وأصبح رهين لانتظار فى الإقدام على القهار، فأسرع فى بيان الوصية، لتكون الأمور واضحة جلية، قبل أن تقبض روحه، وتُهدم صروحه، فلما كان الاحتضار، جمع أبناءه صغاراً وكبار، وقال بصوت ضعيف يرجو به عطفهم عليه، وإعانتهم له فيما يريد، فسألهم سؤال تقرير لا سؤال تنفير، قصد به استعطافهم وجذب انتباههم فقال لبنيه "أىَّ أب كنتُ لكم ؟" قالوا مجيبين ومقرين فى صوت واحد : خيرَ أب.

فضيلة الدكتور / ما هو المقصود من سؤال الرجل أبناءه فى مثل هذا الحال، وما المغزى منه؟

نقول: كان مقصد الرجل من سؤاله هو أن يقروا أمامه بعظيم إحسانه، وجميل أفعاله وخلاله، ليكون مدعاة لهم على تنفيذ طلبه، وعدم التقصير لما يظنونه عظيم وخطير، وفى التنفيذ عسير، ففاجأهم بما لا يتوقعون ولا يتصورون حيث قال "فإنه لم يبتئر عند الله خيراً" أى أنه لم يدخر عملاً صالحاً لنفسه عند الله، وأصل الكلمة "البئيرة" بمعنى الذخيرة والخبيئة يقال : بأرت الشيء وابتأرته وأبأره وابتئره إذا خبأته ومنه قيل للحفرة البئر.

وهكذا كشف حقيقة نفسه وخبيث تقصيره مع باريه ومعطيه عز وجل، ثم أعلنها صراحة، أنه لن يجد هناك راحة، حيث قال "وإن يَقدم على الله يعذبه" وهكذا غلَّب الخوف على الرجاء، لأنه لم يقدم لنفسه ما يبعث على الاطمئنان، أو يكون ورائه أمان، حيث إنه يُقدم على مولاه عُريان، مع ما فرَّط من تقصير وعصيان، وكانت لديه الفرصة فَخَيْرُه وفير، وأولاده كثير، ومُكّن له فى الخير ما لم يُمكّن لغيره، نسى أو تناسى فعل الخيرات وظن أن الدنيا دائمة، وأن لا قيامة قائمة، ولكن الآن وبعد فوات الأوان "بلغت التراقى، وقيل من راق، وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق، فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى" قوله "فانظروا" أى حالى حتى يُقضى فىّ بالموت "فإذا متُّ فأحرقونى" أى إذا تأكدتم من موتى فأحرقونى" حتى إذا صرتُ فحماً فاسحقونى – أو قال : فاسهكونى والسحق هو : دق الشيء ناعماً، أو قال : فاسكهونى والشك من الراوى : والسحق والسهك بمعنى

واحد، وقيل السهك دون السحق وهو أن يفت الشيء أو يدق قطعاً صغاراً، وفي رواية "فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أوروا ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فاسحقوني " "ثم إذا كان ريحٌ عاصف فأذروني فيها" أي تخيروا يوماً هائجاً بالريح لا راحة فيه ولا هدوء "فأذروني فيها" أي ذروا رمادي فيها وفي رواية أبي هريرة "اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر".

"فأخذ مواثقهم على ذلك" أي جعلهم يقسمون أمامه أن يفعلوا ذلك بلا تقصير أو تساهل أو أن يصبهم في أبيهم عند فعل ذلك شفقة أو رحمة قوله "وربي "أي قال لمن أوصاه قل وربي لأفعلن ذلك "وعند مسلم أيضاً "ففعلوا به ذلك وربي "فتعين أنه قسم من المُخبر أي منه ﷺ، وكأن السامع ربما داخله شك أو لم يتصور فعلهم ذلك فأكد باليمين ليكون أدعى للتصديق "ففعلوا، فقال الله : كُنْ، فإذا رجلٌ قائم" أي أن الله أمره أن يجمع فجمع في أسرع من لمح البصر "وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر" إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" ثم قال : أي عبدي ما حملكَ على ما فعلت؟

فضيلة الدكتور : هنا استفهام ما هو المقصود منه؟

نقول وبالله التوفيق :

إنه استفهام تقريري من الحق له حيث إن الله يعلم السر وأخفى فهو يريد أن يقرره على فعلته ليبين دخيلة صدره والباعث على ذلك، فقال: "أي الرجل" مخافتك، أي خوفي منك وعدم قدرتي على مواجهتك وعلى عذابك" أو "شك وقع من الراوي "أو قال فَرَقٌ منك" أي خوفي منك ورعبي منك، "فما تلافاه أن رحمه الله" أي تداركه وما موصولة أي الذي تلافاه هو الرحمة، أي ما وجد غير رحمة الرحمن ولطفه وسابق عفوه عز وجل، وهو الحليم بعباده القابل لتوبة التائب.

فضيلة الدكتور / ما الذي يرشد إليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق :

١- حكاية النبي ﷺ هذا الأمر تحذيراً لأصحابه وأمته من أن يقعوا في الذنوب المهلكة، وأن أشد هذه الذنوب هي النسيان المطبق المنسي حق الله، الملهي عن خشيته.

٢- أن المال والعيال كان الواجب أن يكونوا سبباً للشكر لا سبباً للغرور، وصدق الله إذ يقول "وقليل من عبادي الشكور".

٣- منزلة الأبناء فى قلوب الآباء حيث إن الآباء قد ينسوا كل شيء حتى الحق عز وجل، ولا ينسون أبناءهم بل ربما فعلوا الأفعال الموجبة للحد، والموجبة للنار من أجل أبناءهم فلعل الأبناء يعتبرون.

٤- حق الأبناء على الآباء أن يعترفوا بجميلهم عليهم، وإذا طلب الآباء من الأبناء ذلك أن يجيبوا ولا يمغطوا حق آباءهم، فعندما سألهم "أى أب كنت لكم ؟" قالوا خير أب.

٥- أن الاعتراف بالحق فضيلة، إن الاعتراف بالحق يعطى الفرصة للبحث عن التغيير بخلاف الكذب يؤخذ ذلك من قوله "فإنه لم يبتئر عند الله خيراً".

٦- بيان أن الرجل كان مؤمن بالله وباليوم الآخر موقن بذلك، عالم بتقصيره فى هذا الأمر ولذا قال "إن يقدم على الله يعذبه.

٧- مدى تصور العقاب الذى سوف ينتظره بما طلبه من أبناءه من قسوة الأمر به بعد الممات، من كثرة التفتيت والتذرية والحرق وكأنه أراد أن يعاقب نفسه قبل أن يعاقبه ربه، وخشيته من لقائه، وحياؤه من فضحه على رؤوس الأشهاد.

٨- أخذ المواثيق لتأكيد الأمر على التحقيق، وعدم التوالى والتكاسل وجواز الحلف بهذا الخصوص.

٩- تنفيذ الوصية وعدم التقصير إلا إذا كانت فى معصية.

١٠- عظيم قدرة الله فى بعث الأجساد وإن كانت رماد.

١١- المفاجأة الكبرى وهى عظيم رحمته التى تحل بعباده فضلاً منه ونعمة.

١٢- عدم اليأس من رحمة الله مع عظم الذنب، فعفو الله أعظم وأكبر.

الثامن والعشرون
اليـد العليا

روى البخارى بسنده عن حكيم بن حزام عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " اليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى وابدأ بمن تعولُ وخيرُ الصدقة عن ظهر غِنى ، ومن يستعففْ يُعفَّهُ الله ومن يستغن يُغنه الله " .

وعــن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال : وهو على المنبــر ، وذكر الصدقةَ والتعفُّفَ والمسألة " **اليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلىَ فاليدُ العليا هى المنفقة والسفلى هى السائلةُ** "[1] .

فضيلة الأستاذ الدكتور/ نود من فضيلتكم التعريف برواة هذا الحديث ؟

نقــول وبـــالله التوفــيق الراوى الأول : هوالصحابى الجليل حكيم بن حزام بن خُــويلد بــن أسد بن عبد العُزىَّ القُرشى الأسدىُّ، أبوخالد المكى ، وعمته خديجة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم . روى عن النبى ﷺ ، **وعنه : ابنه حزام ،** وابن ابن أخيه الضحاك بن عبد الله بن خالد بن حزام وغيرهم. **قال ابن البرقى :** أســلم يوم الفتح، وكان من المؤلفة. **وقال البخارى :** عاش فى الإسلام ستين سنة وفــى الجاهلــية ستين سنة . **يقول حكيم بن حزام :** وُلدت قبل الفيل بثلاث عشرة ســنة ، وأنا أعقل حين أراد عبد المطلب أن يذبح ابنه عبد الله . وحكى الزبير بن بكــار أن حكيم بن حزام وُلد فى جوف الكعبة، **وقال:** وكان من سادات قريش فى الجاهلية والإسلام . **وقال عراك بن مالك :** إن حكيم بن حزام **قال :** إن محمداً كان مــن أحــب رجال مكة إلىّ فى الجاهلية . **وعن ابن عباس قال :** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة قُربه من مكة فى غزوة الفتح : " إن بمكة لأربعة

١- فتح البارى كتاب الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٣/٢٩٤ .

نفـــر مـــن قريش أرباً بهم عن الشرك وأرغب لهم فى الإسلام " **قيل:** ومن هم يا رسول الله ؟ **قال:** "عتاب ابن أسيد، وجبير ابن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمـــرو" وعـــن عروة بن الزبير **قال:** إن أبا سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء أسلموا ، وبايعوا، فبعثهم رسول الله (ﷺ) إلى أهل مكة يدعونهم إلى الإسلام وبـــه **قال:** " من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن". **وعن مصعب ابن الزبير قال:** جاء الإسلام وفى يد حكيم الوفادة، وكان يفعل المعـــروف، ويصل الرحم، ويحض على البر، **قال:** وجاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم ابن حزام، فباعها من معاوية بعد بمائة ألف درهم، **فقال له بن الزبير:** بعت مكرمة قريش. **فقال:** ذهبت المكارم إلا التقوى، اشتريت بها داراً فى الجنة أشهدكم أنـــى قـــد جعلتها فى سبيل الله ، يعنى الدرهم التى أخذها ثمناً لدار الندوة: كما أنه كـــان عالمـــاً بالنسب وكان يقال: أخذ النسب عن أبى بكر، وكان أبى بكر أنسب قريش . **وفاته:** قيل توفى سنة "٥٤" وقيل "٥٨" وقيل "٦٠" وقيل سنة "٥٠"[١] هـــ فالله أعلم .

وأما الثانى فهو الصحابى الجليل :**عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفيل القرشى الـــدوى أبو عبد الرحمن عبد الرحمن المكى** ، أسلم قديماً وهو صغير وهاجر مع أبـــيه واستصغر فى أحد ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها . **روى عـــن النبـــى (ﷺ)** وعـــن أبيه وعمه زيد وأخته حفصة وأبى بكر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة كثير .

وروى عـــنه : أولاده بـــلال وحمزة وزيد وسالم وغيرهم خلق كثير **قالت أم المؤمنين حفصة :** سمعت رسول الله (ﷺ) **يقول :** إن عبد الله رجل صالح . **وقال**

ابـــن مســـعود: إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا لعبد الله بن عمر وقال جابـــر: مـــا مـــنا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها. إلا ابن عمر. **وقال ابن المســيب** : مات يوم مات وما فى الأرض أحب إلىّ أن ألقى الله بمثل عمله منه . **وقـــال الزهرى** : لا نعدل برأيه أحداً . **وقال مالك:** أفتى الناس ستين سنة . **وقال الزبير** : هاجر وهو ابن عشر سنين ومات سنة ثلاث وسبعين[٣] .

فضيلة الدكتور / ما هو المعنى العام لهذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق : خلق الله الناس أشكالاً وأجناس ، وقسم معاشهم فى الدنيا من تقتير وغنى ، وقبض وبسط فمنهم **المرفوع شأنه** العالى منزلته ، مع ثراء فى مال وعيش ناعم ، وهم علية أهل الدنيا وسادتها ، ومنهم **متوسط الحال** فى المال والمكانة ، لا تخلو حياته من سعادة كما لا تخلو أيضاً من نكد وضيق، يحاول أن يرتفع إلى مكانة أهل القمة ، وما يصيبهم فى حياتهم من نعمة ، فاراً من الفقر فرار الفريسة من الأسد ، حريصاً على ارتفاع قدره ومكانه مهما أصابه من بلاء فى جسد أو حاسد إذا حسد . ومنهم **الفقير المتعفف** الذى رضى بالقليل ولا قدرة له فى المحاولة لكسب الكثير مُضيق عليه فى رزقه ، كلما أراد الفرار من الفقر لحق به الفقر وأدركه . ومنهم من وقع فى شباك الفقر، وأهلك له الحرث والنسل ولطخ ثوبه بثياب المرض والجهل بل وألقى به فى مهاوى الوحل ، فعريت حاله وكثرت أوحاله وعز عليه الثوب النظيف ، بل وعز عليه أن يجد الرغيف ، قد غفل عنه المجتمع فمامن مبصر يرى ولا سامع يسمع فخرج إليهم يستجديهم

---

(١) تهذيب الكمال : ١٧٠/٧. (٢) تهذيب التهذيب : ٤٠/٢ .

(٣) تهذيب الكمال : ٣٣٢/١٥ (٤) تهذيب التهذيب ٢٩١/٥

واحتال عليهم ليأخذ بعض البعض مما فى أيديهم ليستر عورته وليسد جوعته واتخذ من سؤال الناس سبباً للمعاش حتى يغير الله الحال ، والكل تحت رحمة الله يسير ، والكل فى قبضة الله أسير ، فهو عز وجل الذى يُلبس الناس لباس الغنى ، وهو الذى يذيق الناس لباس الجوع والفقر والخوف ، **وهذا من أسرار خلق الإنسان** حيث إنه صُلْب الامتحان يقول الرحمن **(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا(١)** ويقول **(ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم** ورحمة وأولئك هم المهتدون (٢) ويقول **(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعَّمه فيقول ربى أكرمن* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن* كلا.(٣)** . **ويقول فى ترتيب الأرزاق** وتمكين بعض الناس على بعض (.. **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خيرٌ مما يجمعون(٤) . وأما من حيث الغنى الحقيقى والفقر الحقيقى** فيقول **(يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز(٥) . ومن أجل الاختبار** يقول القهار **(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا(٦)** .

وحيث إن الأيام لا يملكها إلا باريها، والأرزاق لا يسوقها إلا الخلاَّق، وأنه **(وما**

١- سورة الإنسان آية رقم ٢ ، ٢- سورة البقرة آية رقم ١٥٥ ، ٣- سورة الفجر آية رقم ١٧ ،
٤- سورة الزخرف آية رقم ٣٢ ، ٥- سورة فاطر آية رقم ١٧ ، ٦- سورة الفرقان آية رقم ٢٠

مــن دابــة فى الأرض إلا على الله رزقها(١) وأن اختبار الغنى والفقر دائر على رقــاب بنى آدم أجمعين بلا تفريق ليرى الرحمن الغنى الشاكر والفقير الصابر ، وحــيث إن غد كل إنسان بيد الرحمن ، فهو الذى يعلم السر وأخفى أَمَرَ كل غنى وكــل ذى سعة أن ينفق وأن يتصدق معلناً على لسان نبيه (ﷺ) أنه وكَّل بكل يوم يجــدُ علــى بنى آدم فى الأرض كلها ملكان يناديان بهذا الدعاء المستجاب (اللهم أعطى كل منفقاً خلفاً) هذا قول أحدهما، ويقول الأخر (اللهم أعطى كل ممسكاً تلفا)(٢) محدداً عز وجل من تجب عليهم الزكاة والصدقات ، محدداً أيضاً أنواع الزكاة حســب أنواع النعم التى أنعم بها على عباده من مالٍ ومتاع ، مع مواقيت للزكاة ، حيث قال عز وجل (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلــوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**)[3] . **ثم يتكلم عن بر أهل البِّر** فيقول (**ليس البر أن تولوا وُجُوهَكم قبل المشــرق والمغــرب ولكــن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكةِ والكتابِ والنبيــين وآتــى المال على حبه ذوى القُربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والســائلين وفى الرقابِ وأَقامَ الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصــابرين فــى البأساءِ والضراءِ وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**)[4]. **ويتحدث عن الأبرار** فيقول (**ويطعمون الطعام على حُبِّه** مسكينا ويتيما وأسيرا إنما **لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً**)[5] **ويُحدد النبى (ﷺ) ملامح المسكين فيقول (ليس المسكين الذى يطوف على الناس**

١- سورة هود آية رقم ٦ . (٢) أخرجه البخارى كتاب الزكاة باب قول الله (فأما من أعطى) ٣/ ٣٠٤ .
(٣) سورة التوبة الآية (٦٠) . (٤) سورة البقرة من الآية (١٧٧) (٥) .سورة الإنسان آية رقم ٨ .

، ترُدُّه اللُّقمَةُ واللُّقمتانِ ، والتمرةُ والتمرتانِ ، ولكنِ المسكينُ الذى لا يجدُ غِنى يُغنيه ولا يُفْطَنُ به فيُتَصدَّقُ عليه ، ولا يقومُ فيسألُ الناسُ)[1] .

ويبين الرسول(ﷺ) أن سؤال الناس لا يكون إلا بعد أن تنفد جميع الحيل فى طلـــب الرزق فيقول " إن المسألة لا تكون إلا لذى فقر مدقع أو دمٍ موجع .. إلخ " ويقـــول " لأن يحتطبَ أحدُكم حُزْمةً على ظهرة خيرٌ من أن يسأل أحداً فيُعطيَهُ أو يمنَعَهُ " ولهذا فإنه يخبر فى الحديث الذى معنا " أن اليد العليا خير من اليد السفلى

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم توضيح قوله (اليد العليا خير من اليد السفلى وبيان آراء العلماء فى ذلك ؟ وما المقصود بالأيدى ؟

نقـــول وبـــالله التوفيق : إذا رجعنا إلى آراء العلماء فى تفصيل اليد العليا واليد السفلى وجدنا الآتى :

قـــال القرطبـــى : وقع تفسير اليد العليا والسفلى فى حديث ابن عمر هذا، وهو نص يرفع الخلاف ويدفع تعسف من تعسف فى تأويله ذلك .

وقال الحافظ بن حجر : لكن ادعى أبو العباس الدانى فى " أطراف الموطأ " أن التفسير المذكور مدرج فى الحديث ولم يذكر مستنداً لذلك ، ثم وجدتُ فى (كتاب العسكرى فى الصحابة) بإسنادٍ له فيه انقطاع عن ابن عمر أنه كتب إلى بشر بن مروان " إنى سمعت النبى (ﷺ) يقول اليد العليا خير من اليد السفلى ، ولا أحسب اليد السفلى إلا السائلة ، ولا العليا إلا المعطية " فهذا يشعر بأن التفسير من كلام ابن عمر ، ويؤيده ما رواه ابن أبى شيبة من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال " كنا نتحدث أن العليا هى المنفقة "

---

(١)أخرجه البخارى كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى " لا يسألون الناس إلحافا ٣/٣٤١.

وقوله فاليد العليا هى المنفقة ، **قال أبو داود : قال الأكثر عن حماد بن زيد :** المنفقة ، **وقال واحد عنه :** المتعففة وهو قول مسدد بن مسرهد ، وقد دلل الحافظ ابن حجر على أن من قال بأن اليد العليا هى المتعففة قد صحَّف وأثبت أن صحة القــول فى ذلك هى قوله " اليد العليا هى المنفقة " مدللا على ذلك بما رواة الأئمة فى كتبهم فقد روى النسائى من حديث طارق المحاربى " قدمنا المدينة فإذا النبى (ﷺ) قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول (يد المعطى العليا) ولقد ذكر ابن أبى شــيبة والبــزار مثل حديث النسائى والطبرانى بإسناد صحيح عن حكيم بن حزام مرفوعاً " يد الله فوق يد المُعْطِي ، ويد المعُطِي فوق يد المُعْطَىَ ويد المعطىَ أسفَل الأيــدى " وقــد رواه الطبرانى أيضاً من حديث عدى الجذامى مرفوعاً مثله ، وقد روى أبــو داود بــن خــزيمة مــن حديث أبى الأحوص عوف بن مالك عن أبيه مــرفوعاً " الأيــدى ثلاثــة : فيد الله العليا ، ويد المعطى التى تليها ، ويد السائل الســفلى " ولأحمــد بن حنبل والبزار من حديث عطية السعدى " اليد المعطية هى العلــيا ، والســائلة هــى السفلى " فهذه الأحاديث متضافرة على أن اليد العليا هى المــنفقة المعطية وأن السفلى هى السائلة ، وهذا هو المعتمد وهو قول الجمهور . وهــناك **رأى أخــر يقــول :** اليد السفلى الآخذة سواء كان بسؤال أم بغير ، وهذا رفضه جماعة من العلماء واستندوا إلى أن الصدقة تقع فى يد الله قبل يد المتصدق عليه .

وقــال ابن العربى : التحقيق أن السفلى يد السائل ، وأما يد الآخذ فلا ، لأن يد الله هــى المعطية ويد الله هى الآخذة وكلتاهما عليا وكلتاهما يمين . **ورأى ابن العربى** هــذا لــيس فــى محلــه لأن البحث إنما هو فى أيدى الآدميين، وأما يد الله تعالى

فباعتـــبار كـــونه مالـــك كل شئ نسبت يده إلى الإعطاء ، وباعتبار قبوله للصدقة ورضاه بها نسبت يده إلى الأخذ ويده العليا على كل حال .

وأما المقصود بالأيدى فهى أيدى الآدميين وهى أربعة :

الأولى : يد المعطى وقد تضافرت الأخبار بأنها عليا .

الثانـــية : يـــد الســـائل وقـــد تضافرت بأنها سفلى سواء أخذت أولا وهذا م[illegible] لكيفية الإعطاء والأخذ غالباً وللمقابلة بين العلو والسفل المشتق منهما .

الثالـــثة : يـــد المـــتعفف عن الأخذ ولو بعد أن تمد إليه يد المعطى مثلاً . وهذ[illegible] توصف بكونها عليا علواً معنوياً .

الـــرابعة : يـــد الآخـــذ بغيـــر ســـؤال وهذه قد اختلف فيها فذهب جمع إلى أنها ســـفلى ، وهـــذا بالنظـــر إلى الأمر المحسوس ، وأما المعنوى فلا يطرد فقد تكون عليا فى بعض الصور ، وعليه يحمل كلام من أطلق كونها عليا .

قـــال ابـــن حبان: اليد المتصدقة أفضل من السائلة لا الآخذة بغير سؤال، إذ محـــال أن تكون اليد التى أبيح لها استعمال فعل باستعماله ، دون من فرض عليه إتـــيان شئ فأتى به أو تقرب إلى [illegible] ، فربما كان الآخذ لما أبيح له أفضل وأروع من الذى أعطى .

وقد روى عن الحسن البصرى قوله : " اليد العليا المعطية والسفلى المانعة " ولم يُوافق عليه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وقرأت فى " مطلع الفوائد " للعلامة جمال الـــدين بن نباته فى تأويل الحديث المذكور معنى آخر **فقال :** اليد هنا هى النعمة ، وكـــأن المعنـــى أن العطـــية الجزيلة خير من العطية القليلة **قال :** وهذا حث على

المكـــارم بأوجـــز لفظ ، ويشهد له أحد التأويلين فى قوله " ما أبقت غنى " أى ما حصـــل بـــه السائل غنى عن سؤاله كمن أراد أن يتصدق بألف فلو أعطاها لمائة إنسان لم يظهر عليهم الغنى ، بخلاف ما لو أعطاها لرجل واحد **قال** : وهو الأولى من حمل اليد على الجارحة ، لأن ذلك لا يستمر إذ فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممـــن يعطـــى . فالتفاضل هنا يرجع إلى الإعطاء والأخذ ولا يلزم منه أن يكون المعطـــى أفضل من الآخذ على الإطلاق ، وقد روى : " أن حكيم بن حزام قال يا رسول الله (ﷺ) ما اليد العليا ؟ **قال** : التى تعطى ولا تأخذ " فقوله " تأخذ " صريح فـــى أن الآخذة ليست بعليا والله أعلم ، وكل هذه التأويلات المتعسفة تضمحل عند الأحاديث المتقدمة المصرحة بالمراد ، فأولى ما فسر الحديث بالحديث .

وخلاصة ما فى الآثار المتقدمة :

أن أعلى الأيدى المنفقة ، ثم المتعففة عن الأخذ ، ثم الآخذة بغير سؤال ، وأسفل الأيدى السائلة والمانعة .

وقـــوله (ﷺ) " وبدأ بمن تعول " أى وبدأ بصدقتك على من تعول فهى فى حقهم فـــرض عليك وفى غيرهم سنة عليك ، وعيال الرجل من يعولهم **أى** : من يقوتهم وينفق عليهم ، وأصل عيال عوال لأنه من عال عياله وعولاً إذا قاتهم قُبلت الواو يـــاء لتحركها وانكسار ما قبلها ، **وقال الجوهرى**: وواحد العيال عيِّل بتشديد الياء والجمع عيائل **مثل** : جيد وجياد وجيائد . فهو أمر بتقديم ما يجب على ما لا يجب **قـــال الطبرى ما ملخصه** : الإنفاق على الأهل واجب ، والذى يعطيه يؤجر على ذلـــك بحســـب قصده ، ولا منافاة بين كونها واجبة وبين تسميتها صدقة ، بل هى أفضل من صدقة التطوع .

وقـــال المهلـــب : النفقة على الأهل واجبة بالإجماع ، وإنما سماها الشارع صـــدقة خشـــية أن يظـــنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه وقد عرفوا ما فى الصدقة من الأجر فعرفهم أنها لهم صدقة حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم ، ترغيباً لهم فى تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع .

وقـــال ابن المنير : تسمية النفقة صدقة من جنس تسمية الصداق نحلة ، فلما كـــان احتـــياج المـــرأة إلى الرجل كاحتياجه إليها – فى اللذة والتأنيس والتحصين وطلـــب الـــولد – كان الأصل أن لا يجب لها عليه شئ ، إلا أن الله خص الرجل بالفضل على المرأة بالقيام عليها ، ورفعه عليها بذلك درجة ، فمن ثم جاز إطلاق النحلة على الصداق ، والصدقة على النفقة .

قـــال أبـــو قلابة : بدا بالعيال ، وأى رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عياله يعفهم وينفعهم الله به ؟

وقـــال الطبـــرى أيضاً : البداءة فى الإنفاق بالعيال يتناول النفس ، لأن نفس المرء من جملة عياله بل هى أعظم حقاً عليه من بقية عياله ، إذ ليس لأحد إحياءه غيره بإتلاف نفسه ، ثم الإنفاق على عياله كذلك ، **وقوله** " خير الصدقة عن ظهر غنى " وفى رواية لأبى هريرة " خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً " والمعنى لا صـــدقة كاملة إلا عن ظهر غنى ، وكأنه شرط على المتصدق أن لا يكون محتاجاً لنفسه أو لمن تلزمه نفقته ، ويلحق بالتصدق سائر التبرعات وأن لا يكون صاحب ديـــن مســـتغرق فى دينه. **قال ابن بطال:** أجمعوا على أن المديان لا يجوز له أن يتصدق بماله ويترك قضاء الدين .

قال الطبرى وغيره : قال الجمهور : من تصدق بماله كله فى صحة بدنه وعقله حـــيث لا دين عليه وكان صبوراً على الإضاقة ولا عيال له أو له عيال يصبرون أيضاً فهو جائز ، فإن فقد شئ من هذه الشروط كره – أى كره فى حقه التصدق – **وقـــال بعــض العلماء** : هو مردود ، أى مردود تصدقه وغير متقبل منه ويكون المعنى لقوله " خير الصدقة ..إلخ " أفضل الصدقة ما وقع من غير محتاج إلى ما يتصدق به لنفسه أو لمن تلزمه نفقه **وقيل** : المراد خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن المسألة .

قال النووى : مذهبنا أن التصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه ولا له عيال لا يصبرون ، ويكون هو ممن يصبر على الإضاقة والفقر فإن لم يجمع هذه الشروط فهو مكروه

وقال الخطابى: لفظ "الظَهر" يرد فى مثل هذا إشباعاً للكلام **والمعنى**: أفضل الصدقة ما أخرجه الإنسان من ماله بعد أن يستبقى منه قدر الكفاية .

قال القرطبى فى المفهم : يرد على تأويل الخطابى بالآيات والأحاديث الواردة فى فضل المؤثرين على أنفسهم ، ومنها حديث أبى ذر " أفضل الصدقة جهد من مُقِلّ " **والمخـــتار** : أن معنـــى الحديث أفضل الصدقة ما وقع بعد القيام بحقوق النفس والعيال بحيث لا يصير المتصدق محتاجاً بعد صدقته إلى أحد فمعنى الغنى فى هذا الحديث حصول ما تدفع به الحاجة الضرورية كالأكل عند الجوع المشوش الذى لا صـــبر عليه ، وستر العورة والحاجة إلى ما تدفع به نفسه الأذى ، وما هذا سبيله فلا يجوز الإيثار به بل يحرم ، وذلك أنه إذا آثر غيره به أدى إلى إهلاك نفسه أو الإضـ ـار بها أو كشف عورته فمراعاة حقه أولى على كل حال ، فإذا سقطت هذه

الواجبات صح الإيثار وكانت صدقته هى الأفضل لأجل ما يتحمل من مضض الفقر وشدة مشقته ، فبهذا يندفع التعارض بين الأدلة .

قوله : " ومن يستعفف يُعفه الله ومن يستغن يُغنه الله " أى من يطلب العفة وهى الكف عن الحرام وسؤال الناس يعفه الله أى يصيره الله عفيفاً فلا يحتاج ، ومن يستغن يغنه الله ، أى : يطلب من الله العفاف والغنى يعطه الله ذلك ، وهذا الأمر يحتاج إلى الصدق فى طلب العفة من الله وصدق اليقين فى أن الله سيعطيه ما يريد ، حيث إن الشرط المذكور مطالب به العبد وليس الرب فالله يجيب إذا استوفت شروط الإجابة إذا فعلى العبد أن يقوم بالشرط خير قيام .

فضيلة الدكتور / وما المستفاد من الحديث ؟

نقول :مما يستفاد من الحديث الآتى :

١- إباحة الكلام للخطيب والإمام بكل ما يُصلح من موعظة وعلم وقُربة .

٢- الحث على الإنفاق فى وجوه الطاعة .

٣- تفضيل الغنى مع القيام بحقوقه على الفقر لأن العطاء إنما يكون مع الغنى .

٤- كراهة السؤال والتنفير عنه ، ومحله إذا لم تدع إليه ضرورة من خوف هلاك ونحوه .

٥- تفصيل الآراء فى اليد العليا واليد السفلى .

٦- بيان أن الإنفاق على الزوجة والعيال من أفضل الصدقات .

٧- وأن أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى .

٨- الحث على طلب الدعاء من الله بصدق فإن من طلب بصدق أُعطى ما لم يكن الدعاء إثماً أو قطيعه رحم .

٩- من يطلب بصدق من الله الغنى يغنيه ومن طلب العفة يُعفه ، ومن رضى بذل السؤال بقى على هذا الحال .

التاسع والعشرون

سلسة الشياطين

روى البخارى بسنده عن أَبَى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضيلة الدكتور / نرجو من فضيلتكم ذكر نبذة مختصرة عن شهر رمضان وما فيه من الخيرات ؟

نقول وبالله التوفيق / شهر رمضان من الشهور الجليلة عند أمة الإسلام فهو شهر البشر والبركات،واليمن والنفحات على العالم أجمع، كان النبى يعرف قدره قبل نزول الوحى عليه، ولذا كان يتحنث فيه دون غيره من الشهور تبركا به، فلما أذن الله لنوره بالظهور اختار شهر رمضان دون غيره لتجلى أول بشاير النور فيه ، ولعلك تشاركنى هذا الوجدان الذى يمتلكنى الآن وتسمع معى هذا الحوار الذى غير العالم والمعالم (إقرأ قال: ما أنا بقارىء ؟ إقرأ قال :ما أنا بقارىء ؟ إقرأ قال : ما أنا بقارىء ؟ قال: إقرأ بسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم) حوار دار بين أكرم مخلوق على الله وهوسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والملك المقرب من الحق والمستأمن على الوحى دون غيره من الملائكة الذى مدحه الحق فقال فيه (إنه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاعا ثم أمين) سورة التكوير ألا وهو الأمين جبريل عليه السلام ثم خص هذا الشهر بفريضة هى من أعظم الفرائض بعد الصلاة ألا وهى فريضة الصيام ،

ثم سن فيه الحبيب القيام فهو شهر لما فيه من الخير يعقبه العيد ، فالخيرات فيه مزدحمة والأنوار فيه ملتحمة.

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم بيان لمعانى هذا الحديث ومافيه من البشريات؟

نقول وبالله التوفيق / قوله (إذا دخل شهر رمضان) أى جاء زمانه وحان حينه من العام .(فتحت أبواب السماء)وفى رواية (أبواب الجنة).

قال ابن بطال : المراد من السماء الجنة بقرينة ذكر جهنم فى مقابله وقد جاء فى رواية(أبواب الرحمة) ولاتعارض فى ذلك فأبواب السماء يصعد منها إلى الجنة لأنها فوق السماء وسقفها عرش الرحمن كما ثبت فى الصحيح وأبواب الرحمة تطلق على أبواب الجنة لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح (احتجت الجنة والنار) وفيه (وقال الله للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى. أقول : ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وهى أسباب دخول الجنة، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات.

قال الطيبي: فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين ، وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية،،

وقال شارح المصابيح: فتح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد تارة ببذل التوفيق وأخرى بحسن القبول، وغلق أبواب

جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث على المعاصي بقمع الشهوات.وأماقوله (وغلقت أبواب جهنم) لأن الصوم جنة فتغلق أبوابها بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال السيئة المستوجبة للنار،ولقلة مايؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة ليستنقذ منها ببركة الشهر، ويهب المسيء للمحسن ويتجاوزعن السيئات ، وهذا معنى الإغلاق.

وأماقوله: (وسلسلت الشياطين) فيحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقوا السمع منهم، وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه، لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ، **ويحتمل:** أن يكون المراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر

.**وقيل:**أن المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة ،وترجم لذلك ابن خزيمة في صحيحه والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ " إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة "، وقوله "صفدت " أي شدت بالأصفاد وهي الأغلال وهو بمعنى سلسلت.

قال القاضى عياض: يحتمل أنه– أى الحديث– على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى

المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

وقال القرطبي: بعد أن رجح حمله على ظاهره: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرا فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟

فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه، أوإن المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم ، أوإن المقصود تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية ، فتصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له قد كفت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية.

ومما مر تتضح البشرى العظيمة التى بشر بها النبى أمته فى هذا الشهر الفضيل

هذا وبالله التوفيق

الثـــلاثـــون

باب الريان هدية الصائمين

روى الـــبخارى بســـنده عن سهل بن سعد الساعدى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن فى الجنة بابا يقال له الريان ٠ يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فضيلة الدكتور / لماذا سمى باب الريان بهذا الاسم ؟

نقـــول وبــــالله التوفـــيق :سمى باب الريان بهذا الاسم لأنه باب من أبواب الجنة خصصــــه الله للصائمين ووزن ريان فعلان وقد وقعت المناسبة بين لفظه ومعناه لأنــــه مشـــتق مـــن الـــرى الكثير الذى هو ضد العطش وسمى بذلك لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم واكتفى بذكر الرى عن الشبع لأنه يدل عليه من إنـــه يستلزمه، ولكونه أشق على الصائم من الجوع ، وأفرد لهم هذا الباب إكراما لهـــم واختصاصــــا وليكون دخولهم الجنة غير متزاحمين فإن التزاحم يؤدى إلى العطش ٠

فضيلة الدكتور نود إلقاء الضوء على معنى الحديث مع بيان هل للجنة أبوب أخرى أم لا ؟

نقـــول وبـــــالله التوفيق :قوله (إن فى الجنة بابا) قيل إنما قال فى الجنة ولم يقل للجنة ليشعر بأن فى الباب المذكور من النعيم والراحة مافى الجنة فيكون أبلغ فى التشـــويق إليه، وليشعر أن باب الريان غير الأبواب الثمانية التى للجنة حيث إن فى الجنة أيضا أبوب أخر غير الثمانية : فمنها باب الصلاة ،و باب الجهاد وباب

الصدقة وباب محمد عليه الصلاة والسلام وهو باب الرحمة والتوبة وهو منذ خلقه الله مفــتوح لايغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة وباب الزكاة ، وباب الحج ، وباب العمرة ، وباب الكاظمين الغيظ باب الراضين الــباب الأيمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه وباب الضحى فعن أبى هريرة عــن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إن فى الجنة بابا يقال له الضحى فإذا كان يــوم القــيامة ينادى مناد:أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوا) وللجنة باب يقال له : الفرح لايدخل منه إلا مفرح الصبيان وباب الذكر وبــاب الصابرين وعن الحسن قال (إن لله بابا فى الجنة لا يدخله إلا من عفا عن مظلمة) وباب الخلق الحسن ، فهذه الأبواب كلها داخلة فى داخل الأبواب الثمانية الكــبار التــى ما بين مصراعى باب منها مسيرة خمسمائة عام وقوله (يدخل منه الصــائمون يــوم القــيامة لايــدخل مــنه أحد غيرهم) أى أن هذا الباب خاص بالصائمين دون غيرهم ، وأن دخوله ليس فى الدنيا بل يوم القيامة ، وأن الدخول فــيه يظــل مســتمرا إلى أن يدخل آخرهم وهو مايبين عظم أجر الصيام ومكانة صــاحبه عــند الحــق عز وجل (يقال أين الصائمون ؟ فيقومون) أى يسأل عن مكــانهم فى هذا الوقت العصيب واليوم الرهيب والناس قد أرهقهم الحر وأصابهم الرعب والجميع ينادى سلم سلم (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) فــى وســط هــذا الكرب ودنوا الشمس من الرؤوس ينادى على الصائمين ليرى الجمــيع مكانهم ونزلهم ويشتهون مرافقتهم فى هذا النعيم والذى على رأسه الرى مــن العطــش والأمــان مــن الرعب والخوف فيقومون على مرأى ومسمع من الخلائق فيدخلون باب الريان لايدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق أى أغلقته

الملائكـــة فلـــم يـــدخل منه أحد فهو باب مخصوص لعباد شغلوا أنفسهم برضاء خـــالقهم وبـــاريهم حفظوا ألسنتهم من اللغو وآذانهم من التحسس والتجسس على أعـــراض الناس وأعينهم من النظرفيما لايرضيه وفروجهم وأفواههم عن الحرام بل وعن الحلال فى صيامهم فكانت المكافئة لهم على رؤوس الأشهاد وتتويجهم بهذا التاج ٠

فضيلة الدكتور / لقد وضحت البشرى ولكن نريد منك المزيد مع بيان مايحثنا عليه الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق / لكل عمل مكافئته ودائما الجزاء من جنس العمل ولما كان هؤلاء السادة قد شغلوا أوقاتهم بالصيام ، والصيام يضيق على الشيطان والنفس الخبيثة مطالبها حيث إنه كاللجام فى فم الصائم يحبسه عن الرفث والصخب والجهل وعدم المخالطة لمن يمارس هذه الأشياء وعدم لاشتراك فيها منفذا ذلك حريصا عليه ليحصل الأجر كاملا غير منقوص كانت المكافئة ففى الحديث (فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايجهل ولا يصخب وإن أمرؤ سابه أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم) كوفىء بأن خلوف فمه عند الله يوم القيامة أطيب من ريح المسك، وكوفىء بالدخول من باب الريان وهذا فضل مابعده فضل وكرم مافوقه كرم **وأما مايحثنا عليه هذا الحديث فيتمثل فى :**

اغتنام الفرص فى طاعة الله وعدم ضياعها فإن اليوم عمل بلا حساب وغد حساب بـــلا عمل ، وأن للصائم عند الله يوم القيامة بابا يدخل منه يرويه دون غيره جزاء ومكافـــئة له على حسن طاعته لربه فاحرص أن تكون من أصحاب هذا الباب ٠

الالتـــزام بقوانـــين الصيام حتى يحصل الأجر والثواب وإلا تكون قد أتعبت بدنك

ونفســك بــدون أجر بل و يكون عليك وزر عدم الأدب وللتزام و أنت متلبس فى طاعــة فتغــرى جاهلا مثلك أن يفعل مثل فعلك فتكون ممن اتخذ آيات الله هزوا وأخيــرا (مــن لــم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ٠) هذا وبالله التوفيق

الحادى والثلاثون" الصيام فى السفر "

روى البخارى ومسلم بسنديهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : " كان رسول الله ﷺ فى سفر فرأى زحاماً ورجُلاً قد ظُلل عليه فقال : ما هذا؟ فقالوا صائم ، فقال : ليسَ منَ البرِّ الصومُ فى السفر"[١][٢].

فضيلة الدكتور/ نود التعريف براوى الحديث ؟

نقـــول : هـــو الصـــحابى الجلـــيل جابر بن عبد الله بن عمرو بن خزام بن ثعلبة الخزرجى السلمى ، أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو محمد.

روى عـــن النبـــى ﷺ وعن أبى بكر وعمر ، وعلى ، وأبى عبيدة ، وطلحة ، ومعـــاذ بـــن جـــبل ، وعمـــار بـــن ياســـر وغيـــرهم وعـــنه أولاده : عبد الرحمن وعقيل ومحمد ، **كما روى عنه** : سعيد بن المسيب ومحمود بن لبيد ، وأبو الزبير وغيرهم . **يقول جابر بن عبد الله** : غزوت مع رسول الله تسع عشرة غزوة . توفى رضى الله عنه بالمدينة سنة ٧٧ وقيل ٧٨[٣].

فضيلة الدكتور / ماهو المعنى العام لهذا الحديث؟

نقول : شهر رمضان من الشهور الكريمة الفاضلة ، ولقد خصه الله بنزول القرآن فيه، وأنزل فيه فريضة الصيام طوال الشهر، وفيه ليلة خير من ألف شهر
ولحرص المسلمين على صيام هذا الشهر الفضيل حتى لو كانوا مسافرين أو مرضى أرخص الله لمن كان على سفر فى أن يُفطر وأن من كان مريضاً له حق الفطر وأن يقضى عندما تعود إليه صحته ، أو عندما يعود من سفره ، وذلك لأن المسافر

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الصيام باب قول النبىﷺ " ليس من البر.. إلخ)١٨٣/٤ عن جابر بن عبد الله .

(٢) وأخرجه مسلم : كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر فى شهر رمضان٢٢٣/٧ عن جابر بن عبد الله .

(٣) تهذيب الكمال : ٤٤٣/٤ . تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨ .

الصائم قد يغلبه الجهد فلا يَستطيع أن يخدم نفسه وقد يقوم بخدمته الآخرين فيكون لهم الأجر ، كما أن الرسول ﷺ قد قال لمن ظُلل عليه من شدة الحر وهو صائم " ليس من البر الصيام فى السفر" وهو حديثنا هذا .

فضيلة الدكتور/ هل الصوم لمن قوى عليه أفضل من الفطر؟ والفطر لمن شق عليه الصوم أو أعرض عن قبول الرخصة أفضل ؟ أم أن من لم يتحقق المشقة مخير بين الصوم والفطر؟

نقول وبالله التوفيق: قد اختلف السلف فى هذه المسألة متمثلا فى الآتى:

١- **قالت طائفة** : لا يجزئ الصوم فى السفر عن الفرض بل من صام فى السفر وجب عليه قضاؤه فى الحضر لظاهر **قوله تعالى: (فعدة من أيام أخر)** ولقوله ﷺ " ليس من البر الصيام فى السفر " ومقابلة البر الإثم ، وإذا كان آثماً بصومه لم يجزئه وهذا قول بعض أهل الظاهر وحُكى عن عمر وابن عمر وأبى هريرة والزهرى وإبراهيم النخعى وغيرهم ، واحتجوا **بقوله تعالى : (فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)** قالوا ظاهره فعليه عدة أو فالواجب عدة .

٢- وتأوله الجمهور بأن التقدير فأفطر فعدة ومقابلة هذا القول قول من قال.

٣- إن الصوم فى السفر لا يجوز إلا لمن خاف على نفسه الهلاك أو المشقة الشديدة حكاه الطبرى عن قوم .

٤- ذهب أكثر العلماء ومنهم مالك والشافعى وأبو حنيفة إلى أن الصوم أفضل لمن قوى عليه ولم يشق عليه .

٥- وقـــال كثيـــر مـــنهم الفطـــر أفطـــر عمـــلاً بالرخصة وهو قول الأوزاعى وأحمد وإسحاق .

٦- **وقال وآخرون** : مخير بالصيام والفطر مطلقاً .

٧- **وقـــال آخـــرون** : أفضـــلهما أيســـرهما **لقوله تعالى** : **(يريد الله بكم اليسر ولا يـــريد بكـــم العســـر)** فإن كان الفطر أيسر عليه فهو أفضل فى حقه وإن كـــان الصـــيام أيســـر كمـــن يســـهل عليه حينئذ ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك فالصـــوم فـــى حقـــه أفضل وهو قول عمر بن العزيز واختاره ابن المنذر ، والـــذى يـــرجح قـــول الجمهـــور ،لكن قد يكون الفطر أفضل لمن اشتد عليه الصـــوم وتضـــرر بـــه ، وكذلك من ظن به الإعراض عن قبول الرخصة . فقـــد روى أحمـــد مـــن طـــريق أبى طعمة قال : قال رجل لابن عمر : إنى أقـــوى علـــى الصـــوم فى السفر ، **فقال له ابن عمر** : " من لم يقبل رخصة الله كـــان علـــيه مـــن الإثـــم مثل جبل عرفة " وهذا محمول على من رغب عـــن الرخصـــة لقـــوله (ﷺ) " مـــن رغب عن سنتى فليس منى " وكذلك من خـــاف علـــى نفســـه العجـــب أو الـــرياء إذا صام فى السفر فقد يكون الفطر أفضـــل لـــه ، وقـــد أشـــار إلى ذلك ابن عمر . **فقد روى الطبرى من طريق مجاهـــد قـــال** : إذا ســـافرت فلا تصم ، فإنك إن تصم قال أصحابك : اكفوا الصـــائم ، ارفعـــوا للصـــائم ، وقامـــوا بأمرك ، وقالوا فلان صائم فلا تزال كذلك حتى يذهب أجرك .

واحتج من منع الصوم أيضاً بما روى عن النبى (ﷺ) حيث قال للمفطرين عـــندما خدموا الصائمين " ذهب المفطرون اليوم بالأحر " ، وأن الصحابة كانوا

يأخـــذون بالأخـــر فالأخر من فعله ، وزعموا أن صومه (ﷺ) فى السفر منسوخ ولكـــن يـــرد عليه بأن الزهرى استند إلى ظاهر الخبر من أنه (ﷺ) أفطر بعد أن صام ونسب من صام إلى العصيان **وأقول** : لا حجة فى شئ من ذلك لأن مسلماً أخـــرج مـــن حـــديث أبى سعيد أنه (ﷺ) صام بعد هذه القصة فى السفر **ولفظه** "سافرنا مع رسول (ﷺ) إلى مكة ونحن صيام فنزلنا منزلاً فقال النبى (ﷺ) : إنكم قـــد دنـــوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا ، فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ، فنزلنا منزلاً فقال رسول الله (ﷺ) : إنكم مصبحو عدوكم فالفطر أقوى لكم فأفطروا ، فكانت عزيمة فأفطرنا ، ثم لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله (ﷺ) بعد ذلك فى السفر"١ " وهذا الحديث نص فى المسألة ومنه يؤخذ الجواب عن نسبته (ﷺ) الصائمين إلى العصيان لأنه عزم عليهم فخالفوا ، وهو شاهد لما قلناه من أن الفطر أفضل لمن شق عليه الصوم ، ويتأكد ذلك إذا كان يحتاج إلى الفطر للتقوى به على لقاء العدو .

ولقد روى الطبرى فى تهذيبه من طريق خيثمة سألت أنس بن مالك عن الصوم فى السفر **فقال** : لقد أمرت غلامى أن يصوم ، قال فقلت له فأين هذه الآية " فعدة مـــن أيام أخرى " **فقال** : إنها نزلت ونحن نرتحل جياعاً وننزل على غير شبع ، وأمـــا الـــيوم فنرتحل شباعاً وننزل على شبع ، فأشار أنس إلى الصفة التى يكون فيها الفطر أفضل من الصوم .

أما من أحتج بالحديث المشهور " الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر"٢ "

١- أخرجه مسلم كتابالصيام باب أجر المفطرفى السفر إذا تولى العمل ٢ /٧٨٩

٢- أخرجه ابن ماجة كتاب الصيام باب ماجاء فى الإفطار فى السفر ١/ ٥٣٢ قال أبو إسحاق : هذا الحديث ليس بشىء .

فقــد أخــرجه ابن ماجة مرفوعاً من حديث ابن عمر بسند ضعيف ، كما أخرجه الطبرى عن عائشة مرفوعاً أيضاً وفيه ابن الهيعة وهو ضعيف، ورواه الأثرم من طريق أبى سلمة عن أبيه مرفوعاً والمحفوظ عن أبى سلمة عن أبيه موقوفاً كذلك أخرجه النسائى وابن المنذر ، وعلى تقدير صحته فهو محمول على ما تقدم أولاً حيث يكون الفطر أولى من الصوم

فضــيلة الدكتور / بعد الذى مر من أقوال كيف نجيب عن قوله صلى الله عليه وسلم (ليس من البر الصيام فى السفر)؟

نقول :أما الجواب عن قوله (ﷺ) " ليس من البر الصيام فى السفر " فقد سلك المجيزون فيه طرقاً **فقال بعضهم :**

١- قــد خــرج علــى ســبب فيقصر عليه وعلى من كان فى مثل حاله ، وإلى هــذا جــنح الــبخارى فى ترجمته، ولذا قال الطبرى بعد أن ساق نحو حديث الــباب مــن رواية كعب بن عاصم الأشعرى ولفظه: سافرنا مع (ﷺ) ونحن فــى حــر شديد فإذا رجل من القوم قد دخل تحت ظل شجرة وهو مضطجع كضــجعة الوجــع فقال رسول (ﷺ) : ما لصاحبكم أى وجع به ؟ فقالوا ليس بــه وجــع ، ولكــنه صائم وقد اشتد عليه الحر ؟ فقال النبى (ﷺ) حينئذ ليس البــر أن تصــوموا فــى الســفر عليكم برخصة الله التى رخص لكم " فكان قوله (ﷺ) ذلك لمن كان فى مثل ذلك الحال .

وقــال ابــن دقيق العيد : أخذ من هذه القصة أن كراهة الصوم فى السفر مختصــة بمن هو فى مثل هذه الحالة ممن يجهده الصوم ويشق عليه أو يؤدى به إلــى ترك ما هو أولى من الصوم من وجوه القُرَب ، فينزل قوله " ليس من البر

الصــــوم فى السفر " على مثل هذه الحالة . **وقال** : " أى ابن دقيق " : والمانعون فى السفر يقولون إن اللفظ عام ، والعبرة بعمومه لا بخصوص السبب ، **قال ابن دقيق** : وينبغى أن يتنبه للفرق بين دلالة السبب والسياق والقرائن على تخصيص العـــام وعلى مراد المتكلم ، وبين مجرد ورود العام على سبب ، فإن بين العامين فرقاً واضحاً ومن أجراهما مجرى واحداً لم يصب ، فإن مجرد ورود العام على ســـبب لا يقتضى التخصيص به كنزول آية السرقة فى قصة رداء صفوان ، وأما الســـياق والقـــرائن الدالة على مراد المتكلم فهى المرشدة لبيان المجملات وتعيين المحتملات .

وقـــال ابن المنير فى الحاشية : هذه القصة تشعر بأن من اتفق له مثل ما أتفـــق لـــذلك الرجل أنه يساويه فى الحكم، وأما من سلم من ذلك ونحوه فهو فى جواز الصوم على أصله والله أعلم وحمل الشافعى نفى البر المذكور فى الحديث على من أبى قبول الرخصة **فقال** : معنى قوله " ليس من البر " أن يبلغ رجل هذا بنفســـه فـــى فريضـــة صوم ولا نافلة ، وقد أرخص الله تعالى له أن يفطر وهو صحيح ، قال ويحتمل أن يكون معناه ليس من البر المفروض الذى من خالفه أثم، وجزم ابن خزيمة وغيره بالمعنى الأول .

وقال الطحاوى : المراد بالبر هنا البر الكامل الذى هو أعلى مراتب البر ، وليس المراد به إخراج الصوم فى السفر عن أن يكون براً لأن الإفطار قد يكون أبر من الصوم إذا كان للتقوى على لقاء العدو مثلاً ، **قال**: وهو نظير قوله (ﷺ) " لـــيس المسكين بالطواف " الحديث فإنه لم يرد إخراجه من أسباب المسكنة كلها،

وإنما أراد أن المسكين الكامل المسكنة الذى لا يجد غنى يغنيه ويستحى أن يسأل ولا يفطن له .**وقوله** " كان رسول الله (ﷺ) فى سفر " لها أحد الاحتمالين :

الأول : حـيث ذكـر عن جابر أنها غزوة الفتح وذلك فى رواية جعفر ابن محمد عن أبيه .

الثانى : أن السفر مع النبى (ﷺ) كان فى رمضان وهو ما رواه ابن خزيمة من طريق حماد بن سلمة عن أبى الزبير عن جابر .

قوله " ورجلا قد ظلل عليه " لم يوقف على اسم هذا الرجل ولا يعنينا اسمه المهم ما نتج من حاله مما دعى رسول الله (ﷺ) أن يقول مقالته .

فضيلة الدكتور / وماهو المستفاد من هذا الحديث ؟

نقول : مما يستفاد من الحديث الآتى :

١- اسـتحباب التمسـك بالرخصة عند الحاجة إليها ، وكراهة تركها على وجه التشديد والتنطع .

٢- الـرحمة المعهـودة مـن رسـول الله (ﷺ) ورأفـته بالناس وحرصه على سلامتهم .

٣- أن التكلـيف بالعـبادات هـو تكلـيف بما يطاق ويُتمكن من تأديته من غير ضـرر يلحـق الإنسـان ولذا كان استثناء الله قبل أن يستثنى الإنسان **فقال** : "فمـن كـان مرضـاً أو على سفرة فعدة من أيام أخرى" أعادها مرتين تأكيداً لمـبدأ " أن الله يـريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " فلا ضرر ولا ضرار ولا إكراه فى الدين .

الثانى والثلاثون " من فضائل رمضان وذو الحجة "

روى بســنده عن أبى بكرة (ﷺ) عن النبى (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : "شهران لا ينقصان شهرا عيدٍ : رمضانُ وذو الحجة "١"، رواه البخارى .

فضيلة الدكتور/ نود منكم التعريف براوى الحديث ، مع بيان الإشكال الوارد فيه وصنيع الإمام البخارى فى إخراجه ؟

نقــول وبالله التوفيق : هو الصحابى الجليل نُفيع بن الحارث بن كَلَدَة بن عمر بن عِلاج بن أبى سلمة ، أبو بكر الثقفىّ ، وإنما قيل له أبو بكرة لأنه تدلى من حصنة الطائف إلى النبى (ﷺ) فأعتقه يومئذ .

روى عن النبى(ﷺ)، وعنه أولاده عبيد الله وعبد الرحمن وعبد العزيز ومسلم وكبشه وغيرهم، **قال العجلى** كان من خيار الصحابة. مات بالبصرة فى ولاية زياد سنة ثنتين وخمسين[1] .

وهذا الحديث الذى نحن بصدده من الأحاديث المشكلة حيث إن ظاهره يتعارض مع أحاديث نبوية أخرى ولولا أن **البخارى** قد رواه و**البخارى** عظيم المكانة والقدر فهو أمير المؤمنين فى الحديث لكان لتحليل الحديث والتعليق عليه شكل آخر فقد رواه البخارى من طريقين وكان له فلسفته فى ذكره للطريقين ففى **الطريق الأول** : **يقول** حدثنا مسدد حدثنا مُعتمرٌ قال سمعت إسحاق عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه عن النبى (ﷺ) **وفى الطريق الثانى قال:** وحدثنى مسدد حدثنا مُعتمرٌ عن خالــد الحذاء قال أخبرنى عبد الرحمن ابن أبى بكرة عن أبيه رضى الله عنه عن

---

(١) فتح البارى كتاب ابصيام باب شهرا عيد لا ينقصان ٤/ ١٢٤ ،

(٢) تهذيب الكمال : ٣٠/٥ . (*) تهذيب التهذيب : ١٠/٤١٨ .

النبـــى (ﷺ) وذكـــر نـــص الحديث للرواية الثانية **وكأن النكتة** فى كونه لم يجمع الأساندين معاً مع أنهما لم يتغايرا إلا فى شيخ معتمر أن مسدداً حدثه به مرة ومعه غيـــره عن معتمر عن إسحاق ، وحدثه به مرة أخرى إما وهو وحده وإما بقراءته علـــيه عن معتمر عن خالد، كما أن لمسدد فيه شيخ آخر أخرجه أبو داود عنه عن يزيد بن زريع عن خالد وهو محفوظ عن خالد الحذاء من طرقه : أما لفظ إسحاق العـــدوى فأخرجه أبو نعيم فى مستخرجه من طريق أبى خليفة وأبى مسلم الكجى جميعاً عن مسدد بهذا الإسناد بلفظ "لا ينقص رمضان ولاينقص ذى الحجة" وأشار الإســـماعيلى أيضـــاً إلـــى أن هذا اللفظ لإسحاق العدوى، لكن أخرجه البيهقى من طـــريق يحيى بن محمد بن يحيى عن مسدد بلفظ " شهرا عيدا لا ينقصان" كما هو لفظ الترجمة ، **وكأن هذا هو السر فى اقتصار البخارى** على سياق المتن على لفظ خالـــد دون إسحاق لكونه لم يختلف فى سياقه عليه ، وهذا يدلل على براعة الإمام البخارى وتفوقه .

فضـــيلة الدكـــتور / هـــل اختلف العلماء فى بيان معنى هذا الحديث ؟ نود من فضيلتكم إيضاح ذلك ؟ وماالذىيرشد إليه هذا الحديث ؟

نقول : نعم قد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث على النحو التالى :

١- منهم من حمله على ظاهره فقال لايكون رمضان ولا ذو الحجة أبداً إلا ثلاثين ، وهذا قول مردود معاند للموجود المشاهد . ويكفى فى رده قوله(ﷺ) " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة " فإنه لو كان رمضان أبداً ثلاثين لم يحتج إلى هذا.

٢- ومـــنهم مـــن تـــأول لـــه معنى لائقاً حيث روى عن إسحاق بن راهوية قوله " لا ينقصـــان فـــى الفضـــيلة إن كانـــا تسعة وعشرين أو ثلاثين " . **كما قال**

غيــره : لا ينقصـــان فـــى ثـــواب العمل فيهما ، **وقيل** : لا ينقصان معاً ، إن جـــاء أحـــدهما تســـع وعشـــرين جـــاء الآخر ثلاثين ولابد ، وهذان القولان مشـــهوران عـــن الســـلف الصـــالح وقـــد ثبتا منقولين فى أكثر الروايات فى البخارى .

٣- **وقـــال اســـحاق بـــن راهـــويه** : إن كـــان ناقصاً فهو تمام **وقال البخارى** : لا يجتمعان كلاهما ناقص .

٤- **وقـــال الإمـــام أحمـــد** : معـــناه لا ينقصـــان معاً فى سنة واحدة ؛ إن نقص رمضـــان تـــم ذو الحجـــة، وإن نقـــص ذو الحجة تم رمضان، وكأن البخارى اخـــتار مقالـــة الإمـــام أحمـــد فجـــزم بها أو توارد عليها . ووافق أحمد على اختياره البزار.

٥- **وقال إسحاق:** معناه وإن كان تسعة وعشرين فهو تمام غير نقصان ، وعلى مذهب إسحاق يجوز أن ينقصان معاً فى سنة واحدة ، وقد روى الحاكم فى تاريخه بإسناد صحيح عن إسحاق قوله : إنكم ترون العدد ثلاثين فإذا كان تسعاً وعشرين ترونه نقصانا وليس ذلك بنقصان .

ذكر ابن حبان لهذا الحديث معنيين:

أحدهما : ما قاله **إسحاق بن راهوية** .

الثانى : أنهما فى الفضل سواء لقوله فى الحديث الآخر " ما من أيام العمل فيها أفضل من عشر ذى الحجة " .

٧- وذكـــر **الطبـــرى** أن فـــيه خمســـة أقـــوال فذكر نحو ما تقدم وزاد أن معناه لا ينقصان فى عام بعينه وهو العام الذى قال فيه (ﷺ) تلك المقالة .

٨- **وقـــيل:** المعنـــى لا ينقصان فى الأحكام، وبهذا جزم **البيهقى** وقبله **الطحاوى** **فقـــال:** معنـــى لا ينقصـــان أن الأحكام فيهما وإن كانا تسعة وعشرين متكاملة غيـــر ناقصـــة عـــن حكمهمـــا إذا كانـــا ثلاثين ، وقيل معناه : لا ينقصان فى نفـــس الأمـــر لكـــن ربمـــا حـــال دون رؤيـــة الهـــلال مانع وهذا أشار إليه **ابن حبان** أيضاً ولكن لايخفى بعده .

٩- **وقـــيل معـــناه :** لا ينقصـــان معاً فى سنة واحدة على طريق الأكثر الأغلب وإن نـــدر وقـــوع ذلـــك، وهـــذا أعـــدل ممـــا تقدم لأنه ربما وجد وقوعهما ووقوع كل منهما تسعة وعشرين .

١٠- **وقـــال الطحـــاوى :** الأخـــذ بظاهـــره أو حملـــه على نقص أحدهما يدفعه العيان لأنا قد وجدناهما ينقصان معاً فى أعوام .

١١- **وقـــال الزبيـــر بـــن المنير:** لا يخلو شئ من هذه الأقوال عن الاعتراض ، وأقـــربهما أن المـــراد أن الـــنقص الحسى باعتبار العدد ينجبر بأن كلاً منهما شـــهر عـــيد عظـــيم فـــلا ينبغـــى وصـــفهما بالنقصـــان بخلاف غيرهما من الشهور . وحاصله يرجع إلى تأييد **قول إسحاق** .

١٢- **وقـــال البيهقـــى** فـــى " المعـــرفة " إنما خصهما بالذكر لتعلق حكم الصوم والحج بهما ، وبه جزم **النووى** وقال : إنه الصواب المعتمد .

والمعنـــى : أن كـــل مـــا ورد عنهما من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين سواء صادف الوقوف اليوم التاسع أو غيره ، ولا يخفى أن محل ذلك ما إذا لم يحصل تقصير فى ابتغاء الهلال .

وفائـــدة الحـــديث : هـــو رفـــع ما يقع فى القلوب من شك لمن صام تسعاً وعشرين أو وقف فى غير يوم عرفة . وقد استشكل بعض العلماء إمكان الوقوف

فـــى الـــثامن اجتهاداً ، **وليس مشكلاً لأنه ربما ثبتت الرؤية بشاهدين أن أول ذى الحجـــة الخمـــيس مـــثلاً فالوقوف يوم الجمعة ، ثم تبين أنهما شهدا زوراً . وقال الطيبـــى :** ظاهر سياق الحديث بيان اختصاص الشهرين بمزية ليست فى غيرهما من الشهور ، وليس المراد أن ثواب الطاعة فى غيرهما ينقص ، وإنما المراد رفع الحرج عما عسى أن يقع فيه خطأ فى الحكم لاختصاصهما بالعيدين وجواز احتمال وقـــوع الخطأ فيهما ، ومن ثم قال "شهرا عيد" بعد قوله " شهران لا ينقصان " ولم يقتصر على قوله رمضان وذى الحجة انتهى .

قـــوله " رمضـــان وذو الحجة " **أطلق على رمضان أنه شهر عيد لقربه من** العـــيد ، أو لكون هلال العيد ربما رؤى فى اليوم الأخير من رمضان **قاله الأثرم** والأول أولى ، ونظيره قوله (ﷺ) " المغرب وتر النهار " **رواه الترمذى من حديث ابـــن عمر** ، وصلاة المغرب ليليه جهرية ، وأطلق كونها وتر النهار لقربها منه، وفيه إشارة إلى أن وقتها يقع أول ما تغرب الشمس.

إذاً فمما يستفاد من الحديث فضلاً عما سبق :

١- أن فـــى الحـــديث حجـــة لمـــن قال إن الثواب ليس مرتباً على وجود المشقة دائماً ، بل لله أن يتفضل بإلحاق الناقص بالتام فى الثواب .

٢- واســـتدل بـــه بعضـــهم **لمالـــك** فـــى اكتفائه لرمضان بنية واحدة قال : **لأنه** جعل الشهر بجملته عبادة واحدة فاكتفى له بالنية .

٣- وهـــذا الحـــديث يقتضـــى أن التسوية فى الثواب بين الشهر الذى يكون تسعاً وعشـــرين وبـــين الشـــهر الذى يكون ثلاثين إنما هو بالنظر إلى جعل الثواب متعلقاً بالشهر من حيث الجملة لا من حيث تفضيل الأيام .

الحديث الثالث و الثلاثون

" النهى عن الوصال "

عن أبى هريرة (ﷺ) قال : نهى رسول الله (ﷺ) عن الوصال فى الصوم ، فقـال له رجلٌ من المسلمين : إنك تواصلُ يا رسول الله ، قال وأيُكم مثلى ؟ إنى أبيتُ يطعمنى ربى ويسقين ، فلما أبَوا أن ينتهوا عن الوصال ، واصل بهم يوماً ثـم يـوماً ، ثم رأوا الهلال ، فقال : لو تأخر لزدتكم . كالتنكيل لهم حينَ أبو أن ينتهوا[١]. ٠٠٠ وعن أبى هريرة (ﷺ) عنه عن النبى (ﷺ) **قال " إياكم والوصالَ مـرتين ، قيل إنك تُواصلُ . قال : إنى أبيتُ يطعمنى ربى ويسقين ، فاكفلوا من العملِ ما تطيقون"٠**

فضيلة الدكتور / نرجو التعريف بالراوى مع بيان المعنى العام للحديث؟

نقول وبالله التوفيق :هو الصحابى الجليل أبو هريرة : اختلف فى اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولاً وأقربها : عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، وهو أول من كُنى بهذه الكنية لهرة كان يلعب بها ، كناه النبى ﷺ بذلك ، وقيل والده ، وكان عريف أهل الصفة، أسلم عام خيبر بالاتفاق، وشهدها مع رسـول الله ﷺ . **قال ابن عبد البر :** لم يختلف فى اسم أحد فى الجاهلية ولا فى الإسـلام كالاخـتلاف فـيه ، **وروَى أنـه قـال :** كـان يسـمى فـى الجاهلية عبد شمس وسمى فى الإسلام عبد الرحمن، واسم أمه ميمونة، وقيل أمية، وقد أسلمت بدعاء النبىﷺ لها . **قال أبو هريرة :** نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً وكنت أجيراً لبُسْرَةَ بنتِ غزوان خادماً لها فزوجنيها الله تعالى ، فالحمد لله الذى جعل

---

(١) أخرجه البخارى كتاب الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال : ٢٠٥/٤ .

الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً. **قال:** وكنت أرعى غنماً ولى هرة صغيرة ألعب بها فكنونى بها . وقيل رآه النبىﷺ وفى كُمّه هرّة، **فقال:** يا أبا هريرة، وهو أكثر الصحابة رواية بإجماع. رُوى له خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعون حديثاً "٥٣٧٤ حديث" . اتفق البخارى ومسلم على ثلاثمائة وخمسة وعشرين، وانفرد البخارى بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين . روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع، منهم ابن عباس وجابر وأنس بن مالك .
وأبو هريرة أزدى دوسى يمانى ثم مدنى ، كان ينزل بذى الحليفة بقرب المدينة ، له بها دار تصدق بها على مواليه . ومن الرواة عنه ابنه المحرر . مات بالمدينة سنة تسع وخمسين ، وقيل ثمان ، وقيل سبع ، ودفن بالبقيع وهو ابن ثان وسبعين سنة ، والذى يقوله الناس إن قبره بقرب عسقلان لا أصل له ، ولكن هناك قبر خيسعة ابن جندرة الصحابى[1] .

من المعلوم أن الصيام فى الإسلام : هو الإمساك عن الطعام والشراب والاستمناء والاستقاء من الفجر إلى المغرب وبالتالى ليس فى الليل صيام حيث إن الصيام فى الإسلام معلوم ابتداءه وانتهاؤه لقوله تعالى **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ..)** .

ولكن كان لرسول الله (ﷺ) فى الصيام أحوال تخصه ليس لغيره من الناس القيام بها وكان منها الوصال فى الصيام ، ولكن الصحابة كعادتهم كانوا حريصين على تمثُّل خط إنك تواصل ونحن نصنع مثل ماتصنع ابتغاء المتابعة لك لنحظى بالأجر والثواب، واته فىكل صغيرة وكبيرة فواصلوا مثله فنهاهم عن ذلك فقالوا له

---

(١) أنظر : • تهذيب الكمال ، ٣٦٦/٣٤ . • تهذيب التهذيب ، ٢٣٧/١٢ .

فأخبـــر (ﷺ) أن المتابعة له ليس فى كل شئ فإن للنبى خصائص وتكاليف ليست عاديـــة وإن كـــان شبيهاً لأصحابه فى بشريته إلا أن تلك الخصائص لا يقوم بها غيره مثل زواجه بأكثر من أربعة وعدم الميراث له بعد وفاته فلا يرث أبناؤه بعد وفاتـــه شيئاً، وأنه محرم عليه وأولاده وأهل بيته الأكل من الصدقة والزكاة وغير ذلك من الأمور المخصوصة له (ﷺ) وكان منها الوصال .

فضيلة الدكتور/ماهوالوصال وماهوالتعمق ؟ وما هى حقيقة الخلاف فى الوصال ومالذى انتهى إليه رأى العلماء وتوجيههم فى ذلك ؟

نقـــول وبـــالله التوفـــيق :**الوصال هو** : الترك فى ليلى الصيام لما يفطر بالنهار بالقصـــد، فيخرج من أمسك اتفاقاً ، ويدخل من أمسك جميع الليل أو بعضه وهو مـــن خصائصه (ﷺ) ونهى أصحابه عن الوصال "رحمة لهم وبقاء عليهم" وخشية عليهم من التعمق الغير مطلوب فى طاعة الله .

والـــتعمق هـــو : المـــبالغة فى تكلف ما لم يكلف به ، وفى الحديث عندما أصروا فواصل بهم حتى انتهى الشهر وكان وقتاً قليلاً لم يؤثر فيهم الوصال الأثر الـــبالغ نـــبه الرسول (ﷺ) على أن المانع له هو انتهاء الشهر **فقال فى رواية عن أنس بن مالك:** "لو مُدَّ بى الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم" ولذا قال فـــى الحـــديث الـــذى معنا " اكفلوا من العمل ما تطيقون" . **قوله** " فقال رجل من المســـلمين إنك تواصل" وكأن القائل واحد ونسب القول إلى الجميع لرضاهم به ، وفى رواية " قالوا إنك تواصل" . **قـــال** : " وأيكم مثلى" وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد **وقوله** : "مثلى" أى على صفتى أو منزلتى من ربى. وفى رواية

"أنـــى لستُ مثلكم" وفى الأخرى "أنى لست كهيئتكم" وفى رواية "لست كأحدٍ منكم" والكل رواه البخارى .

وأماقــوله " إنى أبيتُ يطعمنى ربى ويسقينى " وفى رواية " **إنى أُطعم وأُسقى** " ، أو إنى أبيت أطعم وأسقى " وفى رواية عن أنس بن مالك " **إنى أظل يطعمنى ربى** ويســقينى" وهى محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لأن المتحدث عنه هــو الإمساك ليلاً لا نهاراً ، وأكثر الروايات إنما هى " أبيت" وكأن بعض الرواة عبر عنها بأظل نظراً إلى اشتراكهما فى مطلق الكون يقولون كثيراً : أضحى فلان كــذا مــثلا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى ، **ومنه قوله تعالى : (**وإذا بشــر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً**)** فإن المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل. وقد رواه أحمد وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة كلهم بسند واحد إلى أبى هريرة بلفظ " إنى أظل عند ربى فيطعمنى ويسقينى"

ويستدل بمجموع هذه الأحاديث والروايات : على أن الوصال من خصائصه (ﷺ) ، وعلى أن غيره ممنوع منه إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السحر ، ثم اختلف السلف الصالح فى المنع المذكور على عدة آراء **فقيل :**

١- المنع على سبيل التحريم .

٢- المنع على سبيل الكراهة .

٣- يحرم على من شق عليه ويباح لمن لم يشق عليه .

فقــد اختلف السلف فى ذلك: فنقُل التفصيل عن عبد الله بن الزبير، فقد روى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عنه : أنه كان يواصل خمسة عشر يوماً، وذهب إليه من

الصحابة أيضاً أخت أبى سعيد ، ومن التابعين عبد الرحمن ابن أبى نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وإبراهيم التيمى وأبو الجوزاء وغيرهم .

وكان من حججهم فى ذلك:

١- أنــه واصــل بأصــحابه بعــد النهى فلو كان النهى للتحريم لما أقرهم على فعلــه ، فعلــم أنــه أراد بالنهــى الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به الســيدة عائشــة فــى حديــثها ، وهــذا مثل ما نهاهم عن قيام الليل خشية أن يفــرض علــيهم ولــم ينكــر على من بلغه أنه فعله ممن لم يشق عليه ، فمن لــم يشــق علــيه ، ولــم يقصــد موافقة أهل الكتاب ولا رغب عن السنة فى تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال .

٢- وذهب الأكثرون إلى تحريم الوصال .

٣- وذُكــر عــن الشــافعية وجهــان : التحريم ، والكراهة - هكذا اقتصر عليه النووى ، وقد نص الشافعى فى " الأم " على أنه محظور .

٤- **وقــال الحــافظ ابــن حجر** : وأغرب القرطبى فنقل التحريم عن بعض أهل الظاهــر علــى شــك مــنه فــى ذلك ، ولا معنى لشكه فقد صرح ابن حزم بتحــريمه وصــححه ابــن العربــى مــن المالكية وذهب أحمد وإسحاق وابن المــنذر وابــن خــزيمة وجماعــة من المالكية إلى جواز الوصال إلى السحر لحــديث أبــى ســعيد المذكور ، وهذا الوصال لا يترتب عليه شئ مما يترتب علــى غيــره إلا أنــه فى الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه يؤخره لأن الصائم له فــى الــيوم واللــيلة أكلة فإذا أكلها فى السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخــره ، وكــان أخــف لجسمه فى قيام الليل ، ولا يخفى أن محل ذلك ما لم

يشــق علـــى الصـــائم وإلا فـــلا يكون قربة ، وانفصل أكثر الشافعية عن ذلك بـــأن الإمســـاك إلـــى الســـحر لـــيس وصـــالاً بل الوصال أن يمسك فى الليل جمـــيعه كمـــا يســـمك فـــى الـــنهار ، وإنمـــا أطلق على الإمساك إلى السحر وصـــالاً لمشـــابهته الوصـــال فـــى الصـــورة، ويحتاج إلى ثبوت الدعوى بأن الوصـــال إنمـــا هـــو حقـــيقة فى إمساك جميع الليل وقد ورد " أن النبى (ﷺ) كـــان يواصـــل مـــن سحر إلى سحر " أخرجه أحمد وعبد الرزاق من حديث على ﷺ، والطبرانى من حديث جابر رضى الله عنه وكذلك أخرجه غيرهم .

واحـــتجوا للتحريم بقوله فى الحديث المتقدم " إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار مـــن هاهـــنا فقد أفطر الصائم " إذ لم يجعل الليل محلاً لسوى الفطر فالصوم فيه مخالفـــة لوضعه كيوم الفطر ، وأجابوا أيضاً بأن قوله "رحمة لهم" لا يمنع التحريم فـــإن من رحمته لهم أن حرمه عليهم ، وأما مواصلته بهم بعد نهيه فلم يكن تقريراً بـــل تقـــريعاً وتنكيلاً ، فاحتمل منهم ذلك لأجل مصلحة النهى فى تأكيد زجرهم ، لأنهـــم إذا باشروه ظهرت لهم حكمة النهى وكان ذلك أدعى إلى قلوبهم لما يترتب عليهم من الملل فى العبادة والتقصير فيما هو أهم منه وأرجح من وظائف الصلاة والقـــراءة وغير ذلك، والجوع الشديد ينافى ذلك ، وقد صرح بأن الوصال يختص به لقوله " لست فى ذلك مثلكم " وقوله " لست كهيئتكم " هذا مع ما انضم إلى ذلك من استحباب تعجيل الفطر كما وردت به الروايات .

وأما قوله (ﷺ) " إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى " .

فقـــد اخـــتلفت آراء العلمـــاء فـــى ذلـــك علـــى الـــنحو التالـــى :

١- مـــنهم مـــن قـــال هو على حقيقته وأنه ﷺ كان يؤتى بطعام وشراب من عند

الله كــرامة لـــه فـــى ليالـــى صـــيامه وتعقبه ابن بطال ومن تبعه بأنه لو كان كـــذلك لـــم يكـــن مواصلاً، وبأن قوله "يظل" يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كـــان الأكـــل والشـــراب حقـــيقة لـــم يكـــن صائماً ، **وأجيب** بأن الراجح من الـــروايات لفـــظ " أبـــيت " دون أظل، وعلى تقدير الثبوت فليس حمل الطعام والشـــراب علـــى المجـــاز بأولـــى لـــه من حمل لفظ أظل على المجاز وعلى التنـــزيل فـــلا يضـــر شـــئ مـــن ذلـــك لأن ما يؤتى به الرسول على سبيل الكـــرامة مـــن طعـــام الجـــنة وشرابها لا تجرى عليه أحكام المكلفين فيه كما غُســـل صـــدره ﷺ فـــى طســـت الذهب مع أن استعمال أوانى الذهب الدنيوية حرام .

٢-**وقـــال ابـــن المنيـــر** : الـــذى يفطـــر شـــرعاً إنما هو الطعام المعتاد ، وأما الخـــارق للعـــادة كالمحضـــر من الجنة فعلى غير هذا المعنى ، وليس تعاطيه مـــن جـــنس الأعمـــال وإنما هو من جنس الثواب كأكل أهل الجنة فى الجنة ، والكـــرامة لا تـــبطل العـــبادة . **وقـــال أيضـــاً** : وهـــو محمول على أن أكله وشـــربه فـــى تلـــك الحالـــة كحال النائم الذى يحصل له الشبع والرى بالأكل والشـــراب وليســـتمر لـــه ذلك حتى يستيقظ ولا يبطل بذلك صومه ولا ينقطع وصـــاله ولا يـــنقص أجـــره ، **وحاصله** : أنه يحمل ذلك على حالة استغراقه ﷺ فى أحواله الشريفة حتى لا يؤثر فيه حينئذ شئ من الأحوال البشرية .

٣- **وقـــال غيـــره** : لا مانـــع من حمل الطعام والشراب على حقيقتهما ولا يلزم شـــئ ممـــا تقـــدم ذكره، بل الرواية الصحيحة " أبيت " وأكله وشربه فى الليل ممـــا يؤتـــى بـــه من الجنة لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكأنه لما قيل

لـــه: إنـــك تواصـــل ، **فقـــال** : إنى لست فى ذلك كهيئتكم أى على صفتكم فى أن مـــن أكـــل مـــنكم أو شرب أنقطع وصاله ، بل إنما يطعمنى ربى ويسقينى ولا تـــنقطع بـــذلك مواصــــلتى، فطعامى وشرابى على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى .

٤- **وقـــال الجمهـــور**: قـــوله يطعمنى ويسقينى مجاز عن لازم الطعام والشراب وهـــو القـــوة، فكأنـــه قـــال يعطينى قوة الآكل والشارب، ويفيض علىّ ما يسد مســـد الطعـــام والشـــراب ويقـــوى علـــى أنواع الطاعة من غير ضعف فى القـــوة ولا كـــلال فـــى الإحســـاس ، أو المعنـــى إن الله يخلق فيه من الشبع والـــرى مـــا يغنـــيه عن الطعام والشراب فلا يحس بجوع ولا عطش والفرق بيـــنه وبـــين الأول أنـــه علـــى الأول يعطـــى القوة من غير شبع ولا رى مع الجـــوع والظمـــأ، وعلـــى الثانى يعطى القوة مع الشبع والرى، ورجح الأول بـــأن الثانـــى ينافـــى حال الصائم ويفوت المقصود من الصيام والوصال؛ لأن الجـــوع هـــو روح هـــذه العـــبادة بخصوصها . **وقال القرطبى** : ويبعده أيضاً النظـــر إلـــى حالـــه ﷺ، فإنـــه كـــان يجوع أكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجارة من الجوع .

قال الحافظ ابن حجر : وتمسك ابن حبان بظاهر الحال فاستدل بهذا الحديث علـــى تضعيف الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان يجوع ويشد الحجر على بطنه؟ **ثم قـــال** : وماذا يغنى الحجر من الجوع؟ ثم ادعى أن ذلك تصحيف ممن رواه وإنما هـــى الحجز بالزاى جمع حجزة ، وقد أكثر الناس من الرد عليه فى جميع ذلك ، وأبلـــغ ما يرد عليه به بأنه أخرج فى صحيحه من حديث ابن عباس **قال** : "خرج

النبى ﷺ بالهاجرة فرأى أبا بكر وعمر **فقال** : ما أخرجكما ؟ **قالا** : ما أخرجنا إلا الجــوع **فقــال** : " وأنـــا والذى نفسى بيده ما أخرجنى إلا الجوع " الحديث . فهذا الحديث يرد ما تمسك به . وأما قوله " وما يغنى الحجر من الجوع ؟ **فجوابه** : أنه يقيم الصلب لأن البطن إذا خلا ربما ضعف صاحبه عن القيام لانثناء بطنه عليه ، فإذا ربط عليه الحجر اشتد وقوى صاحبه على القيام ، **حتى قال بعض من وقع له ذلك** : كنت أظن الرجلين يحملان البطن فإذا البطن يحمل الرجلين .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله " يطعمنى ويسقينى " أى يشغلنى بالتفكير فى عظمــته والتملــى بمشاهدته والتغذى بمعارفه وقرة العين بمحبته والاستغراق فى مـــناجاته والإقبال عليه عن الطعام والشراب وهو ما مال إليه **ابن القيم وقال** : قد يكـــون هــذا الغـــذاء أعظــم من غذاء الأجساد ، ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الجسمانى ولا سيما الفرح المسرور بمطلوبه الذى قرت عينه بمحبوبة

فضـــيلة الدكتور/ بعدهذا العرض الطويل ماهورأى فضيلتكم فيما تقدم من أقوال ورأيك الخاص ، وما الذى يرشدنا إليه هذا الحديث ؟

أقـــــول: إن القـــوم قد تحدثوا طويلاً عن خصوصية الوصال وأن رسول الله ﷺ كان يواصل الصيام ولهذا قلده الصحابة فى الوصال وحرصوا على إثبات الوصال لرسول ﷺ ولم يلتفوا إلى قوله " إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى " أى إنى لا أواصـــل وما ترون ظاهره وصالاً ليس على حقيقته إذا أنا آكل وأشرب ولكن من عـــند ربى لا من كسبى ولا من جنس ما تأكلون وهذا هو الفارق ولكن لا أواصل فنفـــى عـــن نفســـه الوصال وأخبر أنه يأكل ويشرب فلما أراد الصحابة الوصال

واصل بهم يُطعم هو ويُسقى وهم لا يطعمون ولا يُسقون مريداً بذلك البيان لهم بأن بشـــريتهم وبشرية أى إنسان لا تطيق الوصال ولو امتد الشهر لواصل بهم ليعرفوا حـــدودهم وقدراتهم البدنية حتى هو أيضاً فلولا أنه يُطعم ويُسقى لجلس معهم يأكل ويشـــرب عند الإفطار وعند السحور ، وكان من حاله دائماً التبرؤ بما يُدعى عليه ولـــيس فيه ولذا نفى عن نفسه الوصال بقوله أطعم وأسقى ومع ذلك كان يفطر فى الســـفر حتى يرخص لهم ويبين وكم من حالٍ لرسول الله ﷺ تبسط منه خشية أن يكـــتب علـــى الأمـــة أو يفـــرض علـــيها فكـــان الأولىَ من الحرص على إثبات الخصوصـــية بيان حقيقة القضية وهى بسيطة واضحة أن الصحابة ظنوا من حاله الوصال ولم يكن فى الحقيقة هو الحال **ولقد قال** " أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى " والمبيت يقصد به الليل والليل محل الإفطار والرفث إلى النساء ، وعبادة وتسبيح من شاء إلى ما شاء .

إذا فمما يستفاد من الحديث الآتى :

١- استواء المكلفين فى الأحكام .

٢-إن كل حكم ثبت فى حق النبى ﷺ ثبت فى حق أمته إلا ما استثنى بدليل.

٣- وفـــيه جـــواز معارضـــة المفتـــى فيما أفتى به إذا كان بخلاف حاله ولم يعلم المستفتى بسر المخالفة .

٤- وفيه الاستكشاف عن حكمة النهى .

٥- وفـــيه ثـــبوت خصائصـــه ﷺ وأن عمـــوم **قـــوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)** مخصوص .

٦- وفــيه أن الصـــحابة كانـــوا يرجعون إلى فعله المعلوم صفته ويبادرون إلى الاقتداء به إلا فيما نهاهم عنه .

٧- وأن خصائصه لا يتأسى به فى جميعها .

٨- وفــيه بــيان قــدرة الله تعالـــى على إيجاد المسببات العاديات من غير سبب ظاهر .

الرابع والثلاثون

" حكم من استخف بيوم الصيام فجامع "

عن أبى هريرة ﷺ قال : " بينما نحن جلوسٌ عندَ النبى ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال : يا رسولَ الله هلكتُ قال : مالك ؟ قال : وقعتُ على امرأتى وأنا صـــائمٌ ، فقـــال رســـول الله ﷺ : هل تجدُ رقبةً تُعتقُها؟ قال : لا. قال فهل تســـتطيع أن تصوم شهريْن متتابعين ؟ قال لا . قال : فهل تجدُ إطعام ستينَ مســـكيناً ؟ قال لا . قال فمكث النبى ﷺ ، فبينما نحنُ على ذلك أُتىَ النبىُّ ﷺ بعَرَقٍ فيها تمرٌ – والعرق : المكْتل – قال : أينَ السائلُ ؟ فقال : أنا. قال : خُـــذْ هذا فتصدَّقْ به . فقال الرجل : على أفقرَ منى يارسول الله ؟ فوالله ما بين لابَتيها – يُريدُ الحَرَّتين – أهلُ بيت أفقرُ من أهل بيتى. فضحكَ النبىُّ ﷺ حتى بَدَتْ أنيابهُ ثم قال : أطعِمهُ أهلكَ "[1] .

فضيلة الدكتور/ نرجو من فضيلتكم التكرم ببيان المعنى العام مع ذكر الروايات الموجودة والترجيح بينها وبيان آراء العلماء فى ذلك ؟

نقول وبالله التوفيق : قوله : "بينما نحن جلوس" أصلها " بين" وقد ترد بغير "ما" فتشـــبع الفتحة، ومن خاصة "بينما" أنها تتلقى بإذا وبإذ حيث تجئ للمفاجأة بخلاف "بين" فلا تتلقى بواحدة منهما ، وقد ورد فى هذا الحديث كذلك .

قوله "عند النبى ﷺ " فيه حسن الأدب فى التعبير لما تشعر العندية بالتعظيم بخلاف ما لو قال مع ، لكن فى رواية أخرى "مع النبى ﷺ " . **قوله** "إذ جاءه

---

(١) رواه البخارى كتاب الصيام باب إذا جامع فى رمضان ١٦٣/٤ ، ومسلم فى كتاب الصيام.

رجل" قال عبد الغنى فى المبهمات ، وتبعه ابن بشكوال جزماً بأنه سلمان أو سلمة بـــن صـــخر البياضـــى ، واستند إلى ما أخرجه ابن أبى شيبة وغيره من طريق ســـليمان بـــن يســـار "عن سلمة بن صخر أنه ظاهر من امرأته فى رمضان وأنه وطئها فقال له النبى ﷺ : حرر رقبة ، قلت ما أملك رقبة غيرها وضرب صفحة رقبته قال : فصم شهرين متتابعين ، قال وهل أصبت الذى أصبت إلا من الصيام ؟ قـــال فأطعم ستين مسكيناً قال والذى بعثك بالحق ما لنا طعام ؟ قال فانطلق إلى صـــاحب صـــدقة بنى زريق فليدفعها إليك " والظاهر أنهما واقعتان فإن فى قصة المجامع أنه كان صائماً " وفى قصة سلمة بن صخر أن ذلك كان ليلاً فافترقا ، ولا يلـــزم من اجتماعهما فى كونهما من بنى بياضة وفى صفة الكفارة وكونها مرتبة وفى كون كل منهما كان لا يقدر على شئ من خصالها اتحاد القصتين .

قـــوله : " فقـــال يا رسول الله " وفى رواية الزهرى " جاء رجل وهو ينتف شعره ويدق صدره ويقول هلك الأبعد " وزاد فى روايات "يلطم وجهه" "يدعو ويله" "ويحثى على رأسه التراب" واستدل بهذا على جواز هذا الفعل والقول ممن وقعت لـــه معصـــية ، ويفرق بذلك بين مصيبة الدين والدنيا فيجوز فى مصيبة الدين لما يشـــعر به الحال من شدة الندم وصحة الإقلاع ، ويحتمل أن تكون هذه الواقعة قبل النهى عن لطم الخدود وحلق الشعر عند المصيبة . **قوله** "فقال هلكت" وفى رواية "فقال إن الأخر هلك" و"الأخر" يقصد به "الأبعد" وقيل : الغائب وقيل : الأرذل قوله "هلكت" وفى رواية "احترقت" وفى أخرى "ما أرانى إلا قد هلكت" **واستدل به** على أنـــه كان عامداً لأن الهلاك والاحتراق مجاز عن العصيان المؤدى إلى ذلك فكأنه جعـــل المـــتوقع كالواقع ، وبالغ فعبر عنه بلفظ الماضى وإذا تقرر ذلك فليس فيه

حجـــة على وجوب الكفارة على الناسى وهو مشهور قول مالك والجمهور، وعن أحمد وبعض المالكية يجب على الناسى ، وتمسكوا بترك استفساره عن جماعة هل كان عن عمد أو نسيان ، وترك الاستفصال فى الفعل ينزل منزلة العموم فى القول كمـــا اشتهر **والجواب** : أنه قد تبين حاله بقوله هلكت واحترقت فدل على أنه كان عامداً عارفاً بالتحريم .

وأيضاً فدخول النسيان فى الجماع فى نهار رمضان فى غاية البعد ، **واستدل بهـــذا** على أن من ارتكب معصية لا حد فيها وجاء مستفتياً أنه لا يعزر لأن النبى ﷺ لم يعاقبه مع اعترافه بالمعصية وقد ترجم لذلك البخارى فى الحدود وأشار إلى هذه القصة **وتوجيهه** أن مجيئه مستفتياً يقتضى الندم والتوبة ، والتعزير إنما جعل للاستصـــلاح ولا استصلاح مع الصلاح ، **وأيضاً** : فلو عوقب المستفتى لكان سبباً لتـــرك الاستغناء وهى مفسدة فاقتضى ذلك أن لا يُعاقب. **وفى شرح البغوى رأى آخـــر وهو**: أن من جامع معتمداً فى رمضان فسد صومه وعليه القضاء والكفارة ويعـــزر علـــى سوء صنيعه وهو محمول على من لم يقع منه ما وقع من صاحب هـــذه القصة من الندم والتوبة ، وبناه بعض المالكية على الخلاف فى تعزير شاهد الزور .

قوله " قال مالك ؟ بفتح اللام استفهام عن حاله وفى رواية عقيل " ويحك ما شـــأنك " ولابـــن أبى حفصة " وما الذى أهلك ؟" ولعمروا" ما ذاك "؟ وفى رواية الأوزاعـــى " ويحك ما صنعت ؟ " **وترجم البخارى فى كتاب الأدب** لباب بعنوان " بـــاب ما جاء فى قول الرجل ويلك ويحك وقد ذكرت فى روايتين إحداهما "ويلك" والثانية "ويحك" ، وقد رجح الحافظ ابن حجر رواية " ويحك " على رواية " ويلك "

، **وقـــال :** هو اللائق بالمقام فإن " ويح " كلمة رحمة " وويل " كلمة عذاب والمقام يقتضى الأول .

قوله " وقعت على إمرأتى " وفى رواية " أصبت أهلى " وفى رواية " وطئت امرأتى " ووقع فى رواية مالك وابن جريج وغيرهما كما سيأتى بيانه بعد قليل فى الكلام على الترتيب والتخيير فى أول الحديث " أن رجلاً أفطر فى رمضان فأمره النبـــى ﷺ " الحـــديث **واستدل به** على إيجاب الكفارة على من أفسد صيامه مطلقاً بأى شئ كان وهو قول المالكية ، وفيه اختلاف بين العلماء، والجمهور حملوا قوله "أفطر" هنا على المقيد فى الرواية الأخرى وهو قوله "وقعت على أهلى" وكأنه قال أفطر بجماع، وهو أولى من دعوى القرطبى وغيره تعدد القصة .

واحتج من أوجب الكفارة مطلقاً بقياس الآكل على المجامع بجامع ما بينهما – وسوف نوضح الترجيح بين الروايتين فى الكلام على الترتيب .

وقــد وقـــع فـــى حديث عائشة نظير ما وقع فى حديث أبى هريرة فمعظم الـــروايات فـــيها " وطئت " ونحو ذلك ، وفى رواية ساق مسلم إسنادها وساق أبو عـــوانة فـــى مســـتخرجة مـــنهما أنه قال " أفطرت فى رمضان " والقصة واحدة ومخـــرجها متحد فيحمل على أنه أراد أفطرت فى رمضان بجماع ، وقد وقع فى مرســـل ابن المسيب عند سعيد بن منصور " أصبت إمرأتى ظهراً فى رمضان " وتعيين رمضان معمول بمفهومه وللفرق فى وجوب كفارة المجامع فى الصوم بين رمضان وغيره من الواجبات كالنذر وفى كلام أبى عوانة فى صحيحه إشارة إلى وجوب ذلك على من وقع منه فى رمضان نهاراً سواء كان الصوم واجباً عليه أو غير واجب .

قـوله " وأنـــا صـــائم " جملة حالية من قوله " وقعت " **فيؤخذ منه : أنه لا** يشـــترط فـــى إطـــلاق اسم المشتق بقاء المعنى المشتق منه حقيقة لاستحالة كونه صـــائماً مجامعاً فى حالة واحدة فعلى هذا قوله "وطئت" أى شرعت فى الوطء أو أراد جامعـــت بعـــد إذ أنـــا صائم وفى رواية " وقعت على أهلى اليوم وذلك فى رمضان " .

قوله " هل تجد رقبة تعتقها " وفى رواية " أتجد ما تحرر رقبة " وفى رواية " أستطيع أن تعتق رقبة " وعند الأوزاعى " اعتق رقبة " وفى رواية قال " بئس ما صنعت اعتق رقبة " .

قـوله "قـــال لا" وفـــى رواية "فقال لا والله يا رسول الله" وفى رواية "ليس عندى" وفى حديث ابن عمر " فقال والذى بعثك بالحق ما ملكت رقبة قط " واستدل بـــإطلاق الرقبة على جواز إخراج الرقبة الكافرة كقول الحنفية وهو ينبنى على أن السبب إذا اختلف واتحد الحكم هل يقيد المطلق أو لا ؟ وهل تقييده بالقياس أولا ؟ والأقرب أنه بالقياس ، ويؤيده التقييد فى مواضع أخرى قوله " قال فهل تستطيع أن تصـــوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا " وفى رواية " قال فصم شهرين متتابعين " " قال : لا أقدر " وفى رواية ابن إسحاق " وهل لقيت ما لقيت إلا من الصيام ؟ " **قال ابـــن دقيق العيد** : لا إشكال فى الانتقال عن الصوم إلى الإطعام ، لكن رواية ابن إســـحاق هـــذه اقتضت أن عدم استطاعته لشدة شبقه وعدم صبره عن الوقاع فنشأ للشـــافعية نظر : هل يكون ذلك عذراً – أى شدة الشبق – حتى يعد صاحبه غير مســـتطيع للصوم أو لا ؟ والصحيح عندهم اعتبار ذلك ، ويلتحق به من يجد رقبة لأغنى به عنها فإنه يسوغ له الانتقال إلى الصوم مع وجودها لكونه فى حكم غير

الـــواجد . **قوله**" فهل تجد إطعام ستين مسكيناً ؟ قال لا " زاد فى رواية" يا رسول الله " وفـــى رواية " فهل تستطيع إطعام ؟ وفى رواية فتطعم ستين مسكيناً ؟ قال لا أجـــد " وفـــى رواية " أفتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً ؟ قال لا " وذكر الحاجة . وفى حديث ابن عمر " قال والذى بعثك بالحق ما أشبع أهلى " **قال ابن دقيق العيد** : أضاف الإطعام الذى هو مصدر أطعم إلى ستين فلا يكون ذلك موجوداً فى حق مـــن أطعـــم ستة مساكين عشرة أيام مثلاً، ومن أجاز ذلك فكأنه استنبط من النص معنـــى يعـــود بالإبطـــال ، والمشهور عن الحنفية الإجزاء حتى لو أطعم الجميع مســـكيناً واحـــداً فى ستين يوماً كفى، **والمراد بالإطعام** : الإعطاء لاشتراط حقيقة الإطعـــام من وضع المطعوم فى الفم بل يكفى الوضع بين يديه بلا خلاف ، وفى إطـــلاق الإطعام ما يدل على الاكتفاء بوجود الإطعام من غير مناولة بخلاف زكاة الفرض فإن فيها نص على الإيتاء وصدقة الفطر فإن فيها نص على الأداء ، وفى ذكر الإطعام ما يدل على وجود طاعمين فيخرج الطفل الذى لم يطعم كقول الحنفية ، ونظر الشافعى إلى النوع **فقال** : يسلم لوليه وذكر الستين لا يفهم ما يجب ما زاد علـــيها ، ومـــن لم يقل بالمفهوم تمسك بالإجماع على ذلك ، **وذكر فى حكمه** هذه الخصال من المناسبة أن من انتهك حرمة الصوم بالجماع فقد أهلك نفسه بالمعصية فناســـب أن يعـــتق رقبة فيفدى نفسه ، وقد صح أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من النار .

وأما الصيام فمناسبته ظاهرة لأنه كالمقاصة بجنس الجناية وأما كونه شهرين فلأنه لما أمر بمصابرة النفس فى حفظ كل يوم من شهر رمضان على الولاء فلما أفســـد منه يوماً كان كمن أفسد الشهر كله من حيث إنه عبادة واحدة بالنوع فكلف

بشهرين مضاعفة على سبيل المقابلة للنقيض قصده ، **وأما الإطعام** فمناسبته ظاهرة لأنه مقابلة كل يوم بإطعام مسكين ، ثم إن هذه الخصال جامعة لاشتمالها على حق الله وهـــو الصوم ، وحق الأحرار بالإطعام وحق الأرقام بالإعتاق ، وحق الجانى بـــثواب الامتثال . **وفيه دليل على** : إيجاب الكفارة بالجماع خلافاً لمن شذ فقال لا تجب مستنداً إلى أنه لو كان واجباً لما سقط بالإعسار ، وتُعقب بمنع الاسقاط على مـــا ســـوف يأتى **كما اختلف العلماء** فى إيجاب الكفارة بالقبلة والنظر والمباشرة والانعـــاظ ، واخـــتلفوا أيضاً هل يلحق الوطء فى الدبر بالوطء ، فى القُبل ، وهل يشترط فى إيجاب الكفارة كل وطء فى أى فرج كان ؟

وفـــيه دلـــيل على : جريان الخصال الثلاث المذكورة فى الكفارة وجاء عن مالـــك أنه لا يعرف غير الإطعام ولا يأخذ بعتق ولا صيام . **قال ابن دقيق العيد:** وهـــى معضـــلة لا يهتدى إلى توجيهها مع مصادمة الحديث الثابت غير أن بعض المحققين من أصحابه حمل هذا اللفظ وتأوله على الاستحباب فى تقديم الطعام على غيـــره مـــن الخصال ووجهوا ترجيح الطعام على غيره بأن الله ذكره فى القرآن رخصـــة للقـــادر ثم نسخ هذا الحكم ، ولا يلزم منه نسخ الفضيلة فيترجح الإطعام أيضاً لاختيار الله له فى حق المفطر بالعذر وكذا أخبر بأنه فى حق من أخر قضاء رمضـــان حتى دخل رمضان آخر ، ولمناسبة إيجاب الإطعام بجبر فوات الصيام الذى هو إمساك عن الطعام ، ولشموله نفعه للساكين ، كل هذه الوجوه لا تقاوم ما ورد فـــى الحـــديث مـــن تقـــديم العتق على الصيام ثم الإطعام سواء قلنا الكفارة علىالتـــرتيب أو التخيير فإن هذه البداءة إن لم يقتضى وجوب الترتيب فلا أقل من

أن تقتضى استحبابه . واحتجوا أيضاً بأن حديث عائشة لم يقع فيه سوى الإطعام ، وقد تقدم الجواب عن ذلك من قبل .

ومــن المالكية من وافق على هذا الاستحباب ، **ومنهم من قال :** إن الكفارة تخــتلف باخــتلاف الأوقات : ففى أوقات الشدة يكون بالإطعام وفى غيرها يكون بالعتق أو الصوم ونقلوه عن محققى المتأخرين . ومنهم من قال : الإفطار بالجماع يكفر بالخصال الثلاث ، وبغيره لا يكفر إلا بالإطعام وهو قول : أبو مصعب .

وقــال ابن جرير الطبرى : هو مخير بين العتق والصوم ولا يطعم إلا عند العجز عنهما ، وفى الحديث أنه لا مدخل لغير هذه الخصال الثلاث فى الكفارة .

وفــى الحديث أيضاً : أن الكفارة بالخصال الثلاث على الترتيب المذكورة . **قــال ابن العربى :** لأن النبى ﷺ نقله من أمر بعد عدمه لأمر آخر وليس هذا شأن التخيير ونازع القاضى عياض فيه ظهور دلالة الترتيب فى السؤال عن ذلك فقال : إن مــثل هــذا الســؤال قد يستعمل فيما هو على التخيير وقرره ابن المنير فى الحاشــية بأن شخصاً لو حنث فاستفتى فقال له المفتى : اعتق رقبة فقال لا أجد ، فقــال صــم ثلاثــة أيام ..إلخ) لم يكن مخالفاً لحقيقة التخيير ، بل يحمل على أن إرشاده إلى العتق لكونه أقرب لتخيير الكفارة .

وقال البيضاوى : ترتيب الثانى بإلفاء على فقد الأول ثم الثالث بإلفاء إلى فقد الثانـــى يدل على عدم التخيير مع كونها فى معرض البيان وجواب السؤال فينزل منــزلة الشــرط للحكــم وسلك الجمهور فى ذلك مسلك الترجيح بأن الذين رووا التــرتيب عن الزهرى أكثر ممن روى التخيير ورد عليه ، **ابن التين :** بأن الذين

رووا الترتيب ابن عيينة ومعمر والأوزاعى والذين رووا التخيير مالك وابن جريج وفليج بن سليمان وعمرو بن عثمان المخزومى ، وهو أكثر فى الثانى دون الأول ، كمـــا أن ممن روى الترتيب الكثير والكثير من شيوخ شيوخ البخارى بل روى التـــرتيب عن الزهرى أكثر من الثلاثين نفساً وابن التين من شراح البخارى فكيف تصـــيبه تلك الغفلة ورجح الترتيب أيضاً بأن راويه حكى لفظ القصة على وجهها فمعه زيادة علم من صورة الواقعة ، وراوى التخيير حكى لفظ راوى الحديث فدل علـــى أنـــه من تصرف بعض الرواة إما لقصد الاختصار أو لغير ذلك ، ويترتب أيضاً بأنه أحوط لأن الأخذية مجزئ سواء قلنا بالتخيير أو بخلاف العكس ، وجمع بعضهم بين الروايتين كالمهلب والقرطبى بالحمل على التعدد وهو بعيد لأن القصة واحدة والمخرج متحد والأصل عدم التعدد ، **وبعضهم** حمل الترتيب على الأولوية والتخيير على الجواز وعكسه بعضهم فقال "أو" فى الرواية الأخرى ليست للتخيير وإنمـــا هـــى للتفسير **والتقدير** : أمر رجلاً أن يعتق رقبة أو يصوم إن عجز عن العـــتق أو يطعـــم إن عجز عنهما ، **وذكر الطحاوى** : أن سبب إتيان بعض الرواة بالتخيير أن الزهرى راوى الحديث قال فى آخر حديثه " فصارت الكفارة إلى عتق رقبة أو صيام شـهرين أو الإطعام " .

قـــال فرواه بعضهم مقتصراً على ما ذكر الزهرى أنه آل إليه الأمر ، قال : وقـــد قـــص عبد الرحمن بن مسافر عن الزهرى القصة على وجهها ثم ساقه من طريقه فى مثل حديثنا إلى قوله " أطعمه أهلك" قال فصارت الكفارة إلى عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً.

قــوله " فمكث عند النبى ﷺ " وفى رواية فقال النبى ﷺ " اجلس فجلس" قوله " فبيــنما نحن على ذلك" وفى رواية " فبينما هو جالس كذلك" قال بعضهم يحتمل أن يكــون ســبب أمره له بالجلوس انتظار ما يوحى إليه فى حقه ، ويحتمل أنه كان عرف أنه سيؤتى بشئ يعينه به ، ويحتمل أن يكون أسقط عنه الكفارة بالعجز وهذا الــثالث ليس بقوى لأنها لو سقطت ما عادت عليه حيث أمره بها بعد إعطائه إياه المكتل . قوله " أُتى النبى ﷺ " بضم أوله على البناء للمجهول وهو جواب " بينما" والآتــى المذكــور لــم يسم لكن وقع فى رواية معمر " فجاء رجل من الأنصار " بِعَــرَقٍ" بفــتح العــين والــراء، **قال ابن التين** : أنكر بعضهم الإسكان لأن الذى بالإســكان هــو العظم الذى عليه اللحم قوله " والعرق المكتل" تفسير من الراوى والمِكتل بكسر الميم وسكون الكاف : المكتل الضخم . **قال الأخفش** : سمى المكتل عرقا لأنه يضفر عرقه عرقه فالعرق جمع عرقة كعلق وعلقة ، والعرقة الضفيرة من الخوص وفى رواية" فأُتى بعرق فيه تمر وهو الزبيل" وفى رواية " فأُتى بزبيل وهــو المكــتل " والزبيل هو المكتل " وإنما سمى زبيلاً لحمل الزبل فيه، ويقال زنبيل وجمعه زنابيل .

قــوله " أين السائل " وفى رواية " أين المحترق آنفاً" أطلق عليه ذلك لأن كلامه متضــمن الســؤال فإن مراده هلكت فما ينجينى وما يخلصنى . ولم يعين فى هذه الــرواية مقــدار ما فى المكتل من التمر بل ولا فى شئ من طرق الصحيحين فى حــديث أبى هريرة ووقع فى رواية ابن أبى حفصة " فيه خمسة عشر صاعاً" وفى روايــة مــؤمل عن سفيان " فيه خمسة عشر أو نحو ذلك " وعن ابن خزيمة " فيه خمسة عشر أو عشرون " .

قـوله " خـذ هذا فتصدق به على نفسك " وفى رواية " نحن نتصدق به عنك " **واسـتدل به** بإفراده بذلك على أن الكفارة عليه وحده دون الموطوءة ، وكذا قوله فـى المـراجعة " هـل تسـتطيع" "وهل تجد" وغير ذلك ، وهو الأصح من قولى الشـافعية وبه قال الأوزاعى ، وقال الجمهور وأبو ثور وابن المنذر تجب الكفارة علـى المـرأة أيضـاً علـى اختلاف وتفاصيل لهم فى الحرة والأمة والمطاوعة والمكرهة وهل هى عليها أو على الرجل عنها ، **واستدل** الشافعية بسكوته ﷺ عن إعلام المرأة بوجوب الكفارة مع الحاجة ، **وأجيب**: بمنع وجود الحاجة إذ ذاك لأنها لـم تعترف ولم تسأل واعتراف الزوج عليها لا يوجب عليها حكماً ما لم تعترف ، وبأنهـا قضية حال فالسكوت عنها لا يدل على الحكم لاحتمال أن تكون المرأة لم تكن صائمة لعذر من الأعذار ثم إن بيان الحكم للرجل بيان فى حقها لاشتراكها فى تحـريم الفطر وانتهاك الصوم كما لم يأمره بالغسل ، **والتنصيص** على الحكم فى حـق بعـض المكلفـين كاف عن ذكره فى حق الباقين ، **ويحتمل** أن يكون سبب السكوت عن حكم المرأة ما عرفه من كلام زوجها بأنها لا قدرة لها على شئ.

وقال القرطبى : اختلفوا فى الكفارة هلى هى على الرجل وحده على نفسه فقط أو علـيه وعليها أو عليه كفارتان عنه وعنها أو عليه عن نفسه وعليها عنها ، وليس فى الحديث ما يدل على شئ من ذلك لأنه ساكت عن المرأة فيؤخذ حكمها من دليل آخـر مع احتمال أن يكون سبب السكوت أنها كانت غير صائمة. واستدل بعضهم بقـوله فى بعض طرق هذا الحديث "هلكت وأهلكت" وهى زيادة فيها مقال ، **فقال ابـن الجوزى** : فى قوله "وأهلكت" تنبيه على أنه أكرهها ولولا ذلك لم يكن مهلكاً لهـا .**قـال الحافظ ابن حجر قلت** : ولا يلزم من ذلك تعدد الكفارة بل لا يلزم من

قـــوله "وأهلكـــت" إيجـــاب الكفارة عليها ، بل يحتمل أن يريد بقوله "هلكت" أثمت "وأهلكـــت" أى كـــنتُ سبباً فى تأثيم من طاوعتنى فواقعتها إذ لا ريب فى حصول الإثم على المطاوعة ولا يلزم من ذلك إثبات الكفارة ولا نفيها ، **أو المعنى:** هلكت أى حيث وقعت فى شئ لا أقدر على كفارته ، وأهلكت أى نفسى بفعلى الذى جر علىَّ الإثم ، وهذا كله بعد ثبوت الزيادة المذكورة ، وهو ما أكد عليه البيهقى .

قوله " فقال الرجل على أفقر منى" أى أتصدق على شخص أفقر منى؟ وهذا يشعر بأنه فهم الإذن له فى التصديق على من يتصف بالفقر ، وفى رواية " أعلى أهـــل بـــيت أفقر منى ؟ " ، قوله " فوالله ما بين لا بتيها" تثنية لابة وهما الحرَّتانِ والضـــمير يعـــود على المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وفى رواية " ما بين حرتيها" وفى رواية " والذى نفسى بيده ما بين طُنبى المدينة" تثنية طُنب والطُنب أحد أطناب الخيمة فاستعاره للطرف . **قوله** " أهل بيت أفقر من أهل بيتـــى" " وأفقر منا" وأفقر بالنصب على أنها خبر ما النافية ويجوز الرفع على لغة تميم وفى رواية عُقيل " ما أحد أحق به من أهلى ، ما أحد أحوج إليه منى " .

قوله " فضحك النبى ﷺ حتى بدت أنيابه " وفى رواية " حتى بدت نواجذه" ويحمل ما ورد فى صفته ﷺ أن ضحكه كان تبسماً على غالب أحواله وقيل كان لا يضحك إلا فى أمر يتعلق بالآخرة فإن كان فى أمر الدنيا لم يزد على التبسم ، وأما سبب ضحكه ﷺ فإنه كان من تباين حال الرجل حيث جاء خائفاً على نفسه راغباً فى فدائها مهما أمكنه ، فلما وجد الرخصة طمع فى أن يأكل ما أعطيه من الكفارة ، **وقيل** ضحك من حال الرجل فى مقاطع كلامه وحسن تأتيه وتلطفه فى الخطاب وحسن توسله فى توصله إلى مقصوده .

قوله " ثم قال أطعمه أهلك " وفى رواية " أطعمه عيالك " وفى رواية "خذها وكلها وأنفقها على عيالك" وفى رواية "عد به عليك وعلى أهلك" .

قـــال ابـــن دقيق العيد : تباينت فى هذه القصة المذاهب **فقيل** : إنه دل على ســقوط الكفارة بالإعسار المقارن لوجوبها لأن الكفارة لا تصرف إلى النفس ولا إلـــى العــيال ، ولم يبين النبى ﷺ استقرارها فى ذمته إلى حين يساره ، وهو أحد قولى الشافعية وجزم به عيسى بن دينار من المالكية .

وقال الأوزاعى: يستغفر الله ولا يعود، ويتأيد ذلك بصدقة الفطر حيث تسقط بالإعســـار المقـــارن لسبب وجوبها وهو هلال الفطر لكن الفرق بينهما أن صدقة الفطر لها أمد تنتهى إليه ، وكفارة الجماع لا أمد لها فتستقر فى الذمة ، وليس فى الخبر ما يدل على إسقاطها بل فيه ما يدل على استمرارها على العاجز .

وقـــال الجمهور: لا تسقط الكفارة بالإعسار والذى أذن له فى التصرف فيه ليس على سبيل الكفارة ، ثم اختلفوا **فقال الزهرى** : هو خاص بهذا الرجل ، وإلى هــذا نحـــا إمام الحرمين ، ورد بأن الأصل عدم الخصوصية ، **قال بعضهم** : هو منسوخ ولم يبين قائله ناسخة .

وقيل : المراد بالأهل الذين أمر بصرفها إليهم من لا تلزمه نفقته من أقاربه ، وهو قول بعض الشافعية ، وضعف بالرواية الأخرى التى فيها عيالك، وبالرواية المصـــرحة بالإذن فى الأكل من ذلك **وقيل**: لما كان عاجزاً عن نفقة أهله جاز له أن يصـــرف الكفـــارة لهم ، وهو ظاهر الحديث وهو الذى حمل أصحاب الأقوال الماضية على ما قالوه بأن المرء لا يأكل من كفارة نفسه .

قـــال الشيخ ابن دقيق العيد: وأقوى من ذلك أن يجعل الإعطاء لا على جهة الكفارة بل على جهة التصدق عليه وعلى أهله بتلك الصدقة لما ظهر من حاجتهم ، وأمـــا الكفـــارة فلـــم تسقط بذلك ولكن ليس استقرارها فى ذمته مأخوذاً من هذا الحديث وأما ما اعتلوا به من تأخير البيان فلا دلالة فيه لأن العلم بالوجوب قد تقدم ، ولم يرد فى الحديث ما يدل على الإسقاط لأنه لما أخبره بعجزه ثم أمره بإخراج العـــرق دل على أن لا سقوط عن العاجز ولعله أخر البيان إلى وقت الحاجة وهو القدرة وقد ورد على ما يدل على إسقاط الكفارة أو على إجزائها عنه بإنفاقه إياها على عياله وهو قوله فى حديث على " وكله أنت وعيالك فقد كفر الله عنك " ولكنه ضعيف لا يحتج بما انفرد به .

قـــال الحـــافظ ابـــن حجر : والحق أنه لما قال له ﷺ خذ هذا فتصدق به لم يقبضـــه بل اعتذر بأنه أحوج إليه من غيره فإذن له حينئذ فى أكله فلو كان قبضه لملكـــه ملكـــاً مشـــروطاً بصفة وهو إخراجه عنه فى كفارته فينبنى على الخلاف المشهور فى التمليك المقيد بشرط لكنه لما لم يقبضه لم يملكه ، فلما أذن له ﷺ فى إطعامـــه لأهلـــه وأكلـــه منه كان تمليكاً مطلقاً بالنسبة إليه وإلى أهله وأخذهم إياه بصـــفة الفقـــر المشـــروحة وقد تقدم أنه كان من مال الصدقة وتصرف النبى ﷺ تصـــرف الإمـــام فى إخراج مال الصدقة ، واحتمل أنه كان تمليكاً بالشرط الأول ومـــن ثم نشأ الإشكال والأول أظهر فلا يكون فيه إسقاط ولا أكل المرء من كفارة نفسه ولا إنفاقه على من تلزمه نفقتهم من كفارة نفسه .

فضيلة ادكتور/ بعد الذى مر من أقوال فى شان الكفارة وما الذى يرشد إليه الحديث ؟

أقــول : إن الرجل لم تسقط عنه الكفارة بالإعسار وأن ما أعطاه النبى ﷺ لم يكن صـــدقة ولكن لما كان رسول الله ﷺ هو الإمام الأعظم وهو الراعى وهذا الرجل مـــن رعيـــته وقد وقع فى المعصية وليس لديه ما يكفر به صحة من حيث الصوم ومالاً من حيث الإطعام قام الإمام الأعظم والراعى الأكبر بإعطائه ما يفتك به من الحد الذى وقع عليه وهذا الأمر جائز من الراعى فى حق رعيته حيث إنه فى حكم سداد الدين ودين الله أولى بالقضاء، وحيث إن الرجل ممن يجوز فى حقه صرف الصـــدقات والـــزكاة رأى الإمام الأعظم أن تصرف له ولأهل بيته وهو جائز بل واجب على الراعى فى شأن المعسرين من رعيته وحيث إن الرجل أعلن عن فقرة وحاجـــته كان أدعى لإجابة طلبه وهو ما فعله سيد العالمين وإمام النبيين محمد ﷺ وأمـــا مـــا أكثر فيه علمائنا الأفاضل فإنما هو لمحاولة التحرى واجتهاد فهم النص والله الهادى .

إذا مما يستفاد من الحديث الآتى :

١- اســـتدل علـــى جـــواز إعطاء الصدقة جميعها فى صنف واحد.وفيه خلاف : حـــيث إنـــه لـــم يتعين أن ذلك القدر هو جميع ما يجب على ذلك الرجل الذى أحضر التمر .

٢- ويســـتدل بـــه علـــى ســـقوط قضاء اليوم الذى أفسده المجامع اكتفاء بالكفارة إذ لـــم يقـــع التصـــريح فـــى الصـــحيحين بقضـــائه وهـــو محكى فى مذهب الشـــافعى ، وعـــن الأوزاعـــى يقضـــى إن كفـــر بغيـــر الصـــوم وهو وجه للشافعية أيضاً .

٣- ويؤخذ من قوله"صم يوماً "عدم اشتراط الفورية للتنكير فى قوله"يوماً " .

٤- السؤال عن حكم ما يفعله المرء مخالفاً للشرع والتحدث بذلك لمصلحة معرفة الحكم .

٥- استعمال الكناية فيما يستقبح ظهوره بصريح لفظه لقوله واقعت أو أصبت على أنه قد ورد أنه من تصرف بعض الرواة .

٦- وفيه الرفق بالمتعلم والتلطف فى التعليم والتأليف على الدين والندم على المعصية واستشعار الخوف .

٧- وفيه الجلوس فى المسجد لغير الصلاة من المصالح الدينية كنشر العلم .

٨- وفيه جواز الضحك عند وجود سببه .

٩- وإخبار الرجل بما يقع منه مع أهله للحاجة .

١٠- وفيه الحلف لتأكيد الكلام .

١١- وقبوله قول المكلف مما لا يطلع عليه إلا من قبله لقوله فى جواب قوله أفقر منا أطعمه أهلك ويحتمل أن يكون هناك قرينه لصدقه .

١٢- وفيه التعاون على العبادة والسعى فى إخلاص المسلم وإعطاء الواحد فوق حاجته الراهنة وإعطاء الكفارة أهل بيت واحد .

١٣- وأن المضطر إلى مابيده لا يجب عليه أن يعطيه أو بعضه لمضطر آخر .

الخامس والثلاثون

(أحب الدين عند الله)

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأةٌ قال : من هذه؟ قالت : فلانة، تذكرُ مِنْ صلاتها. قال : مَهْ، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتى تملُّوا وكان أحبَّ الدين إليه ما دام عليه صاحبُهُ"

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم توضيح المعنى العام، وبيان ما ورد فى الحديث من استفهام؟

خلق الله المرأة شريكة للرجل فى الحياة وشئونها، وشقيقة له فى التشريع، فقدعليها فُرض على الرجل إلا فى حدودٍ قضى الله لها ما تنفرد به لطبيعة خلقتها وتكوينها، والله لم يكلفت نفساً إلا وسعها، وأن كسبها لها خير أو شر "لها ما كسبت ولعيها ما اكتسبت، كما أن أعمال الخير لا تتناهى، وكذلك أعمال الشر، ولذا فإن للشر متبتلين، كما أن للخير متبتلين، والله لا يريد من عباده المؤمنين ترك الحياة برمتها والانقطاع لعمل الخير انقطاعاً يعطل عن بقية خيرات الحياة وصالحها، فإن أمام كل تزيُّد فى أمر تضييع لأمر آخر وخير الأمور أوساطها، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ، فإن الهمة فى الاستمرار والدوام، وأما التهور فهو النشطة للفعل مرة أو مرتين ثم الانفلات وعدم العود إلى الخير ولذا ينبهنا الحبيب، أن "دين الله متين، فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" أى لا نكون كذلك الذى ركب مطيته فأوجعها ضرباً ولم يصبر عليها فأرهقها، فماتت منه فى الطريق فلم يصل إلى مطلوبه، ولم يبق على مركوبه، ونفس الإنسان مطيته إن أخذها باللين والهدوء والإقناع وصبر عليها استقامت ولانت وقامت بما تريد، وإن أرهقها أضاعها، ونحن فى حياتنا إذا أردنا أن نقوم بتدريب على حمل الأثقال مثلاً من المستحيل أن نقوم بحمل حجم كبير من مرة واحدة بل بالتتابع والمداومة على التمرين، ونبينا ﷺ هو المعلم والموجه لنا، ولذا كان يتابع أصحابه ويراقبهم فإن تزيَّد أحدهم أو أفكر فى ذلك حذر النبى وأخذ على اليد فإنه لا يحب تلك الأنواع والمتهورة فى العبادة والطاعة، إنه يريد استقامة بلا ملامة، وهذا الحديث الذى معنا يبين لنا مدى حرص النبى ﷺ على الاعتدال فى الطاعة يستوى فى ذلك الرجال والنساء، تروى لنا السيدة عائشة أن النبى ﷺ دخل عليها أى فى حجرتها وعندها امرأةٌ فقال : من هذه ؟

فضيلة الدكتور / هنا استفهام ما المقصود منه ؟

نقول : هو استفهام عن مفرد عاقل يُطلب تعيينه أى النبى طلب معرفة اسم تلك المرأة التى تجلس مع السيدة عائشة وفى هذا الاستفهام فائدة مهمة وهى تفقده ﷺ لحال نسائه وأصدقائهن ومعرفة ما يجرى فى بيته من أمور الحياة والعلاقات الاجتماعية، حيث إن كثيراً من الصداقات قد تكون مجلبة للبلاء والخراب وإفساد البيوت على أهلها، كما هو واضح ومعلوم تراه العين. قالت السيدة عائشة "قلت فلانة" هذه اللفظة كناية عن كل علم مؤنث "تذكر من صلاتها" أى أن السيدة عائشة تذكر لرسول الله أن هذه المرأة وهى الحولاء بنت تويت كثيرة الصلاة، وأنها لا تنام بالليل حيث إنها تقوم الليل كله ويؤكد ذلك الرواية الأخرى للسيدة عائشة حيث تقول "كانت عندى امرأة، فلما قامت قال رسول الله ﷺ من هذه يا عائشة؟ قلت: يا رسول الله هذه فلانة، وهى أعبد أهل المدينة. فقال رسول الله ﷺ : مه ؟ قال الجوهرى هى كلمة مبنية على السكون، وهى اسم سمى به الفعل والمعنى اكفف ويقال مهمهته إذا زجرته، فإن وصُلت نونت فقلت مهٍ مهٍ، وقال الداودى: أصل هذه الكلمة " ماهذا " كالإنكار فطرحوا بعض اللفظة فقالوا : مه فصيروا الكلمتين كلمة، وهذا الجر يحتمل أن يكون لعائشة، والمراد نهيها عن مدح المرأة بما ذكرت، ويحتمل أن يكون المراد النهى عن ذلك الفعل، وقد أخذ بذلك جماعة من الأئمة فقالوا: يكره صلاة جميع الليل يقول ابن المنير: فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع فى الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل فى العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدى إلى الملال، أو المبالغة فى التطوع المفضى إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلى الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه فى آخر الليل فنام عن صلاة الصبح فى جماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة، وفى حديث محجن بن الأذرع عند أحمد "إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخير دينكم اليسرة" وفيه إشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة فى موضع الرخصة تنطع كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضى به استعماله إلى حصول الضرر.
ولذا قال ﷺ : "عليكم بما تطيقون" أى اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، حيث إن منطوقه يقتضى الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضى النهى عن تكلف ما لا يطاق. وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون هذا خاصاً بصلاة الليل، ويحتمل أن يكون عاماً فى الأعمال الشرعية.
نقول: سبب وروده خاص بالليل، ولكن اللفظ عام، وهو المعتبر، وقد عبر بقوله: "عليكم" مع أن المخاطب النساء طلباً لتعميم الحكم، فغلبت الذكور على الإناث

"فوالله" فيه جواز الحلف من غير استحلاف، وهو يستحب إذا كان فى تفخيم أمر من أمور الدين أو حث عليه أو تنفير من محذور. قوله "لا يمل الله حتى تملوا" بفتح الميم فى الموضعين، والملال استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى باتفاق، وإنما أطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كما قال الله "وجزاء سيئة سيئة مثلها". قال القرطبى: وجه مجازه أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالاً عبر عن ذلك بالملال من باب تسمية الشيء باسم سببه. وقال الهروى : معناه لا يقطع عنكم فضلة حتى تملوا سؤاله فتزهدوا فى الرغبة إليه، وقال غيره : معناه لا يتناهى حقه عليكم فى الطاعة حتى يتناهى جهدكم، وهذا كله بناءً على أن "حتى" على بابها فى انتهاء الغاية وما يترتب عليها من المفهوم وقال المازرى: قيل إن حتى هنا بمعنى الواو، فيكون التقدير لا يمل وتملون، فنفى عنه الملل وأثبته لهم، قال: وقيل حتى بمعنى حين، والأول أليق وأجرى على القواعد، وأنه من باب المقابلة اللفظية، ويؤيده ما وقع فى بعض طرق حديث عائشة بلفظ "اكلفوا من العمل ما تطيقون" فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل. قوله "وكان أحب الدين إليه" أى إلى رسول الله ﷺ لأن ما كان أحب إلى الله كان أحب إلى رسوله ﷺ يقول الإمام النووى: بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله، بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة. وقال ابن الجوزى: إنما أحب الدائم لمعنين أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، فهو متعرض للذم، ولهذا ورد الوعيد فى حق من حفظ آية ثم نسيها، وإن كان قبل حفظها لا يتعين عليه.
ثانيها: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازم الباب فى كل يوم وقتاً ما كمن لازم يوماً كاملاً ثم انقطع، ولذا فإن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل.

فضيلة الدكتور / ما الذى يرشد إليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق :

١- تفقد رسول الله ﷺ لحال نسائه ومناقشاتهم فى أمور الحياة ومصالح العباد.
٢- جواز مدح المرأة لغيرها من النساء أمام زوجها إذا دعت المصلحة لذلك.
٣- جواز إخبار ولى الأمر بما يقع من أحوال رعيته، سواء كان خيراً أو شراً، فإن كان خيراً اطمأن وإن كان شراً أصلح وغير.
٤- جواز ذكر بعض أعمال الخير وعرضها على أهل الفضل من باب تصحيح المسار إذا كان فيها خطأ أو الدوام الاستمرار عند الإقرار بصحتها.

٥- أن التوسط في الأمور كلها محمود ومرغوب منه وأن التزيد مرفوض ولو كان في طاعة.
٦- بيان لطف الله بعباده، وأنه يقبل القليل قبل الكثير.
٧- أن أحب الدين إلى الله ورسوله ما دام عليه صاحبه.

السادس والثلاثون

(تلعُّب الشيطان ببنى الإنسان)

روى الإمام أحمد عن جابر قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: رأيت كأن عنقى ضُربتْ. قال : لم يحدث أحدكم بتَلعُّبِ الشيطان ؟.

فضيلةالدكتور/ نريد بيان المعنى العام ؟

نقول وبالله التوفيق:يروى الصحابى جابربن عبدالله رضى الله عنهما هذه الواقعة فيقول : «جاء أعرابى النبى ﷺ (فقال): يا رسول الله (رأيت) فى المنام (كأن عنقى ضربت) ولفظ مسلم"كأن رأسى ضرب، فتدحرج فاشتددت على أثره» وفى لفظ وعند مسلم عن جابر أيضاً عن رسول الله ﷺ «أنه قال لأعرابى جاءه فقال : إنى حلمت أن رأسى قطع، فأنا أتبعه، فزجره النبى ﷺ» وفى لفظ آخر «يا رسول الله ! رأيت فى المنام كأن رأسى قطع، فضحك» وفى آخر «رأيت البارحة فيما يرى النائم؛ كأن عنقى ضربت وسقط رأسى، فاتبعته فأخذته فأعدته» (قال) رسول الله ﷺ للرجل بعد ما زجره (لم) اللام للتعليل؛ وما استفهامية، فهو استفهام إنكارى، حذفت منها الألف لدخول حرف الجر عليها، كـ "عم يتساءلون ؟ فيم كنتم ؟ لم تعبدُ مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً" ونظائرها. والسر فى حذف الألف من ما الاستفهامية عند حرف الجر إرادة مشاكلة اللفظ للمعنى، فحذفوا الألف، لأن معنى قولهم : فيم ترغب ؟ فى أى شيء ؟ إلام تذهب ؟ أى إلى أى شيء ؟ وحتام لا ترجع ؟ أى إلى أى غاية تستمر ؟ فحذفوا الألف مع الجار، ولم يحذفوها فى حال النصب والرفع، كيلا تبقى الكلمة على حرف واحد، وإذا اتصل بها حرف الجر؛ أو اسم مضاف اعتمدت عليه؛ لأن الخافض والمخفوض بمنزلة كلمة واحدة. وربما حذفوا الألف فى غير موضع الخفض؛ ولكن إذا حذفوا الخبر فيقولون: مه يا زيد ؟ أى ما الخبر وما الأمر ؟ فلما كثر الحذف فى المعنى كثر فى اللفظ؛ ولكن لابد من ها السكت ليقف عليها.

(يحدث أحدكم) معشر الناس (بتلعب الشيطان) الذى هو إبليس، ومن زاد خبثه من ذريته. مأخوذ من شطن إذا بعد، لأنه قد طرد وبعد عن رحمة الله ورضاه، أو من شاط إذا احترق، لأنه يحرق بنار جهنم، وبنار الغضب والإبعاد. ولفظ مسلم «لا تخبر بتلعب الشيطان بك فى المنام» وفى لفظ له «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك فى منامك» وفى آخر «إذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس» واللعب ضد الجد، يقال: لعبَ -كسمع- لعْبا ولعِبا ولِعبًا وتلعاباً ولعَّب وتلعَّب وتلاعب. وفى الحديث «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً جاداً» أى يأخذه، ولا يريد سرقته؛ ولكن يريد إدخال الهم والغيظ عليه، فهو لاعب فى السرقة، جاد فى الأذية. والمراد هنا

بتلعب الشيطان، أنه يريه فى منامه ما يحزنه، ويدخل عليه الهم والغيظ، ويخلط عليه فى رؤياه، فهو يتلاعب به، يقال لكل من عمل عملا لا يجدى عليه نفعاً: إنما أنت لاعب. وفى حديث الاستنجاء: «إن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم» أى أنه يحضر أمكنة الاستنجاء ويرصدها بالأذى والفساد؛ لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله، ويكشف فيها العورات، فأمر بسترها، والامتناع من التعرف لنظر الناظرين ومهاب الرياح ورشاش البول، وكل ذلك من لعب الشيطان.

فضيلة الدكتور/ لماذا زجر النبى الرجل ونهى عن التحديث بمثل هذه الأحلام ؟

نقول وبالله التوفيق: يحتمل أن النبى ﷺ علم أن منام هذا الرجل من الأضغاث بوحى، أو بدلالة من المنام دلته على ذلك، أو على أنه من المكروه الذى هو من تخويف الشيطان، كما أشار إلى ذلك النووى والمازرى وغيرهما. وأما المعبرون فيتكلمون فى كتبهم على رؤيا قطع الرأس، ويجعلونه يدل على مفارقة الرجل ما هو فيه من النعم، أو مفارقة قومه، أو زوال سلطانه، أو تغير حاله فى جميع أموره؛ إلا أن يكون رقيقاً فيدل على عتقه، أو مريضاً فيدل على شفائه، أو مديوناً فيدل على قضاء دينه، أولم يحج فيدل على أنه يحج، أو يكون مغموماً فيدل على كشف غمه، أو مهموماً فيدل على تفريج همه، أو خائفاً فعلى أمنه .

فضيلة الدكتور / هل وردت أحاديث فى الرؤيا الصالحة ؟وما هى حقيقة الرؤيا؟

نقول وبالله التوفيق: جاء فى الرؤيا الصالحة عن النبى ﷺ عدة أحاديث منها: ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى من حديث أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكره فلينفث حين يستيقظ عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره»، وأخرج أحمد وابن ماجه عن ابن عمر ، و أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهم عن النبى ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة»، وفى الحديث الآخر عنه ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى، ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبى هريرة، وأحمد عن أبى رزين العقيلى، والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنهم بأسانيد صحيحة. وفى «مسند»أحمد وسنن الترمذى وابن ماجة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «الرؤيا ثلاث؛ فبشرى من الله، وحديث النفس، وتخويف الشيطان. فإن رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقصها إن شاء، وإن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد، وليقم فليصلِّ» زاد فى رواية: «وليستعذ بالله فإنها لا تضره»، وأكره الغل، أى رؤيا الغل؛ بأن يرى نفسه مغلولاً فى النوم، وهو ما كان فى العنق؛

لأنه إشارة إلى تحمل دين أو مظالم أو كونه محكوماً عليه. قال: وأحب القيد يراه الإنسان فى المنام فى رجليه؛ لأن القيد ثبات فى الدين. وعند ابن ماجة من حديث عوف بن مالك مرفوعاً: «الرؤيا ثلاثة؛ منها تهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل فى يقظته فيراه فى نومه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

وأما عن حقيقة الرؤيا فهناك آراء للعلماء: قال ابن العربى: الرؤيا إدراكات يلقيها الله تعالى فى قلب العبد على يد ملك أو شيطان، إما بأسمائها أى حقيقتها، وإما بكناها، وإما تخليطاً. ونظيرها فى حال اليقظة، الخواطر الواردة على فكر الإنسان وقلبه، فإنها تأتى على نسق، وقد تأتى مسترسلة غير محصلة.

وقال المازرى: كثر كلام الناس فى حقيقة الرؤيا، حتى قال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل، ولا يقوم عليها البرهان، وهم لا يصدقون بالسمع، فاضطربت أقوالهم. فالأطباء ينسبون الرؤيا إلى الأخلاط الأربعة، وهو أمر لا دليل عليه، والفلاسفة يزعمون أن صور ما يجرى فى الأرض هى فى العالم العلوى كالنقوش فما حاذى بعض منها انتقش فى قلب النائم. وقال بعضهم : هى اعتقادات يخلقها الله فى النائم، كما يخلقها فى قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها علماً على أمور أخرى، فيخلقها فى ثانى الحال. وتلك الاعتقادات تارة تقع بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسرّ، أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضرّ. وفى الحديث عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه مرفوعاً (رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه فى المنام). رواه الطبرانى والضياء وكذا الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول».

وقد فسره بعض السلف بنحو ما تقدم قال: بأن يخلق الله فى قلبه إدراكاً كما يخلقه فى قلب اليقظان. وبه فسروا قوله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب».

قال بعض السلف: «من وراء حجاب» فى منامه. فإذا طهرت النفس من الرذائل، انجلت مرآة القلب، وقابل اللوح المحفوظ فى النوم، وانتقش فيه من عجائب الغيب، وغرائب الأنباء.

فمن الصديقين من يكون له فى منامه مكالمة ومحادثة، ويأمره الله وينهاه فى المنام. ففى «أعلام الموقّعين»: سئل ﷺ عن قوله تعالى: (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فقال: «هى الرؤيا الصالحة، يراها الرجل؛ أو ترى له». رواه أحمد ، وفى حديث أبى هريرة عند البخارى، وابن عباس عند مسلم: «لم يبق بعدى من النبوة

إلا المبشرات؛ الرؤيا الصالحة». ومعنى ذلك، أن الرؤيا الصالحة؛ تجيء في الصحة والبيان على موافقة النبوة، لأن النبوة انقطعت بموته ﷺ. وقيل: المعنى؛ أنها جزء من علمها. لأنها وإن انقطعت؛ فعلمها باق. وقيل: لأنها تشابهها في صدق الأخبار عن الغيب. وقيل: المعنى؛ أن مدة الوحي كانت ثلاثة وعشرين سنة، منها ستة أشهر منام، وذلك جزء من ستة وأربعين. قال الحافظ السيوطي: وهذا عندى من الأحاديث المتشابهة، التى نؤمن بها، ونكل معناها ،المراد إلى قائله ﷺ: ولا نخوض فى تعيين الجزء المشار إليه بقوله ﷺ: الرؤيا جزء من ستة وأربعين. وأقل ما ورد في ذلك جزء من ستة وعشرين. وأكثرها جزء من ستة وسبعين، وبين ذلك أربعين، وأربعة وأربعين، وخمسة وأربعين، وستة وأربعين، وسبعة وأربعين، وتسعة وأربعين وخمسين وسبعين.

وأصحها مطلقاً؛ ستة وأربعين، ويليه السبعون. وجمع بعضهم بين الروايات، بأن الاختلاف بحسب مراتب الأشخاص. قال القرطبي: المسلم الصادق الصالح يناسب حاله حال الأنبياء، وهو الاطلاع على الغيب بخلاف الكافر والفاسق والمخلط، كذا قال: **نقول:** بل يشابه حال الأنبياء في صحة رؤياه وصفاء خاطره واتصال روحه في حال نومه بعالم الملكوت

وماهى آداب الرؤيا الصالحة وغيرها؟.

نقول :أما الصالحة؛ فلها ثلاثة آداب: أن يحمد الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدث بها، لكن لمن يحب دون من يكره.

وأما آداب الرؤيا المكروهة، فستة أشياء:

الأول: أن يتعوذ بالله من شرها.

الثانى: أن يتعوذ بالله من الشيطان. لحديث: «إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتحول وليتفل عن يساره ثلاثاً وليسأل الله من خيرها وليتعوذ بالله من شرها» رواه ابن ماجة بإسناد حسن من حديث أبى هريرة مرفوعاً يعنى بقول: اللهم إني أعوذ بك من شر ما رأيت ومن شر الشيطان.

وفي حديث جابر رضى الله عنه مرفوعاً: «وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً» رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة.

أى بأن يقول: «أعوذ بالله من شر الشيطان أو من شرها لأنها بواسطته».

الثالث: أن يتفل حين ينتبه من نومه عن يساره ثلاثاً، أى يبصق عن جانبه الأيسر ثلاث مرات بصقاً خفيفاً كراهية لما رأى وتحقيرا للشيطان الذى حضر تلك الرؤيا؛ وخص اليسار لأنه محل الأقذار، والتثليث للتأكيد.

وقد وردهذا فى عدة أحاديث فى «الصحيحين» وغيرهما، عن عدة من الصحابة. وفى آخر الحديث فإنه إذا فعل ذلك لا تضره، أى تلك الرؤيا.

الرابع: أن يتحول عن جنبه الذى كان مضجعاً عليه حين رأى ذلك، إلى جنبه الثانى تفاؤلا بتحويله وانتقاله، ولمجانبة مكان الشيطان، أن تتجول الرؤيا من المكروه إلى المحبوب، وتنتقل من المضر إلى المسر.

وقد جاء ذلك فى عدة أحاديث، فى مسلم وغيره، ففى حديث جابر عند مسلم مرفوعاً: «وليتحول عن جنبه الذى كان عليه».

الخامس: أن لا يذكرها لأحد أصلاً، وقد جاء ذلك فى عدة أحاديث فى «الصحيحين» وغيرهما. ففى حديث أبى قتادة عندهما فى الرؤيا التى يكرهها «ولا يخبر بها أحداً». وفى حديث أبى قتادة أيضاً عندهما: «ولا يحدث بها أحداً فإنها لا تضره». وفى حديث أبى سعيد الخدرى عند البخارى: «ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره». وتقدم نهى النبى ﷺ الرجل الذى تحدث برؤيا ضرب عنقه.

والسر فى ذلك النهى، لأن المحدَّث بها، ربما فسرها بمكروه على ظاهر صورتها، ويكون ذلك محتملاً، فيقع بتقدير الله تعالى: «فإن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبَّر، فإن عبرت وقعت» كما فى حديث أبى رزين رضى الله عنه مرفوعاً رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ومعناه أن الرؤيا إذا كانت، محتملة وجهين، فعبرت بأحدهما وقعت، على قرب تلك الصفة.

قال أهل التعبير: قد يكون ظاهر الرؤيا مكروهاً، وتعبيرها محبوب، وعكسه.

وقال الخطابى من قوله ﷺ: «الرؤيا على رجل طائر». هذا مثل، ومعناه أنه لا يستقر قرارها ما لم تفسَّر. وقد وردأيضا أنها على رجل قدَر جار، وقضاء ماضٍ من خير أو شر، وأن ذلك هو الذى قسمه الله تعالى لصاحبها. من قولهم: اقتسموا داراً فطار سهم فلان فى ناحيتها، أى وقع سهمه، وخرج. وكل حركة من كلمة أو شيء يجرى لك فهو طائر. والمراد أن الرؤيا هى التى يعبرها المعبر الأول، فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت، كما يسقط الشيء الذى يكون على رجل الطائر بأدنى حركة.

قال الطيبى: التركيب من باب التشبيه التمثيلى. شبه الرؤيا بالطائر السريع طيرانه، وقد علق على رجله شيء يسقط بأدنى حركة.

فينبغى أن يتوهم للمشبَّه حالات متعددة مناسبة هذه الحالات وهى: أن الرؤيا مستقرة على ما يسوقه التقدير إليه من التعبير، فإذا كانت فى حكم الواقع قيض وألهم من يتكلم بتأويلها على ما قدر فيقع سريعاً، وإن لم تكن فى حكمه لم يقدر لها من

يعبرها. وقال عبد الغافر الفارسي في «مجمع الغرائب»: أراد أنها معلقة بما قدره الله وقسمه، وطيره له، ما لم تعبر، أى لا يستقر تأويلها حتى تعبر، والله أعلم.

الخامس: مما يطلب عند الرؤيا المكروهة الصلاة.

ففى «الصحيحين» من حديث أى هريرة رضى الله عنه: «وإذا رأى أحدكم ما يكره، فيلقم فليصل ولا يحدث بها الناس». وفى لفظ البخارى: «فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل».و**الحكمة** فى ذلك: أن فى الصلاة التحرز عن المكاره، والالتجاء من كل أمر ينوب العبد من المخاوف.

السادس: الاستبشار بها. وفى حديث أبى قتادة رضى الله عنه مرفوعاً عندهما: «فإذا رأى رؤيا حسنة فليُبْشر ولا يخبر بها إلا من يحب». قوله فليُبْشر، هو بضم المثناة تحت وسكون الموحدة من البشارة. وروى بفتح الياء المثناة تحت، وسكون النون، من النشر وهو الإشاعة. قال القاضى عياض: وهو تصحيف زاده بعضهم.

سابعاً: وهى قراءة أية الكرسى، ولم يذكر لذلك مستنداً فإن كان أخذه من عموم حديث أبى هريرة، ولا يقربك شيطان؛ فيتجه. وينبغى أن يقرأها فى صلاته. وبالله التوفيق.

السابع والثلاثون

(البكاء على الميت وأحكامه)

عن جابربن عبدالله رضى الله عنه قال : جيء بأبى يوم أحد، فوضع بين يدى رسول الله ﷺ وهو مسجىً، فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه وينهانى قومى، فسمع باكية – وقال مرة : صوت صائحة – قال: من هذا ؟ قالوا : ابنة عمرو، أو أخت عمرو، قال: فلم تبكين ؟ أو قال: أتبكين ؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه.صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فضيلة الدكتور / من عبد الله ؟ وفى أى مكان جبل أحد ومتى كانت غزوة أحد نود الإيضاح والتفصيل لهذا الحديث ؟٠

نقول وبالله التوفيق : قول جابر رضى الله : (جيء) بالبناء للمجهول من جاء (بأبى) وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى الخزرجى، شهد عبد الله رضى الله عنه العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء، وشهد بدراً، وقتل شهيداً (يوم) غزوة (أحد) وأحد هو جبل أحمر بينه وبين المدينة المنورة أقل من فرسخ، وهو فى شماليها؛ وقد قال ﷺ : «أحد جبل يحبنا ونحبه». رواه الشيخان وغيرهما عن عدة من الصحابة – رضى الله عنهم – منهم أنس وغيره.

وكانت غزوة أحد التى استشهد عبد الله والد جابر – رضى الله عنهما – فيها فى شوال سنة ثلاث من الهجرة.

قال جابر رضى الله عنه : (فوضع) أبى بعد أن جيء به (بين يَدىْ رسول الله ﷺ وهو) أى أبى، أى والحال أنه (مسجى) أى مغطى قال جابر - رضى الله عنه – (فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه) أى وجه أبى لأنظر إليه (وينهانى) عن ذلك (قومى) يعنى كراهية أن ينظر جابر لأبيه؛ لأنه كان قد مثّل به المشركون، فقد جاء أنهم مثّلوا بجميع الشهداء إلا حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة ، فلم يمثّلوا به؛ لأن أباه كان مع المشركين ، فتركوه لأجله.

روى البخارى من حديث جابر – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ، ثم يقول : أيُّهم أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه فى اللحد، وقال : أنا شهيد على هؤلاء، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصل عليهم، ولم يغسلهم.

قال جابر كفن أبى عمي فى نمرة واحدة، يعنى لأن ثيابهم سلبها المشركون عنهم.

وفى «الصحيحين والنسائى» وغيرهما: من حديث جابر – رضى الله عنه – قال : أصيب أبى يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكى، وجعلوا ينهوننى،

ورسول الله ﷺ لا ينهاني.

وفى رواية فيها عن جابر: لما كان يوم أحد جيء بأبى مسجى قد مثل به، وفى أخرى جيء بأبى يوم أحد مجدعاً، فوضع بين يدى النبى ﷺ بنحوه (فسمع) النبى ﷺ (باكية، وقال مرة : صوت صائحة) تبكى على أبى عبد الله بن عمرو (قال: من هذا ؟) الباكي (قالوا :) هى (ابنة عمرو) أخت عبد الله عمة جابر (أو) قالوا : (أخت عمرو) فتكون عمة عبد الله أبى جابر.

وفى «الصحيحين» وغيرهما، من حديث جابر رضى الله عنه، وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه (قال : فلم) استفهام إنكارى دخلت عليه اللام الجارة فحذفت الألف من ما الاستفهامية (تبكين أو قال :) ﷺ (أتبكين ؟).

وفى «الصحيحين» تبكيه أولا تبكيه (فما زالت الملائكة تظله) من الشمس (بأجنحتها) تكرمة له وإظهاراً لفضله (حتى) أى إلى أن (رفعتموه) من المكان الذى صرع فيه.

فضيلة الدكتور/ هل يجوز البكاء على الميت نريد إيضاحا كاملا فى هذا الحكم ؟

نقول : فى هذا الحديث جواز البكاء بعد الموت؛ لأن جابراً رضى الله عنه قد بكى على أبيه بعد موته، فلم ينهه النبى ﷺ ، وهذا مذهب الإمام أحمد، وأبى حنيفة، واختاره أبو بكر الشيرازى، وكرهه الشافعى وكثير من أصحابه بعد الموت، ورخصوا فيه قبل خروج الروح، واحتجوا بحديث جابر بن عتيك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت، فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاسترجع وقال : غلبنا عليك يا أبا الربيع، فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكنهن، فقال ﷺ : دعهن، فإذا وجب فلا تبكيَنَّ باكية، قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت. رواه الإمام أحمد، وأبو داود وهذا لفظه، والنسائى، وابن ماجه.

وبحديث ابن عمرو رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه. متفق عليه. وهذا إنما هو بعد الموت، وأما قبله فلا يسمى ميتاً. قالوا : والفرق بين ما قبل الموت وبعده، أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذراً، فإذا مات انقطع الرجاء وأبرم القضاء. فلا ينفع البكاء.

واحتج للأول مع حديث جابر بحديث ابن عمر – رضى الله عنهما – أنه ﷺ قال : إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم. رواه البخارى وهذا لفظه، ومسلم.

وفى البخارى من حديث أنس – رضى الله عنه – قال : شهدنا بنتاً لرسول الله

ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر، قال : فرأيت عينيه تدمعان.

وفى حديث أنس أيضاً، فى قصة موت إبراهيم عليه السلام ابن النبى ﷺ ؛ إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا. متفق عليه.

وفى قصة استشهاد جعفر وأصحابه، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وفيه : وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان. رواه البخارى. وفى حديث ابن عباس فى موت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وبكاء النساء، وأن عمر جعل يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: مهلاً يا عمر، ثم إياكن ونعيق الشيطان، ثم قال ﷺ : أنه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان؛ فمن الشيطان. رواه الإمام أحمد.

وعن عائشة الصديقة – رضى الله عنها – أن سعد بن معاذ – رضى الله عنه – لما مات حضرة رسول الله ﷺ ، وأبو بكر، وعمر – رضى الله عنهما – قالت: فوالذى نفسى بيده؛ إنى لأعرف بكاء أبى بكر، من بكاء عمر، وأنا فى حجرتى. رواه الإمام أحمد.

وفى حديث أسماء بنت يزيد؛ فى قصة موت إبراهيم ابن النبى ﷺ ، وبكائه عليه، وقول أبى بكر وعمر: أتبكى ؟ أوما نهيتنا عن البكاء ؟ قال : ليس عن البكاء نهيت؛ ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نعمة لهو ولعب ورنة شيطان، وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب ورنة شيطان. وهذه رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم. رواه ابن ماجه. والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً.

وكذلك؛ لما ماتت رقية، بكت فاطمة بنت النبى ﷺ ، وبكت النساء بعد الموت.

وصح عن الصديق الأعظم، أنه رضى اله عنه قبّل النبى ﷺ بعد موته وبكى. وأما ما استدل به الشافعى ومن وافقه، فمحمول على البكاء الذى معه ندب ونياحة. ودعوى الشيخ مردودة؛ لأن قصة جعفر وأصاحبه، كانت فى الثامنة، وكذلك البكاء على زينب عليها السلام، فإنها إنما توفيت فى الثامنة. ومن ذلك ما فى البخارى من قول عمر رضى الله عنه : دعهن يبكين على أبى سليمان مالم يكن نقع أو لقلقة. والنقع : التراب على الرأس، واللقلقة : الصوت، وأبو سليمان : هو خالد بن الوليد رضى الله عنه. مات فى خلافة عمر رضى الله عنه. والله تعالى الموفق.

وفى الحديث؛ جواز الكشف عن وجه الميت بعد موته، وفيه تسجيته، وفيه ذكر فضائل الشخص ومناقبه، وفيه فضيلة الجهاد والشهادة. وبالله التوفيق.

الثامن والثلاثون
(زواج الثيب وفوائده)

عن جابرقال : قال لى رسول الله ﷺ :(هل نكحت ؟ قلت : نعم، قال : أبكراً أم ثيباً ؟ قلت : ثيب، قال : فهلاً بكراً تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله ! قتل أبى يوم أحد، وترك تسع بنات، فكرهت أن أجمع إليهن خرقاء مثلهن، ولكن امرأة تمشطهن وتقيم عليهن. قال أصبت).

فضيلة الدكتور / نريد الشرح والبيان للحوارالذى دار بين النبى صلى الله عليه وسلم وسيدنا جابر فى هذا الحديث مع بيان اسم المرأة التى تزوجها ؟

نقول وبالله التوفيق :يخبرنا الصحابى الجليل جابربن عبد الله رضى الحاكيا عن تفقد النبى صلى الله عليه وسلم لأحواله بعد استشهاد أبيه فقال : قال لى رسول الله ﷺ هل (نكحت ؟) أى تزوجت يا جابر (قلت : نعم) نكحت (قال : أبكراً أم ثيبا) أى نكحت بكراً أم ثيباً (قلت : ثيب) كذا بالرفع خبر مبتدأ محذوف تقديره التى تزوجتها ثيب، هكذا وقع عند أحمد، وكذا عند مسلم من طريق عطاء عن جابر، ووقع فى «الصحيحين» من طريق شعبة عن محارب عن جابر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : ما تزوجت ؟ قلت : تزوجت، وفى لفظ عندهما : هل تزوجت ؟ قلت : نعم. قال : أبكراً أم ثيباً ؟ قلت : «ثيباً» بالنصب بفعل محذوف تقديره تزوجت ثيباً كما هو موجود فى بعض روايات البخارى، بهذا اللفظ: تزوجت ثيباً، وفى لفظ فى «مسلم» عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن عبد الله «هلك» أى مات، يعنى استشهد يوم أحُد وترك تسع بنات، أو قال سبعاً، فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لى رسول الله ﷺ : يا جابر تزوجت ؟ قال : قلت : نعم، قال : ببكر أم ثيب ؟ قال : قلت : بل ثيب (قال) ﷺ : (فهلاً) تزوجت جارية (بكراً)، وفى رواية أفلا جارية بالنصب (تلاعبها وتلاعبك) زاد فى رواية فى «الصحيحين» : وتضاحكها وتضاحكك، وفى بعض روايات «مسلم» : تضاحكك وتضاحكها وتلاعبك وتلاعبها، وهو مما يؤيد أنه من اللعب، ووقع عند الطبرانى من حديث بن عجرة وفيه : وتعضها وتعضك، ووقع فى رواية لأبى عبيد : تذاعبها وتذاعبك «بالذال لامعجمة بدل اللام كذا فى «فتح البارى» قلت : والذى يظهر أنه بالذال المهملة من المداعبة وهى الممازحة والملاعبة، يقال : داعبه مازحه كما فى القاموس، وداعب لاعب، وأما بالذال المعجمة فيقال : تذعبته الجن : أفزعته ، وانذعب الماء : سال واتصل جريانه، قال فى «المطالع» : المداعبة الملاعبة، كما جاء فى الحديث تلاعبها وتداعبها، والدعابة المزح، ووقع فى رواية محارب بن دثار عن جابر كما فى

الصحيحين : «مالك وللعذارى؟» ولفظ مسلم : «فأين أنت من العذارى ولعابها» فضبط للأكثر بكسر اللام، وهو مصدر من الملاعبة يقال : لاعب لعاباً وملاعبة، مثل قاتل قتالاً ومقاتلة، ووقع فى رواية المستملى «بضم اللام» والمراد به بالريق، وفيه إشارة إلى مص لسانها، ورشف شفتيها، وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل، وليس هو ببعيد كما قال القرطبى. ويؤيد أنه معنى آخر غير المعنى الأول قول شعبة : أنه عرض ذلك على عمرو بن دينار، فقال اللفظ الموافق للجماعة، وفى رواية مسلم التلويح بإنكار عمرو رواية محارب بهذا اللفظ، ولفظه : إنما قال جابر تلاعبها وتلاعبك، فلو كانت الروايتان متحدتين فى المعنى لما أنكر عمرو ذلك لأنه كان ممن يجيز الرواية بالمعنى (قلت : يا رسول الله قتل أبى) شهيداً (يوم) غزوة (أحُد وترك تسع بنات) وفى رواية : وترك سبع بنات، أو تسع بنات وهى فى «الصحيحين» (فكرهت أن أجمع إليهن) جارية (خرقاء) «بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها قاف» وهى التى لا تحسن العمل بيدها، وهى تأنيث الأخرق وهو الجاهل بمصلحة نفسه وغيره، وقيل : الذى لا رفق له ولا سياسة عنده (مثلهن) لأنهن لا يحسن العمل (ولكن) تزوجت (امرأة) ثيباً (تمشطهن) أى تسرح شعورهن (وتقيم عليهن) وفى لفظ تقوم عليهن، أى فى غير ذلك من مصالحهن وهو من العام بعد الخاص (قال) ﷺ لجابر رضى الله عنه (أصبت) أى بتزوجك امرأة ثيباً قد احتنكت الأمور ومارست الخدمة، لتقوم على مصالح أخواتك وتجمعهن. قال ابن حجر : ولم أقف على تسميتهن، أما امرأة جابر المذكورة فاسمها : «سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية» ذكره ابن سعد.

فضيلة الدكتور / من هى البكر ومن هى الثيب ومن الأولى فى الزواج ؟

نقول : الثيب من النساء من أزيلت بكارتها، وقد تطلق على البالغة وإن كانت بكراً مجازاً واتساعاً، والمراد هنا الأول. والبكر العذراء، وهى الباقية العذرة، والعذرة ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاض. فالبكر : التى لم توطأ واستمرت على حالتها الأولى. وقد دل الحديث على فضيلة تزويج البكر على الثيب، والحث على ذلك، وقد ورد بأصرح من ذلك عند ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده بلفظ : «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً» أى أكثر حركة، والنتق بنون ومثناة الحركة، ويقال أيضاً للدمى، ولعله أراد أنها كثيرة الأولاد. وأخرج الطبرانى من حديث ابن مسعود نحوه وزاد : و«أرضى باليسير» ولا يعارضه حديث : «عليكم بالولود» من جهة كونها بكراً، فلا يعرف كونها كثيرة الأولاد، فإن الجواب عن ذلك أن البكر مظنة كونها ولوداً، فيكون المراد

بالولود : إما من هى كثيرة الولادة بالتجربة، وإما بالمظنة، وإما من كانت نساؤها كثيرة الولادة، وإما من جربت فظهرت عقيماً، وكذا الآيسة، فالخبران متفقان على مرجوحيتهما.

ومالذى نأخذه من هذا الحديث ؟

نقول: يؤخذ من الحديث :

١- أنه إذا تزاحمت مصلحتان؛ قدم أهمها، فإن جابراً رضى الله عنه قدم مصلحة أخواته لشفقته عليهن ورحمته لهن على حظ نفسه وآثرهن على تمام لذته وقضاء وطره، والنبى ﷺ صوب فعله، ودعى له لأجل ذلك، فقال : بارك الله لك، أصبت.

٢- ويؤخذ منه الدعاء لمن فعل خيراً وإن لم يتعلق بالداعى.

٣- وفيه سؤال الإمام أصحابه عن أمورهم وتفقده أحوالهم، وإرشاده إلى مصالحهم، وتنبيههم على وجه المصلحة، ولو كان فى باب النكاح وفيما يستحيى من ذكره.

٤- وفيه مشروعية خدمة المرأة زوجها، ومن كان منه بسبيل من ولد وأخ وعائلة، وأنه لا حرج على الرجل فى قصده ذلك من امرأته وإن كان ذلك لا يجب عليها، لكن يؤخذ منه أن العادة جارية بذلك، فلذلك لم ينكره النبى ﷺوقال بعضهم: ليس على المرأة خدمة زوجها فى عجن وخبز وطحن وطبخ ونحوه، نص عليه الإمام أحمد لكن الأولى لها فعل ما جرت العادة بقيامها به وقدأوجب ابن تيمية : المعروف من مثلها لمثله، وأما خدمة نفسها فى ذلك فعليها إلا أن يكون مثلها لا تخدم نفسها، وقال أبو ثور: على الزوجة أن تخدم الزوج فى كل شيء. وقال ابن حبيب : أن النبى ﷺ حكم على فاطمة عليها السلام بخدمة البيت كله.

التاسع والثلاثون
(انتظار الساعة بضياع الأمانة)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما النبى ﷺ فى مجلس يُحدِّثُ القوم جاءَهُ أعرابى فقال: متى الساعةُ ؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدِّثُ، فقال: بعضُ القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم بل لم يسمعْ، حتى إذا قضى حديثهُ قال: أين أراه السائلُ عن الساعة ؟ قال : ها أنا يا رسول الله. قال: "فإذا ضُيِّعتْ الأمانة فانتظر الساعةَ" قال: كيف إضاعتُها ؟ قال: "إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهلهِ فانتظر الساعةِ".

فضيلة الدكتور / نرجو من فضيلتكم بيان المعنى العام وتوضيح ما ورد فى الحديث من استفهام ؟

نقول وبالله التوفيق: يخبرنا الصحابى الجليل أبو هريرة عن مجلس علم رسول الله ﷺ، وما كان فيه من أنوار وكشفٍ لأستار، وما كان يحدث من سؤلات بعض الأعراب، وما يكون فيها من إغراب، وغِلَظٍ فى الخطاب، وكيف كان رد الحبيب وكيف كان علاجه للأمر وهو الطبيب "فبينما رسول الله ﷺ يحدث القوم والقوم: هم الرجال دون النساء، وقد تدخل النساء فيه على سبيل التبع، لأن قوم كل نبى رجال ونساء "فى مجلس" أى حال كونه فى مجلس من مجالس العلم "جاءه أعرابى" والأعرابى هو الذى يسكن البادية، وهو منسوب إلى الأعراب ساكنى البادية من العرب الذى لا يقيمون فى الأمصار ولا يدخلونها إلا لحاجة، والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه، سواء أقام بالبادية أو المدن والنسبة إليه عربى، ولم يُعرف اسم هذا الأعرابى فقال: متى الساعة ؟ أى متى يكون قيام الساعة

فضيلة الدكتور / هنا استفهام نرجو توضيحه ؟

نقول : الاستفهام ورد من هذا الأعرابى وقصد به معرفة زمن القيامة، أو الأمارات الدالة على قربها. "فمضى رسول الله ﷺ يُحدثُ" أى استمر رسول الله فى حديثه مع القوم ولم يقطعه، فقال بعض القوم سمع ما قال "فكره ما قال" أى أن تصرف الحبيب أصاب الفضول عند بعض القوم فأخذوا يأولون تصرفه على أكثر من احتمال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه" أى انتهى من الحديث الذى كان بينه وبين القوم سأل عن السائل فقال: أين أراه السائل عن الساعة؟ وهو استفهام قصد به بيان مكان الرجل ليحدثه. ثم قال إجابة للأعرابى على سؤاله "إذا ضُيعَت الأمانة" هذا جواب الأعرابى الذى سأل عن قيام الساعة وهو القائل كيف إضاعتها ؟ قوله "إذا أسند" قال الكرمانى : أجاب عن كيفية الإضاعة بما يدل على الزمان لأنه يتضمن

الجواب لأنه يلزم منه بيان أن كيفيتها هى الإسناد المذكور، والمراد من "الأمر" جنس الأمور التى تتعلق بالدين كالخلافة والإمارة قال الكرمانى : أتى بكلمة "إلى" بدل اللام ليدل على تضمين معنى الإسناد قوله "فانتظر الساعة" الفاء للتفريع، أو جواب شرط محذوف أى إذا كان الأمر كذلك فانتظر الساعة. قال ابن بطال : معنى "أسند الأمر إلى غير أهله" أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغى لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التى قلدهم الله تعالى إياها. ولقد روى البخارى بسنده إلى حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا انتظرُ الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جَذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها فقال: ينامُ الرجلُ النومة فتقبضُ الأمانة من قلبهِ، فيظلُّ أثرها مثل أثر الوكت "والوكت" هو سواد فى اللون أى تذهب ويبقى مكانها مسوداً فقط، ثم ينام النومة فتُقبضُ، فيبقى أثرُها مثل المجل والمجل هو "أثر العمل فى اليد" كجمر دحرجتهُ على رجلك فنَفِطَ، فتراهُ منتبراً وليس فيه شيء "أى صار منتفطاً وهو المنتبر يقال انتبر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلأ ماء" وحاصل المخبر أنه أنذر برفع الأمانة وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً، وهذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة فإنه يصير خائناً لأن القرين يقتدى بقرينه. فيصبحُ الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدهُم يُؤدِّى الأمانة، فيقال : إن فى بنى فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفهُ وما أجلدهُ وما فى قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان، ولقد أتى علىّ زمانٌ وما أبالى أيّكُمْ بايعتُ، ولئن كان مسلماً ردَّهُ على الإسلام، وإن كان نصرانيا ردَّه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً. وهكذا دلنا رسول الله ﷺ على أمارات وعلامات الساعة وكأن السؤال عن القيامة كان شغل الناس الشاغل والدليل عليه قوله تعالى "يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة قريب" ويقول أيضاً "يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها، قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون" وقوله "يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكرها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها".

ومن المعلوم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ولكن الناس تحاول أن تنسى أو تتناسى حقيقة هذا الأمر ويسعون فى الأرض فساداً دون مراعاة لقيم أو دين أو وازع من ضمير حتى تأتى ساعة كل واحد منهم وعندها يتمنى أن لو

طالت به الحياة وعمل صالحاً يرضى ربه، وقد ظن أن العمر سيطول به إلى أن تقوم الساعة الكبرى ولكن كما أخبر الحبيب إذا مات العبد قامت قيامته ولذا كان السؤال عن الساعة الكبرى سؤال عن غير موضعه ولا فائدة من وراءه فإنها سوف تكون لا محالة ولكن فى زمن يقدره الله وحده وعلمها عنده لم يؤثره لأحد من خلقه، وصدق الله إذ يقول "ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره"، ويقول عز وجل "أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى"، وقوله عز وجل فى شأن المنكر للساعة الغير متصور لقيامها قوله "وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره أذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون".

فضيلة الدكتور /و ما الذى يرشد إليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق :

١- التنبيه على أدب العالم والمتعلم، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة. وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعيناً ولا الجواب.

٢- وأما المتعلم فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم ويؤخذ منه تقديم الأسبق فأخذ الدروس وكذلك الفتاوى والحكومات ونحوها.

٣- وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح لقوله "كيف إضاعتها".

٤- وفيه إباحة إعفاء المسئول عن الإجابة على الفور.

٥- وفيه إشارة إلى أن العلم سؤال وجواب ومن ثم قيل حسن السؤال نصف العلم.

٦- الحرص على عدم ضياع الأمانة فإن ضياعها خراب الدنيا.

٧- حرص المسلم على معرفة عاقبة أمره ليجتهد فى حماية نفسه من خواتيم الظالمين.

الأربعون

(الخير لا يأتى إلا بالخير)

((روى البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: "إنى مما أخافُ عليكم من بعدى ما يُفتحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها" فقال رجلٌ: يا رسول الله أو يأتى الخيرُ بالشرِّ ؟ فسكت النبىُّ ﷺ فقيل له : ما شأنُكَ؟ تُكلّمُ النبىَّ ﷺ ولا يكلّمُكَ ! فرأينا أنهُ يُنزلُ عليه، قال : فمسحَ عنهُ الرُّحَضَاء فقال : "أين السائلُ؟" وكأنه حمَدهُ فقال: "إنه لا يأتى الخيرُ بالشرِّ، وإن مما يُنبتُ الربيعُ يقتُلُ حبطاً أو يُلِمُّ إلا آكلةَ الخضراءِ، أكلتْ حتى إذا امتدَّتْ خاصرتاها استقبلتْ عينَ الشمس، فثلطتْ وبالتْ ورتعتْ، وإن هذا المالَ خَضِرةٌ حلوةٌ، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل – أو كما قال النبىُّ ﷺ - وإنه من يأخذُهُ بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبعُ ويكون شهيداً عليه يوم القيامة.))صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضيلة الدكتور / نرجو من فضيلتكم بيان المعنى العام وتوضيح ما ورد فى الحديث من استفهام ؟

نقول :يخبرنا الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلس الصحابة حوله فقال لهم مبيناً شفقته بهم، وحرصه عليهم "إن مما أخاف". وكلمة : ما يجوز أن تكون موصولة والتقدير : إن من الذى أخاف عليكم، ويجوز أن تكون مصدرية فالتقدير: إن من خوفى عليكم "ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا" أى : من حسنها وبهجتها وعبر بالزهرة وهو ما يزهر من نور الأشجار وما يكون قبل تكوين الثمر حيث تخرج الأشجار نورها وزهرها فتكتسى الأرض ألوناً مختلفة من أشكال الأزهار التى سرعان ما تنطفئ ليحل محلها بدايات الثمر، وهو إشارة إلى ما يزهر من الدنيا من أنواع المتاع والعين والثياب والزروع وغيرها، تغر الخلق بحسنها مع قلة بقائها "فقال رجل – أى من الصحابة - : يا رسول الله "أو يأتى الخير بالشر ؟"

فضيلة الدكتور / هنا استفهام نرجو توضيحه وبيان نوعه ؟

نقول : الهمزة للاستفهام، والواو للعطف على مقدر بعد الهمزة أى أتصير النعمة عقوبة ؟ لأن زهرة الدنيا نعمة من الله فهل تعود هذه النعمة نقمة ؟ وهو استفهام استرشاد لا إنكار ومن ثم حمده النبى ﷺ ، والباء فى قوله بالشر صلة ليأتى، أى هل يستجلب الخير الشر ؟ وجوابه ﷺ: لا يأتى الخير بالشر لكن قد يكون سبباً له ومؤدياً إليه. قال صاحب التلويح: هذا سؤال مستبعد لما سماه رسول الله ﷺ بركة، وسماه الله

تعالى خيراً بقوله "وإنه لحب الخير لشيد" فأجيب بأن هذا الخير قد يعرض له ما يجعله شراً إذ ا أسرف فيه ومنع من حقه، ولذلك قال : أو خيرٌ هو؟ بهمزة الاستفهام وواو العطف الواقعة بعدها المفتوحة على الرواية الصحيحة منكراً على من توهم أنه لا يحصل منه شر أصلاً، لا بالذات ولا بالعرض وقال التيمي: أتصير النعمة عقوبة؟ أى: إن زهرة الدنيا نعمة من الله على الخلق أتعود هذه النعمة وبالا عليهم؟ قوله "فسكت ﷺ "يعنى انتظاراً للوحى، فلام القوم هذا السائل وقالوا له : ما شأنك تكلم رسول الله ﷺ ولا يكلمك؟ وهو استفهام توبيخى قصد منه تقريع السائل وتقبيح تصرفه " فرأينا أنه ينزل عليه" أي الوحى، "فمسح عنه الرُحضاء" أى أفاق من الوحى فمسح العرق الذى يتصبب منه بيده، وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحى تصبب عرقاً حتى وإن كان اليوم شديد البرد، ولذا عبر عن العرق الكثير بالرحضاء والرحضاء هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيراً ما يستعمل فى عرق الحمى والمرض فقال: أين السائل ؟ استفهام قصد به معرفة مكان السائل للرد عليه. قوله "وكأنه حمده" أى : وكأن النبى ﷺ حمد السائل ؟ وكان الناس ظنوا أنه ﷺ، أنكر مسألته فلما رأوه يسأل عنه سؤال راضٍ علموا أنه حمده، فقال ﷺ راد عليه الإجابة : إنه لا يأتى الخير بالشر، أى : إن ما قضى الله أن يكون خيراً يكون خيراً، وما قضاه أن يكون شراً يكون شراً، وأن الذى خفت عليكم تضييعكم نعم الله، وصرفكم إياها فى غير ما أمر الله، ولا يتعلق ذلك بنفس النعمة ولا ينسب إليها، ثم ضرب لذلك مثلاً فقال "وإن مما ينبت الربيع .. إلخ أى من الإنبات والمنبت فى الحقيقة هو الله، وهذا الكلام كله وقع كالمثل للدنيا. وقوله "يقتل حبطاً أو يُلم "أما الحبط فهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل يقال حبطت الدابة تحبط حبطاً إذا أصابت مرعى طيباً فأمعنت فى الأكل حتى تنتفخ فتموت، "أو يُلم" من الإلمام أى يقرب ويدنو من الهلاك. ثم استثنى آكلة الخضراء والخَضِر هو ضرب من الكلأ يعجب الماشية وواحده خُضرة امتلأت خاصرتاها- تثنية خاصرة وهما جانبا البطن من الحيوان -،والمقصود : إذا امتلأت شبعا وعظم جانباها "استقبلت عين الشمس" والمعنى أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت تحيلت فى دفعه بأن تستقبل الشمس فتَحْمىَ بها" فاجترت "أى استرفعت ما أدخلته فى كرشها من العلف فأعادت مضغة، و"ثلطت" أى ألقت ما فى بطنها رقيقاً، "ثم عادت فأكلت" أى وهى سالمة" وهذا بخلاف من لم تتمكن من ذلك فإن الانتفاخ يقتلها سريعاً قال الأزهرى : هنا مثلان أحدهما للمفرط فى جمع الدنيا المانع مَن إخراجها فى وجهها وهو ما تقدم أى الذى يقتل "حبطاً"، والثانى "المقتصد فى جمعها وفى الانتفاع بها وهو آكلة الخضر فإن الخضر ليس من أحرار البقول التى ينبتها

الربيع ولكنها الحبة ما فوق البقل ودون الشجر التى ترعاها المواشى بعد هيج البقول، فضرب آكلة الخضر من المواشى مثلاً لمن يقتصد فى أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها ولا منعها من مستحقها، فهو ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر، وأكثر ما تحبط الماشية إذا انحبس رجيعها فى بطنها".
قال الزين بن المنير: آكلة الخضر هى بهيمة الأنعام التى ألف المخاطبون أحوالها فى سومها ورعيها وما يعرض لها من البشم وغيره وفى هذا الحديث وجوه من التشبيهات البديعية.
وقال الغزالى: مثل المال مثل الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع، فإن أصابها العارف الذى يحترز عن شرها ويعرف استخراج ترياقها كان نعمة، وإن أصابها الغبى فقد لقى البلاء المهلك.
قوله "وإن هذا المال خضرةٌ حلوةٌ فنعم صاحبُ المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل" "وإن من يأخذهُ بغير حقهِ كالذى يأكلُ ولا يشبعُ ويكون شهيداً عليه يوم القيامة".
أولها: تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره.
ثانيها: تشبيه المنهمك فى الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهكة فى الأعشاب.
ثالثها: تشبيه الاستكثار منه والادخار له بالشره فى الأكل والامتلاء منه.
رابعها: تشبيه الخارج من المال مع عظمته فى النفوس حتى أدى إلى المبالغة فى البخل به بما تطرحه البهيمة من السلخ ففيه إشارة بديعية إلى استقذاره شرعاً.
وخامسها: تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمه بالشاة إذا استراحت وحطت جانبها مستقبلة عين الشمس فإنها من أحسن حالاتها سكوناً وسكينة وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها.
سادسها: تشبيه موت الجامع المانع، بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها.
سابعها: تشبيه المال بالصاحب الذى لا يؤمن أن ينقلب عدواً، فإن المال من شأنه أن يُحرز ويشد وثاقه حباً له وذلك يقتضى منعه من مستحقه فيكون سبباً لعقاب مقتنيه.
ثامنها: تشبيه آخذه بغير حق كالذى يأكل ولا يشبع.

فضيلة الدكتور / نرجو إلقاء الضوء على ما يرشد إليه هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق :

١- جلوس الإمام على المنبر عند الموعظة فى غير خطبة الجمع ونحوها.
٢- جلوس الناس حوله ﷺ وفيه إشارة لمدى الألفة التى بين النبى وأصحابه.
٣- تحذيره ﷺ من المنافسة فى الدنيا.

٤- وفيه استفهام العالم عما يشكل وطلب الدليل لدفع المعارضة.
٥- وفيه تسمية المال خيراً ويؤيده قوله تعالى "وإنه لحب الخير لشديد".
٦- وفيه ضرب المثل بالحكمة وإن وقع فى اللفظ ذكر ما يستهجن كالبول فإن ذلك يغتفر لما يترتب على ذكره من المعانى اللائقة بالمقام.
٧- وفيه أنه ﷺ كان ينتظر الوحى عند إرادة الجواب عما يُسئل عنه، وهذا على ما ظنه الصحابة، ويجوز أن يكون سكوته ليأتى بالعبارة الوجيزة الجامعة المفهمة.
٨- وفيه ترك العجلة فى الجواب إذا كان يحتاج إلى التأمل.
٩- وفيه لوم من ظن به تعنت فى السؤال، وحمد من أجاد فيه، ويؤيد أنه من الوحى قوله يمسح العرق فإنها كانت عادته عند نزول الوحى.
١٠- وفيه الحث على إعطاء المسكين واليتيم وابن السبيل.
١١- وفيه أن المكتسب للمال من غير حلة لا يبارك له فيه لتشبيهه بالذى يأكل ولا يشبع.
١٢- وفيه ذم الإسراف وكثرة الأكل والنهم فيه، وأن اكتساب المال من غير حلة وكذا إمساكه عن إخراج الحق منه سبب لمحقه فيصير غير مبارك كما قال تعالى "يمحق الله الربا ويربى الصدقات"
١٣- وفيه أن للعالم أن يحذر من يجالسه من فتنة المال وينبههم على مواضع الخوف.

الواحدو الأربعون

المؤمن القوىوالمؤمن الضعيف

روى مسلم بسنده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(المؤمن القوىُ خيرٌ وأحبُ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ ، وفى كلٍ خيرٌ إحرصْ على ما ينفعُكَ واستعنْ بالله ولا تعجزْ ، وإنْ أصابكَ شىءٌ فلا تقلْ : لو أنِّى فعلتُ كان كذا وكذا ، ولكنْ : قَدَرُ الله وما شاء فعلَ ، فإنّ لو تفتحُ عملَ الشيطانِ(١)) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضيلة الدكتور / نرجو من فضيلتكم بيان معانى الحديث على مستوى الشخص المسلم؟

نقــول وبــالله التوفيق / قوله(المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير)المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة فى أمور الآخرة فــيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو فى الجهاد وأسرع خروجا إلــيه وذهابــا فــى طلبه وأشد عزيمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الأذى فى كل ذلك واحتمال المشاق فى ذات الله تعالى وأرغب فى الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم (وفى كل خير) فمعناه فى كل من القوى والضعيف خير لاشتراكهما فى الإيمان مع ما يأتى به الضعيف من العبادات ، **وأماقوله (إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)** أماالحرص فمعناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى

١- صحيح مسلم كتاب القدر باب فى الأمر بالقوة وترك العجز إلخ حديث (٢٦٦٤)٤ / ٢٠٥٢

٢- شرح النووى على مسلم ١٦/ ٣٥١

على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة ٠
وأما قوله (وإن أصابك شيىء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدرُ الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)٠
قال القاضى عياض :قالبعض العلماء : هذا النهى إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعا فأما من رد ذلك إلى مشيئة الله تعالى بأنه لن يصيبه إلا ماشاء الله فليس من هذا واستدل بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا قال القاضى : وهذا لاحجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه قال وكذا جميع ماذكره البخارىفى باب مايجوز من اللو كحديث (لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ولو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذه ولولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك) وشبه ذلك فكله مستقبل لااعتراض فيه على قدر فلا كراهية فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو فى قدرته فأما ماذهب فليس فى قدرته ٠ قال القاضى :فالذى عندى فى معنى الحديث أن النهى على ظاهره وعمومه لكنه نهى تنزيه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فإن لو تفتح عمل الشيطان أى يلقى فى القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان هذا كلام القاضى ٠ قال النووى :قلت وقد جاء من استعمال لوفى الماضى قوله صلى الله عليه وسلم (لو استقبلت من أمرى ماستدبرت ما سقت الهدى) وغيرذلك فالظاهر أن النهى هو عن إطلاق ذلك فيما لافائدة فيه فيكون نهى تنزيه لا تحريم فأما من قاله تأسفا على ما فات من طاعة

الله تعالى أو ماهو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود فى الأحاديث والله أعلم "١" .

فضيلة الدكتور / قوله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) تحدثتم عنه على مستوى الشخص المسلم و نود أن تحدثنا عنه على مستوى الأمة الإسلامية كيف تقوىوتتوحد الأمة؟ وماهى عوامل قوتهاووحدتها ؟.

نقول وبالله التوفيق : تتمثل قوة الأمة الإسلامية ووحدتها فى عدة نقاط أساسية لو قمنا بها وحققناها كانت القوة وكانت السلامة والسعادة والتفوق الذى لايماثله تفوق وهى ليست صعبة لو أرادت الأمة أن يكون لها مكان شامخ بين الأمم **وتتمثل وحدتها وقوتها فى الآتى ؟**

١- عدم التناقض بين العقيدة والفكر: إن أهم ما يميز الإسلام أنه لايقيم حواجز بـــين العقـــيدة والفكر الإســـلامى فالقرآن الكريم تحث كثير من آياته على تناول المعـــرفة فى مختلف فروعها وتوجه المسلم إلى التعمق فى أغوارها والبحث فى أدق تفاصـــيلها وكفانا فخرا أن أول ما نزل على نبينا الأمى هو قوله عز وجل (إقـــرأ بسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) وقوله عزوجل (ن والقلم ومايسطرون) وقوله (إنمـــا يخشى الله من عباده العلماء "٢") وقوله (والراسخون فى العلم "٣") وقوله عزوجل ("٤" **إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى**

١- صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٢٥١- ٢١٦   ٢- سورة فاطر آية رقم ٢٨ .   ٣- سورة آعمران آية رقم ٧
٤-سورة آل عمران آية رقم ١٩٠

الأباب • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى. خلق السماوات و الأرض ربنا ماخقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)

هذا هو القرآن يدعو إلى العلم و التفكر والتدبروإعمال العقل فى كل شيء من أول يوم نزل الوحى فيه وإلى الآن وإلى أن تقوم الساعة، فلو قارنت هذا بما حدث بعد ذلك بأكثر من خمس قرون حين وقفت الكنيسة الغربية فى روما موقف العداء من مناهج المدارس الفلسفية، وإحراق مؤلفاتها، وإصدار قرارات الحرمان ضد مؤلفيها ،والمنع من تدريسها، أدركنا الفرق وإلى أى حد لم يكن هناك تناقض فى المناهج العلمية بين العقيدة الإسلامية، وبين الأخذ بكثير من العلوم العقلية، حتى المعربة عن علوم الرومان واليونان وغيرهم ،فلم يكد يأتى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حتى كانت الحضارة الإسلامية قد وصلت أوج عظمتها، وكان من بين رواد العلوم العقلية علماء من مختلف الشعوب التى اعتنقت الدين الإسلامى فى الشرق والغرب•

لقد أتاحت هذه السمة الواضحة للعقيدة الإسلامية أن يعتنق العديد من ملايين البشر الديانة الإسلامية، بل إن نطاق معتنقي هذه العقيدة تخطى الحدود السياسية للدولة الإسلامية داخل الصحراء الإفريقية، وعلى سواحلها الغربية والجنوبية، وفى أعماق القارة الهندية والسواحل الجنوبية والشرقية لآسياوهى كلها من المناطق التى لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد، ولم تضمها أرجاء الدولة الإسلامية الشاسعة•

٢-الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة: كان اعتراف الإسلام بالرسالات والكتب السماوية السابقةعليه واعتبارهامن التنزلات الإلهية، واحترام وتقدير رسلها

وأنبيائها من بين العوامل التى حببت الكثيرين من أصحاب هذه الديانات فى الإسلام ، وتوجيههم إلى اعتناقه والأخذ بمبادئه ،فلم يحاول الإسلام أن يقلل من شأنها وأو شأن معتنقيها وإنما على العكس من ذلك صور القرآن الكريم هذه الرسالات فى أحسن صورة ولذلك رأينا الأعداد الغفيرة من الشعوب التى دخلها الإسلام تعتنقه طواعية خاصة وإن المسلمين لم يحاولوا فرض العقيدة بالسيف أو الإكراه كما فعل من سبقهم وإنما كانوا يتركون أمر اعتناق الإسلام للرغبة الصادقة عن اقتناع وتفكير ، وكان الخراج على غير المسلمين ضريبة الدم للذود عن أمن الدولة وحدودها وثغورها ٠ ولقد ساعد على تفهم هذه الشعوب لمبادىء العقيدة انتشار اللغة العربية بانتشار الفتوحات الإسلامية وتعلم هذه الشعوب لها وقراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتب الفكرالإسلامى ومناهج التشريع ٠ وعلى الرغم من اختلاف الفقهاء وظهور الفرق والمذاهب الإسلامية بظهور الجتهاد إلا أن ذلك لم يصل فى يوم من الأيام إلى حد الخلاف على المبادىء الأساسيةللعقيدة وهوأمر افتقدته كثير من العقائد الأخرى مما ترتب عليه اختلافاتجذرية كان لها أسوا العواقب ، ومن هناكان إقبال الأفراد والشعوب على اعتناق الإسلام واتساع رقعته وآفاقه ظاهرة تاريخية دعت الكثيرين من المستشرقين إلى محاولات الاجتهاد فى تفسيرها

٣- **النظــرة الشمولية للحياة فى الإسلام٠** إن نظرة الإسلام للحياة الإنسانية مســتمدة مــن الكــتاب والسنة فهى تستبعد تماما نظرية الرهبنة فى الإسلام وتجعــل من العقيدة الإسلامية مظلة لكل مايهم الحياة الإنسانية من أمورالدين والدنيا، ومن هنا تناول القرآن الكريم كل مايمس جوانب الحياة والعلاقات بين

الأفـــراد فى الأسرة والمجتمع والاهتمام بالجوانب الخلقية والسلوكية والثقافية لتكوين الشخصية الحضارية المسلمة مع التركيز على تقنين وتنظير كل هذه المعاملات فى إطار من الرقابة التنظيمية المرتبطة بالمنهج العلمى الصحيح ٠

وإذا كـــان العـــرب قد أدركوا لأول وهلة دور الدين الجديد فى معالجة كل جوانب حياتهم الخاصة والعامة فإن الشعوب التى انضوت تحت لواء الإسلام لم تلبث أن أدركت نفس الإدراك ووجدت فى العقيدة الإسلامية إجابة عن كل أمـــورهم الدنـــيوية والأخـــروية وتطويعا لكل مشاكل الحياة بما فيها الحوال الشخصـــية والعلاقـــات الاجتماعية والمنطلقات الفكرية ٠ ومن لم تجد هذه الشعوب فى الإسلام سوى سلطة واحدة تشرف على الشئون الدينية والزمنية معا ، ولم يكن للدين الإسلامى رجال يحتكرون علوم العقيدة والشريعة والفقه إنما كان هناك علماء يتفقهون فى علوم الدين دون ما تدخل بين الحق والخلق

٤- الإفادة من الحضارات السابقة وامتصاصها : من المعلوم أن الإسلام لم يرفض ماسبقه من نظم سياسية وقيم حضارية ونظريات علمية بل على العكس من ذلك استفادت الدولة الإسلامية من كل النظم والحضارات السابقة واضطر علماء المسلمين فى سبيل ذلك إلى إجادة اللغات الفارسية والهندية واليونانية والاتينية ونقل التراث ومؤلفات هذه الحضارات والثقافات إلى اللغة العربية ، ولم يكتف السلمون بمجرد ترجمة ونقل هذا التراث إنما أضاف وحذف وابتكر كثيرا من الحقائق والمعلومات ، بل إن عددا كبيرا من المؤلفات اليونانية والاتنية فقدت أصولها ولم تعرف جامعات أوروبا فى العصور الوسطى إلا من خلال التراجم العربية التى تم معظمها فى العصر

العباسى الأول • وليس من شك فى أن تقدير الحضارة الإسلامية لما سبقها من حضارات الأوربية الوسطية والحديثة أكسب العقيدة الإسلامية تقديرا وحبا وانتشارا •

٤- **الأخذ بمبادىء العدل والحرية والمساواة** :اهتم الإسلام بإبراز الشخصية الإنســانية وتميزهاعلــى كــل ماخلقه الله ماخلقه الله سبحانه وتعالى من كائنات أخرى مصداقا لقوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"١")

ويــرى كثير من علماء الفقه الإسلامى أن الوحدانية وهى أول أركان الإسلام الخمســة قصدت إلى جانب إعلاء ذات الله سبحانه وتعالى وغفراده بالصمدية ووحدة الألوهية الإعلاء أيضا من شأن قدر افنسان وتنزيهه عن السجود لغير ذاتــه العلية لأن فى ذلك إهدار لكرامته وكيف يستطيع مفقود العزة والكرامة أن يســعى لتأصــيل أى معنــى من المعانى الحضارية فى نفسه ، وإذا كان إصــرار الرسول صلى الله عليه وسلم فى فجر الدعوة من الدور المكى على تحريــر المسلم من عبودية الجاهلية بمختلف صورها أول الدروس الإنسانية فى إدراك مفهوم العدالة والحرية والمساواة ، ذلك الشعار الذى بدأ المفكرون المعاصرون فى نشره منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر بينما كان خليفة المسلمون الأول قد أقره فى أول مادة من مواد الحكم الإسلامى فى خطابه الهــام عشية اختياره لخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم• وكانت كل محاولة لنقد هذا المبدأ بين الشعوب التى اعتنقت الإسلام تثير نقاشا وحوارا يرجع فيه

---

١ - سورة الإسراء آية رقم ٧٠

الجميع إلى المصادر الأصولية فى الإسلام من قرآن وحديث وسنة ويرجع كثيرمن المستشرقين المنصفين دوافع انتشار الإسلام بهذه السرعة المذهلة إلى هذا المبدأ الأساسى من مبادىء الدولة فى لإسلام.

٦- الدور الذاتى فى الدعوة إلى الإسلام .لم تعتمد العقيدة الإسلامية فى انتشارها فى أرجاء القارات على مؤسسات تنظيمية وإرساليات تبشيرية وميزانيات معتمدة تستهدف إغراء الناس باعتناق الإسلام ولكنها اعتمدت على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة فى قلوب أصحابهانخص من هؤلاء علماء الإسلام وفقهاؤه والرحالة والتجار والجغرافيون والمعلمون ، كما اعتمدت أيضا على اهتمام التجمعات الإسلامية بإنشاء الجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها منالأبنية الدينية والتعلمية التى كانت تقوم أساسا على الجهود الذتية والتبرعات المادية والعينية ولعل مما يثير التساؤل عند كثير من المفكرين ظاهرة عمق العقيدة افسلامية فى بلاد لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد فى شرق وغرب وجنوب إفريقيا وجنوب شرقى آسيا حتى إن هؤلاء المسلمين خاضوا ومازالوا يخوضون لعدة قرون حروبا ضد المستعمرين والأغلبيات المسيحية على الرغم من عدم التكافؤ فى المال والسلاح . ويصف المستشرق بيكرهذه الظاهرة فى إفريقيا أنها ترجع إلى أن عملية التبشير المسيحية المنظمة الممولة من المنظمات الكنسية كانت ترتبط فى أذهان الأفارقة بالعملية الاستعمارية مما كان يؤدى إلى نفور الكثيرين منها ، بالإضافة إلى عملية التعميد التى لم يكن يتقبلها الأفارقة بسهولة إذا قورنت بسهولة وسماحة ويسر اعتناقهم للإسلام حيث لا تحتاج إلى أكثرمن النطق

بالشهادتين وأداء الركان الأساسية، فالدويلات الإسلامية فى المغرب العربى لعبت دورها الكبير فى نشر افسلام فى إفريقيا وتعمقه فى الصحراء الغربية الموحشة بل إن دولة الأغالبة فى تونس لعبت دورا واضحا فى نشر الإسلام فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وكذلك فعلت الدولة الأموية فى الأندلس ،أما فى المشرق فيكف الحديث عن الدور الكبير الذى قامت به الدولةالغزنوية الهند وكيف تسرب الإسلام من شبه القارة الهنديةإلى جزر جنوب شرق آسيا

٧-غلبة الإيمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية : ليس من شك فى أن الحركات الانفصالية عن جسم الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الثانى كان لها أثرها على قوة الدولة السياسية خاصة بعد أن سيطرت بعد العناصر الداخلية على عاصمة الخلافة تركية أو بويهية أو سلجوقية ولكن هذا التأثير لم يمتد إلى الجوانب العقدية والفكرية حتى إن القيادات الإدارية والتنظيمية للدويلات الإسلامية الشرقية والغربية كانت شديدة الولاء والانتماء للعقيدة الإسلامية حيث إنها كانت تعتبر هذا الإيمان جسر بقائها واستمرارها فى قواعدها وكانت وسيلتها إلى تمكين هذا التعبير تكمن **فى الجوانب التالية :**

أ- كثرة اهتمامها ببناء المؤسسات الدينية وفى مقدمتها الجوامع والمساجد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وتدريس الفقه والحديث والشريعة واللغة العربية ونجد ذلك واضحا فى الدويلات افسلامية المستقلة كالطولونية والإخشيدية والأيوبية والمملوكية ، فقد كثر تشييد السبل ومدارس تحفيظ القرآن إضافة إلى قسمها الشرقى ٠ المساجد والجوامع وما حدث فى القسم الغربى من الدولة الإسلامية حدث فى قسمها الشرقى٠

ب- الاهتمام باجتذاب الفقهاء والمحدثين وغيرهم من علماء الدين الذين ساعدهم اجتهادهم ومؤلفاتهم ومناظراتهم على تعميق وتأصيل العقيدة الإسلامية عند الناس لدرجة أن سمعة هؤلاء العلماء كانت تجذب إليهم التلاميذ والمريدين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى وانتشرت المذاهب الفقهية خارج نطاق حدودها كما حدث بالنسبة إلى للفقه المالكى الذى انتشر فى شمالى إفريقيا والمغرب والأندلس وفقه الأحناف الذى النتشر فى شرق العالم الإسلامى ·

ج- الاهتمام بنشر الديانة الإسلامية سواء كان ذلك بعمليات التوسع التى سبق أن تحدثنا عنها فى الهند وشرقى آسيا أو عن طريق الفقهاء والعلماء الذين نشروا العقيدة فى المجاهل الإفريقية والجزر المتناثرة فى جنوب شرقى آسيا ·

وهكذا لم تكن للحركات الانفصالية تأثيرات عكسية على نشر العقيدة افسلامية وشيوعها بل كانت على العكس من ذلك عاملا من عوامل انتشارها وذيوعها ·

٨-وحدة مصادر التشريع وإرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامى بعد الهجرة:

لدراسة هذا العامل لابد من الإشارة إلى النقاط التالية:

١- وحدة مصادر التشريع فى الإسلام.
٢- الوحدانية والتكوين الحضارى للشخصية المسلمة.
٣- وضع الأصول التكوينية للمجتمع الإسلامى.
٤- إرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامى بعد الهجرة.

وفيما يلى تفصيل هذه النقاط:

أ- وحدة مصادر التشريع فى الإسلام :

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسول الله (ﷺ) موزعاً على ثلاث وعشرين سنة منذ البعثة حتى الوفاة، فى مائة وأربع عشر سورة تضم مائتين وأربعين ربعاً فى ثلاثين جزءً، وتحوى بضعاً وستة آلاف آية كريمة "١" نزل بمكة منها سبع وثمانون سورة ونزل بالمدينة سبع وعشرين سورة بعدد غزواته (ﷺ)قام

١- الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٥ ·

رسول الله بإملائها على كتاب الوحى ووزعها ورتبها قبل وفاته كما أوحى إليه على لسان جبريل عليه السلام وهى نقطة هامة يجب التركيز عليها حيث أن بعض غلاة المستشرقين حاول أن يضفى نوعاً من الشكوك حول هذه الحقيقة التاريخية أسوة بما حدث لبعض الكتب السماوية السابقة مستغلين اختلاف بعض السلف ممن أثر قبل تدوين (المصحف الإمام) أن يقدم المكى على المدنى وقد نبه إلى ذلك الشيخ أبو بكر الأنبارى فى كتاب الرد (بقوله إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ثم فرقه على النبى (ﷺ) فى عشرين سنة، وكانت السورة تنزل فى أمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل الرسول على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف والكلمات كله من محمد خاتم النبيين عن رب العالمين فمن آخر سورة مقدمة أو قدم سورة مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات وكان رسول الله (ﷺ) يقول "ضعوا هذه السورة وضع كذا وكذا من القرآن الكريم".

ولعل حرص الرسول (ﷺ) فى ألا يحدث فى القرآن بعض ما حدث للكتب السماوية الأخرى من ضياع وتغيير واختلاف أمره لصحابته وكتاب الوحى ألا ينشغلوا بتدوين غير القرآن حتى ما كان من أحاديثه (ﷺ) مصداقاً لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

من أجل ذلك كان القرآن الكريم وما يزال المصدر الرئيسى الذى لا يختلف عليه اثنان وحتى فى بعض الأوقات التى انفرط فيها عقد الوحدة السياسية الإسلامية وتعددت الفرق والملل والنحل والأحزاب ظل القرآن الكريم المصدر الرئيسى الذى لا يتغير والدستور الموحد أينما وجد المسلم فى ظل الدولة الإسلامية أو غير الإسلامية. وكان المختلفون سياسياً وحزبياً وانتمائياً يحاولون قدر الإمكان دعم وجهات نظرهم بالقرآن فلا أصحاب الفكر الملتزم من طلاب المنهج المدرسى، ولا أصحاب الفكر العقلانى من طلاب المنهج الفلسفى يختلفون حول المصدر الرئيسى الذى حاول كل فريق منهم أن يتخذ منه سنداً لشريعة تفسيره للأمور إضافة إلى السنة الكريمة والأحاديث الصحيحة.

هذا المصدر الموحد للتشريع فى الدولة الإسلامية منهجاً ونظاماً ومرجعاً كان أعظم العوامل فى ظاهرة القوة والتوسع والانتشار التى صاحبتها لم يتأثر بالضعف السياسى الذى صاحبتها فى بعض مراحل وجودها وإنما كان فى كثير من الأحيان يشكل عامل التوازن بين الصعود والأفول فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ويفسر المعادلات الصعبة التى كانت تنشأ فى أزمنة أخرى، بل

كان الزاد الذى تنهل منه الأقليات الإسلامية أينما وجدت، مما أدى إلى حقيقة تاريخية وحيدة وفريدة ومحيرة هى قدرة المسلمين على الصمود أينما وجدوا وأينما كانوا. وقد شرع القتال والجهاد على المسلمين فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة دفعتهم إلى توسيع رقعة الدولة الإسلامية عاماً بعد عام، فى حالة الدفاع عن النفس كما جاء فى قوله تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). ومن أجل استرداد الحق عملاً بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله). ولنصرة المظلوم حيث قال جل شأنه :(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذى يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً). كما شرع القتال والجهاد فى سبيل الله للإعلام بالإسلام والاستشهاد فى سبيل الدعوة كان علم الجيوش الإسلامية أينما اتجهت كما جاء فى الآية الكريمة (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً).

ب- الوحدانية والتكوين الحضارى للشخصية الإسلامية :

الوحدانية ركن أساسى من أركان الإسلام، وهى إلى جانب ما تستهدف من عظمة وانفراد الله سبحانه وتعالى بربوبيته وألوهيته وصفاته التى لا يدرك كنهها إلا هو تستهدف أيضاً إعلاء قدر الإنسان وتفضيله على غيره من مخلوقات الله فالسجود للأوثان والأصنام وغيرها من المخلوقات الإلهية والمصنوعات الإنسانية إهدار لكرامته وإنقاص لآدميته ووصل الأمر إلى بعض الفقهاء يرون فى الرياء والنفاق من ألوان الشرك بالله لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وميزه على غيره من الكائنات ومن هذه النقطة الهامة فى الفهم الإسلامى تبرز حقيقة وجود الشخصية الحضارية الإسلامية الرافضة لكل معنى من معانى الرق والاستعباد واستعذاب كل أذى قد يصادفه فى سبيل تحقيق هذا المصير. وهكذا جاء رسول الله ﷺ ليضع المسلمين على أول طريق الحرية والمساواة واحترام آدمية الإنسان ومن هنا كانت وقفة السابقين من المعذبين فى الإسلام ضد أسيادهم السابقين، والتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل الدعوة للإسلام والاستشهاد فى ميادين القتال فى غير نكوص أو أدبار عملاً بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأوه جهنم وبئس المصير)"١"

١- الأنفال آية رقم ١٥،١٦ .

جـ- وضع الأصول التكوينية للمجتمع الإسلامى بوجه عام :

لعل أهم ما يلفت نظر الباحث فى العقيدة الإسلامية أن من بين المائة وأربع عشرة سورة التى يتضمنها القرآن الكريم سبع وثمانين سورة نزلت كلها فى مكة أى فى فجر الدعوة كلها تتجه إلى إرساء وتكوين المجتمع الإسلامى فى مختلف جوانبه، لم تترك شاردة أو واردة إلا وتناولتها بالتوجيه والتوضيح الكامل فالجوانب الخلقية والسلوكية لها آياتها التى ركزت عليها، والعلاقات الإنسانية والمعاملات الخاصة والعامة لها مضامينها، وقواعد الأحوال الشخصية وأركان العبادات فصلت تفصيلاً، والدعوة إلى العلم والمعرفة الشاملة فى مختلف جوانب الحياة قضت على كل ما يؤدى إلى تناقض بين العقيدة والعلم، كل ذلك فى آيات محكمات رائعات تكونت منه الصفوة القائدة فى كل المجالات.

ولعل أبرز ما يسعى إليه المصلحون اليوم – على الرغم مما بلغه الإنسان من حضارة علمية وتقنية – هو البحث عن مضامين خلقية وسلوكية وعقيدية تحول بين هذا التطور الهائل وبين هاوية السقوط أو الانفجار. لقد استطاع الإسلام أن يضع القواعد لكل هذه الأصول التكوينية فى المجتمع الإسلامى فاندفع بكل الطاقات خارج الجزيرة العربية إلى كل أطراف الأرض.

انظر إلى قوله تعالى لتنظير القيم الأخلاقية والسلوكية فى المجتمع الإسلامى على سبيل المثال لا الحصر : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله). (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ، (وجادلهم بالتى هى أحسن) ، (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) ، (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) وقوله فى وصف المؤمنين (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ، (والذين هم عن اللغو معرضون) ، (والذين هم للزكاة فاعلون) ، (والذين هم لفروجهم حافظون) وحين ينصح لقمان ابنه يقول: (يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) ، وقوله تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم).

وتناول القرآن الكريم العلاقات الأسرية والاجتماعية والإنسانية بصورة لو تحققت لمجتمع كان خير المجتمعات تكويناً وإنشاء.

د- إرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامى بعد الهجرة :

واجـه الرسـول ﷺ بعد هجرته إلـى المدينـة عدداً من القضـايا العامـة منـها مـا يتصـل بالـوحدة التكافلية بين المهاجرين والأنصـار، والـوحدة الوطنية بين المسلمين وأهل الذمة ومنها ما يتصل بالجهاد فى سبيل الله، ونظام الحكم فى الدولة الجديدة، مما جعل مـن السـور المدنيـة فـى مجملها تفصـيلاً لمـا سبق إجمالـه فـى الـدور المكـى فـى هـذه القضـايا وغيرها، وأن مجرد النظر إلى أول صحيفة وضعها الرسول لمجتمع المدينة والموضـوعات التـى تناولـتها يـدرك إلـى أى حـد أرسـى رسـول الله دعـائم الدولـة الإسـلامية فى قواعد وبنود ساعدته ﷺ فى اجتياز الصعوبات التى صادفته فى الداخل والخـارج، فإلى جانب التنظيم الدقيق للحقوق والواجبات المفروضة على كل مواطنى المدينـة، والعهود والمواثيق التى بها، وكانت هناك الغزوات والسرايا التى توج بها بنيان هذه الدولة قبل وفاته مما أتاح لمن أتى بعده الانطلاق بها فى مختلف الميادين.

كمـا أن نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية – مستمداً من القرآن والسنة – تستبعد تماماً فكرة الرهبانية وتجعل من العقيدة الإسلامية مظلة لكل ما يهم الحياة من أمور الدين والدنيا متخطياً بذلك كثيراً من الأخطاء التى وقعت فيها المسيحية فلم تكن هناك سلطة زمنية وسلطة روحية، ولـم يكن هناك رجـال دين ولـم يكن هناك صدام بين الفكر المدرسـى والفكر الفلسـفى وإنمـا اتجـه الإسـلام إلـى إدمـاج السـلطتين وأصبح خليفة المسلمين يمثل الجانبين الزمنى والشرعى واشترط فيه العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس، وكـان من أهم واجباته الحفاظ على أمن الدولة الإسلامية فى الداخل وحماية حدودها فى الخـارج، كمـا اعترف الإسـلام بعلمـاء الـدين ولـيس برجال الدين والفرق بينهما واضـح، ووقف المنهج العقلى عند علماء الكلام وفلاسفة المسلمين يستمد قوته مـن الاعـتماد علـى الشـريعة الإسـلامية، وحتـى عـندما ظهـرت الفـرق والأحـزاب والدعـوات المخـتلفة كـان كـل مـنها يحـاول إبـراز انـتمائه إلـى الأصـول والقـواعد الإسـلامية حتى لـو اضطر إلـى الدعاوى والاختلاف ومن هنا كانت خصوبة الإسلام حتـى فـى أحرج فترات الانقسامات السياسية والحركات الانفصالية، ولم يقتصر حمل رسـالة الإسـلام علـى جنوده وقـواته وإنمـا تعدى ذلك إلـى الدعاة والـوعاظ والفقهـاء والتجار وغيرهم.

١- أنظر :كتاب المسلمون فى العالم تاريخيا وجغرافيا ٨- ١٦ .

الثانى والأربعون

تداعى الأمم على الإسلام وأهله

روى أبـــوداود بسنده عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(يوشكُ أنْ تداعىَ عليكم الأمم كما تداعىَ الأكلةُ إلى قَصْعَتِها) فقال قائل : ومن قِلَّةٍ نحن يومئذ ؟ قال (بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنكم غُثَاءٌ كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدورعدوِّكُمُ المهابةَ منكمْ وليقذفنَّ الله فى قلوبِكُم الوهن) فقال قائل : يارسول الله ، وما الوهن ؟ قال (حبُ الدنيا وكراهية الموت) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فضيلة الدكتور / نرجوا من فضيلتكم بيان آراء العلماء فى شرح هذا الحديث ؟

نقول وبالله التوفيق : التداعى الاجتماع ودعاء البعض بعضا ، والمراد من الأمم فرق الكفر والضلالة ٠ فقوله (يوشك الأمم)أى يقرب فرق الكفر وأمم الضلالة(أن تداعى عليكم) بحذف إحدى التائين أى تتداعى بأن يدعوا بعضهم لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال (كما تداعى الأكلة) والمعنى كما يدعوا أكلة الطعام بعضهم بعضا (إلى قصعتها) الضمير للأكلة أى التى يتناولون منها بلا مانع ولامنازع فياكلونها عفوا وصفوا كذلك يأخذون مافى أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم والمقصود أن فرق الكفر وأمم الضلالة يدعوا بعضهم بعضا إلى الاجتماع لقتالكم وكسر شوكتكم ليغلبوا على ما ملكتم من الديار ، كما أن الفئة الآكلة يتداعى بعضهم بعضا إلى قصعتهم التى يتناولونها من غير مانع فيأكلونها صفوا من غير تعب(فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟) والقائل من أصحابه صلى الله عليه وسلم يسئل عن سبب ذلك مخمنا أن يكون ذلك من قلة تكون فى المسلمين يومئذ يارسول الله فكانت المفاجئة منه صلى الله عليه وسلم بأننا(كثير) أى عدد قليل مدد كثرة خائبة مخيبة الأمل (ولكنكم غثاء كغثاء السيل) أى مايحمله السيل من زبد ووسخ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم ثم أخبر أن الله (لينزعن) أى ليخرجن (المهابة) الخوف والرعب من عدوكم (وليقذفن) أى وليرمين الله (الوهن أى الضعف (قيل وما الوهن ؟)وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهية الموتقال الطيبى : سؤال عن نوع الوهن أو كأنه اراد من أى وجه يكون

الوهن فقال (حب الدنيا وكراهية الموت) وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية فى الدين من العدو المبين(١)٠

فضيلة الدكتور / نود من فضيلتكم التوضيح والبيان لعوامل الضعف والتفكك للدولة الإسلامية والتى يجر علينا كل يوم بلاء جديدا وكأن الحديث يطبق فينا الآن؟

نقول وبالله التوفيق : تعرضت الدولة الإسلامية لبعض عوامل الضعف والتفكك والاضمحلال منها ما هو داخلى ذاتى: كالسبئية والعصبيات القبلية وحركات الخوارج والقرامطة والزنج والباطنية والشعوبية والزندقة والحركات الانفصالية وأطماع العناصر الداخلية، ومنها ما هو خارجى مادى عدوانى كالغارات المغولية، والحركات الصليبية والمد الاستعمارى والعدوان الصهيونى، ومنها خارجى فكرى كالأيدلوجيات المستوردة والاتجاهات الفكرة المنحرفة وافتراءات بعض المستشرقين.

ولنعرض أولا العوامل الداخلية وتتمثل فى :

أولاً: الخلافات الحزبية والمذهبية:

كانت السبئية المنطلق المذهبى لبعض الحركات الشيعية المتطرفة، وفى مقدمتها الكيسانية والرافضة والقرامطة وغيرها، والسبئية نسبة إلى (عبد الله بن سبأ) وهو يهودى من أصل يمنى ادعى الإسلام وبدأ يستغل المرارة التى كانت عند بعض العلويين الذى كانوا يؤمنون بأحقية سيدنا على بن أبى طالب فى الخلافة وينحرف بها إلى منعطفات واتجاهات رفضها الإمام رفضاً قاطعاً وكذلك أنصاره، ومن بين المبادئ التى أطلقها مبدأ الرجعة والوصاية والحلولية وانفراد على بالإمامة، وقد انضوى تحت لوائه كثير من السطحيين المتعصبين الذين لعبوا دوراً كبيراً فى إثارة الأمصار الإسلامية على الخليفة الثالث عثمان بن عفان لدرجة أن بعض المؤرخين يؤكدون أن عبد الله بن سبأ لم يترك قطراً من الأقطار الإسلامية إلا دخله مثيراً الرأى العام على (عثمان)، وكان لبقاً ذكياً لماحاً استطاع فى فترة ما أن يطوى صحابياً جليلاً (كأبى ذر الغفارى) فى الشام ويجمع الفقراء من حوله . ثم انتقل إلى البصرة إلى أن طرده منها عاملها (عبد الله بن أبى عامر) فرحل إلى الكوفة ، وعاد ثانية إلى الشام ومنها إلى مصر حيث أخذ ينشر دعاوية المنحرفة فى لباس من الدين وأخذ يروج لنظرية التفويض الإلهى التى عرفها فى اليمن من خلال السيطرة الفارسية ، واستطاع بأساليبه المعسولة أن يصل إلى بعض أهدافه فى صبغ مذهبه السبئية الذى كان يدعو له بصبغات يهودية ومجوسية وفارسية ، وكان أنصاره فى

---

١ - سنن أبو داود كتاب الملاحم باب تداعى الأمم على الإسلام ٤/ ١١١ و- عون المعبود١١/ ٣١٦ ٠

خدمة المحاصرين (لعثمان بن عفان) بل إن واحداً ممن كانوا يؤون ابن سبأ فى بيوتهم هو الذى رفع أول ضربة على قارئ القرآن (عثمان بن عفان) ومهما يكن من أمر فقد كان على بن أبى طالب برئ من هؤلاء الخارجين على سماحة الإسلام.

والحقيقة أنه على الرغم من الجهود المضنية التى بذلها رسول الله ﷺ طيلة حياته لتحقيق الوحدة العقيدية للمسلمين، وتغليب العقيدة الإسلامية على ما عداها من الصراعات الحزبية أو المطامع الدنيوية، فإنه ما كاد ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى بدأ خلاف بين الأنصار والمهاجرين حسمه الصحابة فوراً بولاية أبى بكر رضى الله عنه، واستمرت هذه الوحدة فى عهد عمر بن الخطاب إلى أن تفجرت بعض مظاهر الخلاف فى عهد الخلفية الثالث وانتهى الأمر باستشهاده، ثم فتح الباب على مصراعيه بين الإمام على والمعترضين على بيعته إلى أن حسم الموقف لصالح معاوية بن أبى سفيان بعد استشهاد الإمام على كرم الله وجهه.

ويجب هنا أن نستوضح حقيقة سبق أن ذكرناها ونحن نتحدث عن عدم التناقض بين التطورات السياسية وازدهار وتقدم الحضارة الإسلامية وهو ما نؤكده الآن وسوف نؤكده فى كل مناسبة وهو أن أية خلافات سياسية أو مذهبية أو فكرية كانت تطرأ على ساحة الدولة الإسلامية لم يكن لها أى ارتباط مع وحدة العقيدة والتمسك بها بل وصل الأمر إلى حد استشهاد كل أصحاب مذهب بمصادر الشريعة الإسلامية من قرآن وسنة، وعندما وصل الحوار الساخن بين الملتزمين من أنصار المنهج المدرسى عند أهل السنة، وأنصار المذهب الفلسفى من المعتزلة والكلاميين، وكان كل طرف يحاول أن يؤكد انتماء فلسفة تفكيره إلى الأصول العقيدية الخالصة والمتفق عليها.

نقول ذلك لأن بعض السطحيين يتصور فى تسجيل المؤرخين لبعض الحقائق التاريخية فى التاريخ الإسلامى خاصة ما يرتبط منها بالخلافات المذهبية أو الفكرية أو العصبية ما قد يؤدى إلى التشكيك فى قدرة الإسلام على التصدى لهذه الخلافات مع أن الدليل الحى الواضح أمامنا أنه رغم الاختلافات العديدة على مدى القرون الأربعة عشر الماضية حول كثير من الموضوعات السياسية والمذهبية و الفكرية مازال القرآن الكريم هو القرآن لم يتغير ولم يتبدل وصدق الله العظيم حين يقول "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

وفى عهد الدولة الأموية ظهرت على مسرح الأحداث مذاهب فكرية وسياسية وكلامية، وانطلق الخوارج من قماقمهم يثيرون الفتن والقلاقل فى كل مكان، وظهرت بعض الأحزاب السياسية وفى مقدمتها الكيسانية والزيدية، وانشطرت

بعض هذه الأحزاب من داخلها إلى عشرات الفرق كما حدث بالنسبة للخوارج ، وأعلن كثير من الموالى سخطهم على الدولة الأموية.

وعلى الرغم من الجهود التى بذلتها الدولة الأموية فى توسيع رقعة الدولة الإسلامية إلا أن هذه الثورات المضادة من الداخل أدت فى النهاية إلى زوالها سنة ١٣٢هـ وقامت الدولة العباسية وشهدت قرناً كاملاً من أعظم فترات وجودها ، إلا أنها لم تلبث نتيجة تصدر العناصر الدخيلة لمقومات حياتها السياسية والعسكرية أن بدأ يدب الضعف إلى كيانها السياسى ، وتوارت أسماء الخلفاء وراء الأسماء الفارسية والتركية والبويهية والسجلوقية ، حتى انتهى الأمر بإغارات المغول على الدولة إنهاء وجودها السياسى فى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى).

ثانياً : العصبيات القبلية :

إن من يطلع على الصحيفة (أو العهد) الذى وضعه رسول الله ﷺ بعد الهجرة ، والذى يعتبره المؤرخون أول دستور لأول دولة إسلامية ظهرت فى الإسلام يجد أن العهد قد أبرز اهتماماً خاصاً بالقضاء على العصبية القبلية وتنقية الأنصار والمهاجرين من شرور أخطارها وإحلال الوحدة العقيدية والإيمانية مكانها ، إلى درجة أنه وضع هذه الوحدة العقيدية قبل الروابط الأسرية نفسها ، فالمؤمنون المتقون على من بغى منهم أو ظلم أو أثم أو أفسد ولو كان أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وأن المؤمنين بعضهم موالى دون الناس.

غير أنه حدث فى عهد الخلافة الأموية ، وفى أواخر الفرع السفيانى ، أن انضم المضريون إلى الزبيريين فى المطالبة بخلافة (عبد الله بن الزبير) ووقف اليمنيون إلى جانب الأمويين ، وعادت لأول مرة نيران العداوة العصبية التى أخمدها رسول الله ﷺ فى موقعة (مرج راهط) التى ظلت رايتها الخلافية ترفع فى كل موقع من مواقع الدولة الإسلامية ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، كلما قام الخلاف بين اليمنيين والمضريين ، إلى الدرجة التى اعتبرها بعض المؤرخين أشبه بالداء العضال الذى كان يضعف من قولة الدولة ، ويؤثر على وحدتها وكيانها ، لدرجة أن النداء الذى توارثه المضريون جيلاً بعد جيل كلما قام بينهم وبين اليمنيين أو الكلبيين (يالثارات مرج راهط) ، حدث ذلك فى المشرق العربى وفى المغرب العربى وفى الأندلس ، بل إن من المؤرخين من يرد كثيراً من الأحداث الأندلسية إلى هذه العصبية القبلية التى نهى عنها رسول الله ﷺ.

ثالثاً : الشعوبية :

الشعوبية حركة عدائية للعرب والعروبة ، وكانت كما قال البعض كلمة حق يراد بها باطل استناداً إلى قوله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" ، ولكن هذه الحركة نبتت فى أول الأمر كظاهرة احتجاج ضد سياسية الدولة الأموية فى فارس وما والاها من البلاد التى انضوت تحت الإسلام واتهموها باتجاهات عنصرية تقصر على إسناد الوظائف الهامة فى الدولة كإمارة البلدان وجباية الخراج والشرطة والحسبة وغيرها إلى العناصر العربية وقد اشتد الغضب الشعوبى حين اضطر بعض خلفاء الأمويين بسبب الخوف من تناقص موارد بيت المال إلى إبقاء الجزية عمن يعتنقون الإسلام من الموالى ، وأن تظل أراضيهم أراضى خراجية ولا تتحول إلى أراضى عشرية كتلك التى جعلت الكثيرين من الموالى يساندون كل الثورات السياسية والمذهبية التى قامت ضد الدولة الأموية فوقفوا إلى جانب الكيسانيين والخوارج وأخيراً ساندوا العباسيين فى دعوتهم ضد الأمويين حتى سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ ولقد كان من المفروض أن تخف وطأة الشعوبية بقيام الخلافة العباسية – إذا صح ما وجه إلى الأمويين – خاصة وأن الكثيرين من الخراسانيين اشتركوا فى المواقع التى دانت للدولة الأموية حتى أن بعض المتطرفين يذكرون أن العباسيين استعانوا بالمطارق الفارسية لدق أعناق الأمويين.

غير أن الاتجاهات الشعوبية فى الخلافة العباسية ازدادت استشراء ، وخاصة بعد المواقف التى اتخذها خلفاء العباسيين من القيادات الفارسية التى ساندتهم فى معركتهم مع الأمويين وفى مقدمة هؤلاء (أبى سلمة الخلال) وزير آل البيت ، وأبى (مسلم الخراسانى) وقيادات (البرامكة) وغيرهم ورأينا الشعوبية تنتقل من مجرد نقد العرب والتحدث عن مثالبهم إلى محاولة الحط من شأنهم والحديث عن جهالتهم وجلافتهم وسوء تدبيرهم ، وأخذت كتب الشعوبيين فى مثالب العرب ونقائصهم تبرز إلى الوجود ثم تطور الأمر إلى انتقال الشعوبية إلى مرحلة الزندقة والتطاول على الديانة الإسلامية ، ونقد القرآن الكريم والعودة إلى إيقاظ الديانات والمذاهب المجوسية القديمة ، وظهور الحركات العدائية للإسلام والمسلمين وفى مقدمتها حركات البابكية والحزمية والمقنعية والخراسانية الفاطمية التى تنتمى إلى فاطمة بنت الخراسانى وغير ذلك من الحركات الهدامة فى جسم الدولة ، مما دعا العرب وعلماء الفقه والكلام للرد على هذه السموم العاتية بالقول والحوار والمؤلفات ، وأنشأ المهدى العباسى ديواناً خاصاً بهؤلاء الشعوبيين الزنادقة ، كانت مهمته محاولة إقناع هؤلاء

بالعودة إلى الرشد والرد على المفتريات وإثارة الحوار حتى إذا لم يجد كل ذلك نفعاً سيقوا إلى صاحب الزندقة ليقتلوه كما حدث بالنسبة لابن المقفع وبشار بن برد .

رابعاً : طموحات العناصر الدخيلة :

الإسلام دين عالمى شامل يتسع لكل الناس والشعوب والأمم والقبائل ، مصداقاً لقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ومن هذا الموقف كان رفض الإسلام للتميز العنصرى والتفرقة بين الناس على أساس من السلالة أو اللون أو الثروة ولذلك فإن مجرد دخول وانضواء عناصر وشعوب وأمم فى الإسلام وانخراطها فى إطار الدولة الإسلامية لا يشكل تهديداً أو خطورة على الدولة بل على العكس من ذلك يؤكد شمولية وعالمية الإسلام وهى طبيعة الأمور فى إطار العقيدة ، وكثيراً ما قام مسلمون من غير العرب بأدوار ريادية فى الفكر والعلم والسياسة والحرب ، بل إن معظم علماء العلوم العقلية والنقلية كانوا من بين هذه الشعوب الإسلامية. ولكن الخطورة تكمن حين تتحول بعض هذه العناصر (بعيداً عن سماحة الإسلام) تتحول إلى أدوات لإضعاف نظام الدولة الإسلامى كما حدث فى محاولات بعض المتطلعين من زعماء الخراسانيين فى الدولة العباسية ثم تسلط الأتراك والبويهيون وغيرهم مما أدى إلى إضعاف الخلفاء العباسيين ، وإنهاء الدولة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م.

لقد كانت أطماع قيادات هذه العناصر فى العصر العباسى الثانى عاملاً ليس فقط فى إضعاف أمر الخلفاء العباسيين وإنما المساعدة على خلق كيانات ودويلات مستقلة أضعفت من وحدة الدولة الإسلامية.

خامساً : ظهور العديد من الدويلات الإسلامية المستقلة:

كان من نتيجة الحركات الشعوبية وطموحات زعامات العناصر الدخيلة أن تفككت عرى وحدة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً وبدأت الصراعات المختلفة تقوم بين هذه الدول وبعضها وأن الدارس لتاريخ الدولة الإسلامية ابتداء من العصر العباسى الثانى يلمس إلى حد كبير قيام هذه الدويلات وسقوطها وصراعاتها وخلافاتها مما كان له تأثير كبير على وحدة الدولة الإسلامية ابتداء من العصر العباسى الثانى ونحن لا ننكر أن بعض هذه الدويلات قد وصلت إلى حد كبير من الازدهار السياسى والفكرى ، بل إن كثيراً من عمليات التوسع الإسلامى شرقاً وغرباً قامت على أكتاف هذه الدول ، ولكنها فى النهاية لم تكن إلا عاملاً من عوامل الضعف والتفكك العام فى محيط الدولة الإسلامية. وما يقال عن المشرق العربى يمكن أن يقال عن المغرب العربى ، والأندلس خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية الأندلسية سنة ٤٢٢هـ وقيام

الدويلات المستقلة فى ظل نظام إقطاعى أتاح فى النهاية للقوة المسيحية المعادية إنهاء الوجود الإسلامى فى الأندلس.

سادساً : عدم الإدراك الواعى لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين:

سبق أن تناولنا بالحديث عدم وجود أى تناقض بين العقيدة والفكر فى الإسلام ، وأن الدين الإسلامى دين شمولى يجمع الدين والدنيا مصداقاً لقوله ﷺ (اعمل لدينك كأنك تموت غداً واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً).

وليس أبلغ من هذا الحديث دليلاً على أنه لا رهبانية ولا كهنوتية ولا انعزالية فى الإسلام، ولكن بعضاً ممن لم يكن عندهم تصور واضح لفلسفة العقيدة والفكر الإسلا بين تصور لفترة من الفترات أن الدين الإسلامى يقتصر على مجرد العبادات الظاهرة وأنه يتعارض مع مظاهر التطور العلمى والفكرى الإنسانى، ونحن لا ننكر على الدولة العثمانية مثلاً دورها القيادى فى الذود عن كثير من الأراضى الإسلامية ضد الهجمات الصليبية الشرسة الآتية من جانب الأسبانيين والبرتغاليين عقب نجاحهم فى إزالة الدولة الإسلامية فى الأندلس، والحيلولة دون الأفكار الإجرامية ضد الأماكن المقدسة، ولكن عدم الإدراك الحقيقى لفلسفة وفكر الإسلام وقف حائلاً دون عمليات التطور الفكرى والحضارى، فى وقت بدأ فيه الحركات السياسية والانقلابات الصناعية تجتاح أوربا مما أدى إلى إصابة العالم الإسلامى بظاهرة التخلف الحضارى وقد أتاح ذلك الاستعمار الأجنبى استغلال هذا الركود والجمود لبسط ظلاله على كثير من البلاد الإسلامية الواقعة فى إطار الدولة العثمانية.

العوامل الخارجية:

أولاً: العدوان المغولى والصليبى والاستعمارى

مهدت كل هذه العوامل الداخلية أو بعضها أن تتعرض الدولة الإسلامية لموجات متوالية من العدوان الخارجى بأشكاله المادية والعسكرية والاقتصادية وأشكاله الفكرية بأبعادها المختلفة.

ومن القوانين الاجتماعية والتاريخية المعروفة أن العدوان على أية أمة من الأمم يبدأ أولاً من الداخل بل إن من النظريات الحديثة فى تاريخنا المعاصر أن الغزو كله يبدأ وينتهى من الداخل وفى الداخل.

وهكذا تعرضت الدولة الإسلامية للعدوان الخارجى عليها اعتباراً من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)، وتمكن المغول من تقويض الدولة العباسية بعد أن استمرت فى الحكم قرابة خمسة قرون ونصف، ثم حاولوا اجتياح بقية العالم الإسلامى لولا وقوف مصر الإسلامية ضد هذا الغزو وإنهاء هذا الزحف المدمر

للحضارة الإسلامية عند (عين جالوت) فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى.

فى أثناء ذلك كانت الصليبية المسيحية تستعد لعدوانها على العالم الإسلامى الذى كان يقترب رويداً رويداً من رئتيها المسيحيتين فى روما وبيزنطة، وظهرت فى أوربا موجة صليبية عاتية تتجه للقضاء على الكيان الإسلامى، وقد بدأت هذه الموجة أول ضرباتها فى المغرب الإسلامى والأندلس فى محاولات للقضاء على الوجود الإسلامى فى أسبانيا، وفى نفس الوقت كانت الحملات الصليبية تتتابع واحدة بعد الأخرى، إلى أن تمكنت الوحدة السورية بقيادة صلاح الدين الأيوبى من وقف هذا المد الصليبى.

وليس من شك فى أن ذلك كله قد أصاب العالم الإسلامى بضربات شديدة فى مختلف مواقعه مما أتاح للحركة الاستعمارية المادية والاقتصادية أن تجد سبيلها الميسر إلى مختلف أراضيه وتحولت الشعوب الإسلامية إلى أفواه مستهلكة لكل ما ينتجه الانقلاب الصناعى الأوروبى، بدأ الأمر باحتلال إنجلترا لعدن سنة ١٨٣٩م ومحاولة فرض السيطرة على شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية، واحتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م وتونس ١٨٨١م، وبريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ ثم لم يلبث أن احتلت إيطاليا ليبيا واحتلت فرنسا مراكش، ولم تكد تنتهى الحرب العالمية الأولى حتى كان الهلال الخصيب كله تحت الاحتلال الأجنبى.

ثم كانت الطامة الكبرى حيث تمت الزيجة السياسية بين الإمبريالية والاستعمارية والصهيونية العالمية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكانت هدية هذه الزيجة تقديم فلسطين للصهيونية العالمية، ومنذ ذلك الوقت والإمبريالية الاستعمارية والصهيونية العالمية تشكلان أكبر خطر يهدد العالم العربى والإسلامى بوجه عام.

ثانياً: حركة الاستشراق:

ولم يقتصر العدوان الخارجى على العالم الإسلامى فى جانبيه المادى والعسكرى وإنما تمثل فى عملية التسرب الفكرى والثقافى التى تعتبر أشد خطراً وفتكاً فمنذ القرن الخامس عشر الميلادى ومحاولات المخاطرين والمكتشفين الأجانب مستمرة فى العدوان على تراثنا الفكرى والثقافى بطرق وأساليب مختلفة، منها ما يتسم بالعلنية، ومنها ما يتسم بالسرية، وأنشئت كليات ومعاهد الاستشراق فى دول أوروبا الغربية، حيث كان ينقل إليها ما أمكن حمله من مصادر التراث الإسلامى.

وكثيراً ما قرأنا وسمعنا لعشرات البعثات الاستكشافية والإرساليات التبشيرية الموفدة من المعاهد الاستشراقية والهيئات الكنسية، التى كانت تستهدف فى الأصل الاستئثار بالمصادر الإسلامية، وغسل العقول البدائية من أركان العقيدة، وأنشئت المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية فى الداخل، كما ألفت الكتب والمراجع المليئة بالمغالطات المكشوفة فى التاريخ الإسلامى.

وليس من شك فى أن ما قامت به الجامعات الإسلامية، ومازالت تقوم به من كشف لهذه المغالطات العلمية بالأساليب العلمية الصحيحة، إنما يمثل دوراً أساسياً فى إضعاف موجات الإلحاد والتشكك والتيارات الفكرية التى يتعرض لها الشباب الإسلامى.

ثالثاً : بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية :

يضاف إلى كل ما سبق بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الإسلامية النامية، ذلك البعد الذى يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم بسبب عملية التطور العلمى والتكنولوجى عند الدول الصناعية خاصة وأن هذه الدول تسعى جاهدة للحيلولة دون المحاولات التى تبذلها الدول الإسلامية للحصول على التكنولوجيا الحديثة، وانتقالها من مرحلة الدول المستهلكة إلى مرحلة الدول المنتجة.

وعلى الرغم من الخلافات التى قد تبين الكتل المتصارعة فى العالم اليوم إلا أنها تتفق على شيء واحد وهو الوقوف فى وجه هذا العملاق الإسلامى بشتى الطرق لأنهم يقرأون التاريخ ويعلمون إلى أى حد تمتد جذور هذا العالم الإسلامى إلى الأعماق.

ولعلنا نذكر فى هذا المجال ذلك المؤتمر الذى عقد فى لندن سنة ١٩٠٧ واكتملت فيه كل الدول الصناعية الاستعمارية برياسة كامبل بنرمان رئيس الوزراء البريطانى وكان هذا المؤتمر ينظر فى الوسائل التى توصل إلى الإبقاء على الظاهرة الاستعمارية فى مواجهة حركات التحرر، وانتهى النقاش إلى أن العالم الإسلامى يشكل الخطر الرئيسى لمستقبل الدول الصناعية، وكانت العقيدة القرآنية واللغة المشتركة من بين الأسس التى رؤى التركيز على ضرورة إضعافها وتصفيتها ووضعت سياسة هذا المؤتمر على أساس تشجيع اللهجات العامية، وإضعاف العقيدة الإسلامية وإثارة الطائفية الدينية والعنصرية وخلق دولة يهودية فى قلب هذا العالم الإسلامى تمتص كل موارده القومية الرئيسية، وزيادة مساحات التخلف بين الدول الصناعية المتقدمة والدول الإسلامية النامية.

وعلى الرغم من امتلاك العالم الإسلامى لأكبر نسبة من أعظم مصادر الطاقة وهو البترول، واعتماد الدول الصناعية على هذا النفط إلا أن السياسة المخططة لهذه

الدول بمؤسساتها الضخمة وشركاتها العالمية وإمكانياتها الواسعة تحول دون شك فى الوصول إلى ما تصبو إليه الدول البترولية الإسلامية من تطول وتقدم يواكب التطور والتقدم العالميين.

ولازال الصراع محتدماً بين الجانبين الدول الإسلامية البترولية تسعى إلى توكيد حقوقها، والحصول على عائداتها كاملة، والدول الصناعية متشبثة بسياستها التقليدية التى تقوم على أن الشرق شرق والغرب غرب.

رابعاً: انحياز النظام العالمى الجديد ضد العالم الإسلامى:

ذلك أنه منذ انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالقمة فى عالمنا المعاصر بعد تفكك الاتحاد السوفيتى، اتخذ النظام العالمى الجديد سياسة غير منصفة وغير متوازنة بل وغير عادلة فى أية قضية أو مشكلة سياسية يكون أحد الأقطار الإسلامية طرفاً فيها، مثال ذلك:

١- تكتيل القوى العالمية لمحاربة العراق عندما اجتاز الخط الأحمر المرسوم له بضم الكويت وتهديد المملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية الأخرى، فى الوقت الذى ساندت فيه إسرائيل فى عدوانها على الأرض العربية واستخدام حق النقض (الفيتو) ضد أى مشروع قرار يقدم لمجلس الأمن للتنديد بإسرائيل أو فرض عقوبات ضدها.

٢- التغاضى عن امتلاك إسرائيل أسلحة نووية والتشهير بمحاولة الباكستان صنع القنبلة الذرية الإسلامية وتهديد ليبيا بدعوى إنشاء مصنع للمواد الكيماوية.

٣- التغاضى عما فعله صرب البوسنة والهرسك من مجازر بحق المسلمين أهل البلاد، وإثارة وجود مساعدات إسلامية ومجاهدين مسلمين فى صفوف المقاتلين من أهل البوسنة والهرسك.

٥- التغاضى عما يفعله الروس من قتل وتدمير فى حق شعب الشيشان المسلم، بينما سارعت إلى التحرك بعد العمليات الانتحارية التى قام بها شباب فلسطين المسلم ضد الاحتلال الإسرائيلى لبلادهم •

وبعدهذا التفصيل وضح لدينا بما لايدع مجالا للشك عوامل الضعف فى البنيان الإسلامى والذى يجب على المسلمين تداركه وإعادة تشييده من جديد •

١- أنظركتاب المسلمون فى العالملدكتور رأفت الشيخ بتوسع ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية طالثانية •

الثالث والأربعون
(مما أصاب النبى يوم أحد)

عن أنس بن مالك : أن النبى ﷺ كسرت ربَاعيته يوم أحدٍ وشُجَّ فى جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل، فنزلت هذه الآية : ليس لك من الأمر شىء) الآيةمن آل عمران.

فضيلة الدكتور/ نرجوا من فضيلتكم بيان ماأصاب النبى صلى الله عليه وسلم من أذى فى سبيل الله فى عزوة أحد، وكيف كان أصحابه من حيث الاتزام فى أول الأمروأثناء لانهزام، مع بيان ذكر اسم اللعين الذى كسر رباعيته والذى شج رأسه مع بيان من ثبت معه من أصحابه ؟

نقول وبالله التوفيق : يحكى الصحابى الجليل أنس بن مالك) رضى الله عنه : (أن النبى ﷺ كسرت) بضم الكاف وكسر السين المهملة مبنياً للمجهول (رَباعيته) بتخفيف الراء. وزن ثمانية، وهى السن التى تلى الناب من الأسنان.

قال فى «المطالع» : الرباعية من الأسنان هى السن التى بين الثنَّية والناب، وهى أربعة محيطات بالثنايا : اثنان من فوق، واثنان من أسفل، والذى كسر رباعية النبى ﷺ عتبة بن أبى وقاص لعنه الله، فإنه رمى النبى ﷺ بأربعة أحجار، فكسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى.

قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» : والمراد بكسر الرباعية وهى السن التى بين الثنية والناب،وأنها كسرت، فذهب منها فرقة ولم تقلع من أصلها، وذلك (يوم) وقعة (أحد) وكانت فى شوال، سنة ثلاث باتفاق الجمهور.

قال ابن إسحاق : خرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الجمعة؛ فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت فى النصف من شوال، و كانت لأحدى عشرة ليلة خلت منه.

وأحد – بضم الهمزة والحاء وبالذال المهملتين – جبل أحمر، بينه وبين المدينة أقل من فرسخ، وهو فى شماليها (وشُجَّ) ﷺ يومئذ (فى جبهته).

والشُجَّة : الجراحة فى الرأس، أو الوجه خاصة. والجبهة : موضع السجود من الوجه، أو مستوى ما بين الحاجبين إلى الناحية (حتى سال الدم) من شجته (على وجهه) الشريف ﷺ ، والذى شجه عليه الصلاة والسلام، عبد الله بن شهاب الزهرى، وأسلم بعد ذلك، ورماه يومئذ عبد الله بن قمئة – بفتح القاف وكسر الميم وبعدها همزة – فشج وجنته الشريفة، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ﷺ، وعلاه بالسيف وكان عليه درعان، فوقع ﷺ فى حفرة أمامه على جنبه، وهى من الحفر التى عملها

أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأغمى عليه ﷺ، كما رواه ابن جرير عن قتادة، فأخذه على بن أبى طالب رضوان الله عليه، ورفعه طلحة رضى الله عنه حتى استوى قائماً؛ فجحشت ركبتاه، ولم يصنع سيف بن قمئة شيئاً إلا وهن الضربة وثقل السيف، وقد مكث ﷺ يجد وهن الضربة على عاتقة شهراً أو أكثر من شهر،(ودثه)، أى رماه جماعة كثيرة من المشركين بالحجارة حتى وقع لشقه.

روى الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن ابن قمئة لما رمى النبى ﷺ قال : خذها وأنا ابن قمئة، فقال ﷺ : «أقمأك الله» أى أذلك الله، فسلط الله تعالى عليه تيس الجبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة.

وروى أبو نعيم عن نافع بن عاصم قال : الذى أدمى وجه رسول الله ﷺ عبد الله بن قمئة، رجل من هذيل، فسلط الله عليه تيساً فنطحه حتى قتله.

وروى عبد الرزاق فى «تفسيره» : أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه، فقال : «اللهم لا يحل عليه الحول حتى يموت كافراً، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار».

ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما، وروى الحاكم عن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه لما رأى ما فعل عتبة بن أبى وقاص برسول الله ﷺ قال : يا رسول الله ! من الذى فعل بك هذا ؟ قال : عتبة بن أبى وقاص. قلت : أين توجه ؟ فأشار إلى حيث توجه، فمضيت حتى ظفرت به، فضربته بالسيف فطرحت رأسه، فنزلت فأخذت رأسه وسيفه، وجئت إلى رسول الله ﷺ، فقال لى : رضى الله عنك، مرتين.

وروى الخطيب فى «تاريخ بغداد» عن الحافظ محمد بن يوسف الفريابى قال : بلغنى أن الذين كسروا رباعية رسول الله ﷺ لم يولد لهم صبى فنبت له رباعية.

قال السهيلى : ولم يولد من نسل عتبة ولد يبلغ الحلم إلا وهو أهتم أبخرأى نتن الفم يعرف ذلك فى عقبه.

قال ابن القيم فى كتابه «بدائع الفوائد» : قال بعض العلماء بالأخبار : إنه استقرئ نسله، فلا يبلغ أحد منهم الحلم إلا أبخر أو أهتم، يعرف ذلك فيهم. قال : وهو من شؤم الآباء على الأبناء.

قال : واختلف فيما وقع للنبى ﷺ من هذا ونحوه، فقيل : هو قبل نزول قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) وقيل : العصمة الموعود بها عصمة النفس من القتل، لا عصمة من أذاهم بالكلية، بل أبقى الله تعالى لرسوله ثواب ذلك الأذى، ولأمته حسن التأسى به، إذا أوذى أحدهم؛ ذكر ما جرى عليه ﷺ، فتأسى وصبر، وللمؤذين

الأشقياء الأخذة الرابية. (فقال) ﷺ، وهو يسلت الدم عن وجهه الشريف (كيف يفلح) من الفلاح، وهو الفوز بالبقاء، والخلود فى النعيم المقيم. ويقال للفائز : مفلح، ولكل من أصاب خيراً : مفلح، فهى من الكلمات الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة، كالعافية، والسعادة (قوم فعلوا هذا بنبيهم) وقد أخرج أحمد، ومسلم، والترمذى، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج فى رأسه، فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته».

قال ابن الأثير فى «جامع الأصول» : سلت الدم عن الجرح إذا مسحه (وهو) الواو للحال، أى والحال أنه، أى نبيهم (يدعوهم إلى) طاعة (ربهم عز وجل) ودينه القويم، وصراطه المستقيم الذى به يحصل الفوز والفلاح، والرضى والنجاح، والخلد والنعيم والبقاء فى جوار الكريم، فيأبون إلا شركاً وكفراً، وقطيعة وغدراً، وعكوفاً على الأصنام وارتكاباً للجرائم والآثام، (فنزلت هذه الآية) الكريمة. وهى قوله تعالى (ليس لك ... الآية).

وفى «المسند» و«صحيح مسلم» و«سنن الترمذى» فأنزل الله عز وجل : (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم) الآية. أى أو يعذبهم فإنهم ظالمون، أى فهم وإن استحقوا العذاب بفعلهم القبيح، وارتكابهم الخطأ الصريح، والكفر الفضيح؛ فحلمنا يسعهم، وأنت عبد مأمور، ورسول مرشد إلى الإيمان ومكارم الأخلاق ومعالى الأمور، والمعنى أن الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم ويكبتهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا، وأنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم. وقيل : المعنى ليس لك من أمرهم شيء، إلا أن يتوب عليهم فتسر بذلك، أو يعذبهم فتشتفى منهم.

وأخرج الإمام أحمد، وابن أبى شيبة، من حديث أنس نحو ما تقدم، وفيه : فهمَّ ﷺ :أن يدعوا عليهم فنزلت «ليس لك من الأمر شيء».

وأخرج أحمد، والبخارى، والترمذى والنسائى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، قال رسول الله ﷺ : «اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً، وقد سماهم الإمام أحمد، والترمذى، وكذا البخارى فى رواية مرسلة، وهم : صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت. وزاد أحمد، والترمذى فى آخر الحديث؛ فتيب عليهم كلهم، وأشار إلى قوله فى بقية الآية : (أو يتوب عليهم).

وللإمام أحمد أيضاً من طريق محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يدعو على أربعة، فنزلت. قال : وهداهم الله للإسلام، وكان الرابع عمرو بن العاص.

وفى «الشفاء» للقاضى عياض : أن النبى ﷺ لما كسرت رباعيته وشجَّ وجهه يوم أحُد، شق ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا : لو دعوت عليهم، فقال : «إنى لم أبعث لعاناً، ولكنى بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون».
قال القاضى : أنظر ما فى هذا القول من جمال الفضل، ودرجات الإحسان وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا، ثم أشفق عليهم ورحمهم، ودعا وشفع لهم فقال : «اللهم اغفر واهد» ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله : «لقومى» ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال : «فإنهم لا يعلمون».

وما السبب فى غزوة أحد ؟

نقول: كان السبب فى غزوة أحُد أنه لما أصيب من أصيب من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلُهم – منهزموهم – إلى مكة، مشى عبد الله بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، وكلموا أبا سفيان بن حرب أن يخرج بهم، لعلهم أن يدركوا ثأرهم، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، فخرجوا وأبو سفيان قائدهم، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة، وفيهم ظعائن ونساء منهم، وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها، وعلى الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل، وعلى الخيل صفوان بن أمية، وقيل : عمرو بن العاص، وعلى الرماة عبد الله بن ربيعة، وكانوا مائة، وفيهم سبعمائة دارع، وخمس عشر ظعينة.

وخرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه، ونزلت على أحُد، ورجع عنه عبد الله بن أبى بن سلول فى ثلاثمائة، فبقى ﷺ فى سبعمائة.

قال الواقدى : وكان فيهم مائة دارع، وأمَّر ﷺ على الرماة – وكانوا خمسين رجلاً – عبد الله بن جبير؛ بضم الجيم وفتح الموحدة، بن النعمان بن أمية، بن امرئ القيس ، شهد العقبة، ثم شهد بدراً واستشهد يوم أحُد. قال ابن عبد البر : لا أعلم له رواية عن النبى ﷺ. وكان ﷺ لما يسمع بنزول المشركين قرب أحُد؛ قال لأصحابه : «إنى والله رأيت خيراً، رأيت بقراً تذبح، ورأيت فى ذبابة سيفى ثلماً، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة، فأما البقر فهم ناس من أصحابى يقتلون، وأما الثلم فهو رجل من أهل بيتى يقتل، والدرع الحصينة أوَّلتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتتركوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها. وقال عبد الله بن أبىّ : والله ما جاءنا عدو قط فخرجنا إليهم، إلا أصابوا مناء ولا

دخلوا علينا إلا أصبنا منهم، وكان فى المسلمين أناس لم يشهدوا بدراً يحبون لقاء العدو؛ ويرغبون فى الشهادة فقالوا : يا رسول الله أخرج بنا إليهم لئلا يظنوا أنا خفناهم، أو أصابنا جبن، فدخل رسول الله ﷺ، فلبس لأمة حربه وخرج عليهم، فندموا وقالوا : استكرهناك يا رسول الله، ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد بالبلد، فقال ﷺ : «ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل، وكان ﷺ أمر الرماة أن لا يبرحوا من مكانهم الذى جعلهم فيه حتى يرسل لهم وإن انهزم القوم، فلما التقى الجمعان؛ هزم المسلمون المشركين. فقال الرماة لما رأوا ذلك : الغنيمة الغنيمة ، فقد ظهر أصحابكم، فما تنتظرون ؟ فقال أميرهم عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول فى أخراهم، فلم يبق مع النبى ﷺ غير اثنتى عشر، وصار أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة فرق، فرقة قتلوا، وفرقة جرحى، وفرقة هزموا.

الذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم: اختلف فى عدة من ثبت معه ﷺ، فقيل : اثنى عشر رجلاً، كما فى «البخارى» ويعزه إلى البراء بن عازب رضى الله عنهما.

وفى «البخارى»، وأبى نعيم، والإسماعيلى، عن معتمر بن سليمان التيمى، عن أبيه قال : سمعت أبا عثمان النهدى يقول : لم يبق مع النبى ﷺ فى بعض تلك الأماكن التى يقاتل فيها غير طلحة وسعد. قال سليمان : قلت : وما علمك بذلك ؟ قال : عن حديثهما،يعنى أن سعدا وطلحة أخبرا أبا عثمان بذلك . قال الحافظ ابن حجر: ويعكر على هذا ما ورد أن المقداد كان ممن بقى معه.

وفى «صحيح مسلم» : عن أنس قال : أفرد رسول الله ﷺ يوم أحُد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، وهذا أيضاً محمول على بعض المقامات والأحوال؛ لجولاتهم فى القتال. وعند محمد بن سعد أنه ثبت معه أربعة عشر رجلاً : سبعة من المهاجين : فيهم أبو بكر الصديق.

وقال البلاذرى : ثبت معه من المهاجرين أبو بكر، وعمر، وعلى، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح. ومن الأنصار : الحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح، والحارث بن الصمة، وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ وقيل :وسهل بن حنيف. وكذا أبو طلحة لما فى «الصحيحين»، عن أنس رضى الله عنه قال : لما كان يوم أحُد الناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يدى رسول الله ﷺ مجوّبا بحجفته وكان أبو طلحة : رجلاً رامياً، شديد الرمى، فنثر كنانته بين يدى رسول الله ﷺ، فلم

يزل يرمى بها، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر بالجعبة من النبل، فيقول ﷺ : انثرها لأبى طلحة ... القصة، فهؤلاء ستة عشر رجلاً : ثمانية من المهاجرين، وثمانية من الأنصار رضى الله عنهم أجمعين، ثبتوا مع النبى ﷺ يوم أُحُد
وروى أبو داود والطيالسى، وابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحُد قال : ذلك اليوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدث. قال : كنت ممن فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه. قال : أراه قال : يحميه. قال : قلت : كن أبا طلحة حيث فاتنى ما فاتنى، فقلت : يكون رجل من قومى أحب إلىَّ وبينى وبين رسول الله ﷺ رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشى خطفاً لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج وجهه، وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر. فقال رسول الله ﷺ : «عليكما صاحبكما» يعنى طلحة، وقد نزف الدم، فتركناه، وذهبت لأنزع ذلك من وجه رسول الله ﷺ فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقى لما تركتنى، فتركته، وكره أن يتناولها بيده فيؤذى رسول الله ﷺ، فأزم عليه بفمه، فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع، فقال : أقسمت عليك بحقى لما تركتنى، ففعل كما فعل فى المرة الأولى، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً قال : فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ، ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الحفائر، فإذا به بضع وسبعون – أو أقل أو أكثر – من طعنة وضربة ورمية، وغذا هو قد قطعت أصبعه، فأصلحنا من شأنه.
وروى أن طلحة رضى الله عنه أصيب يومئذ فى رأسه، فنزف الدم حتى غشى عليه، فنضح أبو بكر الماء فى وجهه حتى أفاق، فقال : ما فعل رسول الله ﷺ. قال : خيراً، هو أرسلنى إليك. قال : الحمد لله، كل مصيبة بعدك جلل.
وروى أن الدم نزف من وجنة رسول الله ﷺ لما نزعت الحلقتان، فجعل مالك بن سنان يأخذ الدم بفيه ويمجه ويزدرد منه، فقال له رسول الله ﷺ : أتشرب الدم ؟ قال : نعم يا رسول الله. فقال ﷺ : «من مس دمه دمى لم تصبه النار».
وفى المستدرك: من حديث عائشة بنت سعد عن أبيها رضى الله عنهما، قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت، فقلت : أذود عن نفسى، فإما أنجو، وإما أن أستشهد، فإذا رجل مخمَّر وجهه قد كاد المشركون أن يركبوه، فملأ يده من الحصى، فرماهم به، وإذا بينى وبينه المقداد، فأردت أن أسأله عن الرجل، فقال لى : يا سعد، هذا رسول الله يدعوك، فقمت ولكأنه لم يصبنى شيء من الأذى، فأتيته. فقال : أين كنت اليوم يا سعد ؟ فقلت : يا رسول الله حيث رأيت، فأجلسنى أمامه، فجعلت أرمى

وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك، ورسول الله ﷺ يقول : اللهم استجب لسعد، اللهم سدد لسعد رميته، إيه سعد، فداك أبى وأمى، وبهذا ونحوه تعلم الخلاف فى ذكر عدد من ثبت معه، وأنه بحسب المقامات والأماكن، والكر والفر، وأن كل من رجع إلى الرسول وآب إليه وانضم عليه قبل انفضاض القتال وخلوص المعكرة؛ فهو ممن ثبت معه؛ لأنه ﷺ ثبت مكانه لم يزل عنه.

ولقد روى البيهقى من حديث المقداد رضى الله عنه، وذكر حديثا طويلا فى يوم أحُد، فقال : فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا، لا والذى بعثه بالحق إن زال رسول الله ﷺ شبراً واحداً، وإنه لفى وجه العدو، وتفىء إليه طائفة من أصحابه مرة، وتفترق مرة عنه، فربما رأيته قائماً يرمى عن قوسه، ويرمى بالحجر، وثبتت معه طائفة. ويقال : إنه ثبت معه ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهى دون وجهك، ونفسى دون نفسك، وعليك السلام غير مودع. وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن ابن مسعود رضى الله عنه، ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ.

عدم التزام الرماة وأثره: لما اختل نظام الرماة، وتحولوا من المكان الذى أمرهم بالمقام به رسول الله ﷺ، وصرفت وجوههم، وهبت الريح الدبور بعد أن كانت صباً؛ صرخ الشيطان لعنه الله تعالى : أى عباد الله أخراكم، فرجعت أولى المسلمين فاحتلدت هى وأخراهم، وهم يظنون أنهم من العدو، وكان غرض إبليس اللعين أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً، وصرخ اللعين عند جبل عينين من قرب أحُد – وقد تصور فى صورة جعال بن سراقة رضى الله عنه إن محمداً قد قتل ثلاث مرات، فلم يشك فيه أنه حق، والحال أن جعال إلى جنب أبى بردة يقاتل أشد القتال، فكان ذلك سبب ذهول المسلمين، وعدم ثباتهم، فلما تبين كذب اللعين، وعرف المسلمون رسول الله ﷺ، أقبلوا إليه، ولما رأوه سالماً فرحوا فرحاً شديداً، وكأنهم لم يصبهم شيء حين رأوه سالماً، ونهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر وعمر وعلى ومن تقدم ذكرهم. وقال ﷺ لهم : «إنى أخشى أن يأتى أبى بن خلف من خلف، فإذا رأيتموه فآذنونى به». وكان ﷺ لا يلتفت فى القتال وراءه، فلما أسند فى الشعب أدركه وهو مقنع فى الحديد يركض فرسه، وقد رأى النبى ﷺ وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا، فاستقبله مصعب بن عمير يقى رسول الله بنفسه، فقتل مصعباً رضى الله عنه، فأراد بعض الصحابة أن يعترض له، فقال ﷺ : «دعوه وخلوا طريقه». فلما دنا من الرسول قال الخبيث : يا كذاب؛ أين تفر؟، فتناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ويقال : من الزبير بن العوام، فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الذباب عن البعير إذا انتفض، ولم يكن أحد

يشبه رسول الله ﷺ إذا جد الجد، ثم استقبله بها، فطعنه فى عنقه. وفى لفظ : فى ترقوته من فرجة سابغة البيضة والدرع، فتدأدأ منها مراراً عن فرسه، أى مال، وجعل يخور، أى يصوت كما يخور الثور، فرجع إلى قومه. فقال : قتلنى والله محمد، فقالوا ذهب والله فؤادك، والله إنْ بك بأس، ما أجزعك ؟! وفى لفظ : أنه ﷺ خدشه فى عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، فلما قال أبىُّ لقومه ما قال، وأجابوه بما أجابوه، وقالوا : إنما هو خدش، ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ما ضره. فقال : لا، واللات والعزَّى، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز، أى وهو سوق عند عرفة. وفى لفظ : بربيعة ومضر لماتوا أجمعون، إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك؛ فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى، فمات عدو الله بسرف وهم قافلون. وقال ﷺ يومئذ : «اشتد غضب الله عز وجل على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله» متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. وفى «البخارى» من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : «اشتد غضب الله على من قتله النبى فى سبيل الله» وفى لفظ : «اشتد غضب الله على من قتله نبى» هكذا أخرجهما البخارى موقوفين.

وروى محمد بن عمر الواقدى، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : مات أبي بن خلف ببطن رابغ، فإنى لأسير بعد هدوء من الليل، إذ نار تأجج لي، فهبتها، فإذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذبها، يصيح : العطش العطش، وإذا رجل يقول : لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ أبي بن خلف، وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه فى ذلك:

لقد ورث الضلالة عن أبيه	أبىَ يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رمَّ عظم	وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنوا النجار منكم	أمية إذ يغوِّث يا عقيل
وتبَّ ابنا ربيعة إذ أطاعا	أبا جهل أمهما الهبول
وأفلت حارث لما اشتغلنا	بأسر القوم، أسرته قليل

وكان جملة من أكرمه الله عز وجل بالشاهدة من الصحابة الكرام يوم أحد سبعين شهيداً، وكان ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً، فقتل من المهاجرين فى أحد، ستة، وأربعين من الأنصار.

والله الموفق

الرابع والأربعون
(حياءُ النبى فى الجنة)

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة، فرأيت فيها قصراً أو داراً، فسمعت فيها صوتاً، فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لعمر، فأردت أن أدخلها، فكذرت غيرتك يا أبا حفص، فبكى عمر، وقال مرة : فأخبر بها عمر، فقال : يا رسول الله، وعليك يغار ؟

فضيلة الدكتور / كيف دخل رسول الله الجنة ؟ ومن صاحب القصر ؟ولماذا لم ينظر فيه رسول الله ؟ وكيف كان رد سيدنا عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

نقول وبالله التوفيق :عن جابر رضى الله عنه قال (قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة) يحتمل أن يكون دخولها يقظة أو مناماً، وقد جاء الحديث بهذا اللفظ فى «الصحيحين» وغيرهما، وجاء فيها كغيرهما. قال رسول الله ﷺ : رأيتنى دخلت الجنة. وفى لفظ : بينما أنا نائم، رأيتنى فى الجنة. وهذا يعين أحد الاحتمالين فى اللفظ الذى أخرجه الإمام هنا، بأنه كان مناماً (فرأيت فيها) أى الجنة (قصراً) زاد فى رواية فى «الصحيحين» من ذهب (أو داراً) وفى رواية فيهما : دخلت الجنة، ورأيت فيها داراً أو قصراً. **والقصر** : المنزل أو كل بيت من حجر، (فسمعت فيها) أى الجنة (صوتاً) وفى لفظ خشفة – بفتح الخاء والشين المعجمتين والفاء، فهاء تأنيث – صوت حركة ليس بالشديد. وفى«القاموس» : الخشف والخشفة : الصوت والحركة والحس الخفى، أو الخشفة : صوت دبيب الحيات، وصوت الضبع، وقد غلب عليه السهولة.

قال رسول الله ﷺ : لما سمع الصوت، (فقلت لمن هذا) القصر. والظاهر أن المخاطب له بذلك جبريل أوغيره من الملائكة. وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عند ابن أبى الدنيا مرفوعاً : دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض، قال : قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ قال لرجل من قريش، فرجوت أن أكون أنا، فقلت : لأى قرشى (فقيل) أى قال جبريل عليه السلام: هو (لعمر) بن الخطاب رضى الله عنه، ولا ينافى حديث أنس هذا حديثه فى «الصحيحين». أنه ﷺ قال : دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لشاب من قريش، فظننت أنى أنا هو، فقلت : ومن هو ؟ قالوا لعمر بن الخطاب.

وفى «الصحيحين» من حديث جابر رضى الله عنه : فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب. قال ابن القيم فى كتابه «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح» وهذا أى حديث أنس الذى عند ابن أبى الدنيا إن كان محفوظاً، فبياضه : نوره وإشراقه وضياؤه.

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى، أو صديق، أو شهيد، أو حكم عدل،

يرفع بها صوته. وقال الأعمش عن مالك ابن الحارث عن أبى سمى، قال : إن فى الجنة قصوراً من ذهب، وقصوراً من فضة، وقصوراً من لؤلؤ، وقصوراً من ياقوت، وقصوراً من زبرجد (فأردت أن أدخلها) أى تلك الدار.

وفى لفظ فى «الصحيحين» وغيرهما، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، أى القصر (فذكرت غيرتك يا أبا حفص) الغيرة – بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية بعدها راء – قال القاضى عياض وغيره : هى مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين، هذا فى حق الآدمى. وأما فى حق الله تعالى فقال الخطابى: أحسن ما يفسر به فى حديث أبى هريرة، وهو قوله ﷺ : وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه.

قال عياض: ويحتمل أن تكون الغيرة فى حق الله تعالى الإشارة إلى تغيير حال فاعل ذلك، وقيل: الغيرة فى الأصل الحمية والأنفة، وهو تفسير بلازم التغيير، فرجع إلى الغضب، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه فى كتابه العزيز الغضب والرضى.

قال ابن العربى: التغيير محال على الله بالدلالة القطعية، فيؤول بالوعيد، أو العقوبة بالفاعل، ونحو ذلك.

ومذهب السلف: الإيمان بما أخبر بالمعنى الذى أراده، لا كما يخطر فى عقول البشر، ومن أشرف وجوه غيرته تعالى اختصاصه قوماً بعصمته، يعنى فمن ادعى شيئاً من ذلك لنفسه، عاقبه تعالى.

وأشد الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يغار لله ولدينه، ولهذا كان لا ينتقم لنفسه (فبكا عمر) بن الخطاب رضى الله عنه.

وروى من حديث أنس، ومن حديث أبى هريرة رضى الله عنهما، ولفظ حديث أبى هريرة: قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر رضى الله عنه.

(وقال) جابر رضى الله عنه (مرة، فأخبر) بالبناء لما لم يسم فاعله (بها) أى بالرؤيا (عمر) بالرفع نائب الفاعل (فقال) عمر رضى الله عنه (يا رسول الله وعليك يغار ؟) برفع المثناة، مبيناً لما لم يسم فاعله.

وفى لفظ حديث أبى هريرة فى «الصحيحين» وقال : عليك أغار يا رسول الله ؟ بالبناء للمعلوم. وفى رواية : قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً فى ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ. قال عمر : بأبى أنت يا رسول الله، أعليك أغار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام الإنكارى، أخرجه البخارى ومسلم.

وفى «الصحيحين» من حديث جابر رضى الله عنه، فقال عمر : بأبى أنت وأمى يا رسول الله، أعليك أغار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام أيضاً.

فضيلة الدكتور / من هو عمر بن الخطاب؟ ومتى أسلم ؟ وكيف كان رد الفعل على المسلمين بإسلامه ؟ وكيف هاجر ؟ ومتى ولى أمر المسلمين وهل وردت أحاديث فى بيان شرفه أخبر عنها الحبيب صلى الله عليه وسلم ؟

نقــول : هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، هو عمر الفاروق ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب، كما تقدم فى نسب ابنه عبد الله رضى الله عنهما، القرشى العدوى وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويعرف هاشم بذى الرمحين.

أسلم سيدنا عمر رضى الله عنه سنة ست من النبوة، وقيل : سنة خمس بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، ويقال : به تمت الأربعون، وظهر الإسلام يوم إسلامه، وسمى الفاروق لذلك، وشهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ.

وهو **أول خليفة** دعى بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين وأول من جمع القرآن فى الصحف، بعد الصديق أبى بكر، وأول من جمع الناس على قيام رمضان، وكان أبيض تعلوه حمرة، وقيل : آدم طوالاً أصلع، شديد حمرة العينين، فى عارضه خفة، أعسر يسر ، يخضب بالحناء والكتم، قام بالأمر بعد موت الصديق بعهده إليه، ونصه عليه.

وفى «الترمذى» من حديث جابر رضى الله عنه، قال : قال عمر رضى الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه : يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

قال ﷺ كما فى حديث ابن عمر عند الترمذى : اللهم أعز الإسلام بأحب هذين العمرين إليك، بأبى جهل، أو بعمر بن الخطاب. قال : فكان أحبهما إليه عمر.

قال الترمذى : حديث حسن صحيح. وأخرج أيضا من حديث ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

قال ابن عمر : مانزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر. قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وأخرج أبو داود من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : وضع الحق على لسان عمر يقول به، وروى الترمذى من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً: لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب، وقال : حديث حسن غريب.

وفى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون، من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن فى أمتى أحد؛ فإنه عمر.

قال ابن وهب تفسير محدثون : ملهمون، وأخرجه مسلم من حديث عائشة، والترمذى، وقال : حسن صحيح. وقال ابن عيينة : محدثون : مفهمون.

وأخرج البخارى، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وفى «الصحيحين» و «سنن الترمذى» و «النسائى» من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علىَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين.

وفى «الصحيحين» والترمذى أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى إنى لأرى الرى يخرج من أظفارى، ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب قال من حوله، فما أولته يا رسول الله ؟ قال : العلم.

وفى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينا أنا نائم رأيتنى على قليب وعليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها، ذنوباً أو ذنوبين. وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غَرْباً - أى دلواً عظيمة - فأخذها عمر بن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن، أخرجاه من حديث ابن عمر.

قال فى «النهاية» عبقرى القوم : سيدهم وكبيرهم وقويهم، والأصل فى العبقرى فيما قيل : إن عبقر قرية سكنها الجن فيما يزعمون، فكلما رأو شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق، أو شيئاً عظيماً فى نفسه؛ نسبوه إليها، فقالوا : عبقرى، ثم اتسع فيه حتى سمع به السيد والكبير.

وقوله : يفرى فريَّه ، أى يعمل عمله ويقطع قطعه. ويروى : يفرى فريه، بسكون الراء والتخفيف، ويحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل، وغلط قائله.

وأصل الفرى : القطع، يقال : فريت الشيء أفريه فرياً، إذا شققته وقطعته للإصلاح، فهو مفرى، وأفريته إذا شققته على جهة الإفساد.

والعطن : مبرك الإبل حول الماء، يقال : عطنت الإبل فهى عاطنة، وعواطن، إذا سقيت وبركت عند الحياض لتقاد إلى الشرب مرة أخرى، وأعطنت الإبل إذا فعلت بها ذلك مثلاً، لاتساع الناس فى زمن عمر رضى الله عنه وما فتح عليهم من الأمصار.

وفى الترمذى من حديث بريدة رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ فى بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جويرية سوداء، فقالت : إنى كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف، وأتغنى، فقال لها : إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا، فقالت : نذرت، فجعلت تضرب، وزاد رزين : وتقول :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

ثم اتفقا، فدخل أبو بكر رضى الله عنه وهى تضرب، ثم دخل على رضى الله عنه وهى تضرب، ثم دخل عثمان رضى الله عنه وهى تضرب؛ ثم دخل عمر رضى الله عنه فألقت الدف تحت إستها وقعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنى كنت جالساً وهى تضرب، فدخل أبو بكر وهى تضرب، ثم دخل على وهى تضرب، ثم دخل عثمان وهى تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف وجلست عليه. قال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب.

وفى «الصحيحين» من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك، وأخرجه مسلم من حديث أبى هريرة أيضاً.

والأحاديث فى فضله كثيرة، ومناقبة ومزاياه غزيرة، وقد كناه النبى ﷺ أبا حفص، وذلك لما قال ﷺ فى أسارى الكفار ببدر : إن رجالاً من بنى هاشم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى أحداً من بنى هاشم فلا يقتله. قال أبو حذيفة : أنقتل أبانا وإخواننا وعشريتنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألجمنّه السيف، فبلغ النبى ﷺ ذلك فقال : يا أبا حفص يضرب وجه عم النبى ﷺ بالسيف، فقال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص. رواه ابن الجوزى وغيره.

والحفص فى اللغة ولد الأسد، ويلقب بالفاروق، لأن الله فرق به بين الحق والباطل، ولما هاجر عمر رضى الله عنه إلى المدينة هاجر جهراً، وقال لمشركى قريش : من أراد أن تثكله أمه، وييتم ولده، ويرمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى، فما تبعه منهم أحد، وذلك بعد ما تقلد سيفه وتنكب قوسه، وطاف بالكعبة سبعاً، ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلق المشركين من قريش واحدة واحدة، فقال : شاهت الوجوه، من أراد أن تثكله أمه إلخ. أخرجه ابن عساكر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال : ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هَم بالهجرة تقلد سيفه... الخبر.

قال الإمام النووى وغيره : شهد عمر رضى الله عنه مع النبى ﷺ المشاهد كلها.
وأخرج ابن سعد والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه. قال : كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً. وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة رضى الله عنه قال : لما اسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً.
وأخرج ابن سعد عن صهيب رضى الله عنه قال : لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتى به.
وكان رضى الله عنه شديداً على الكفار والمنافقين، ووافق ربه فى أحكام معروفة مأثورة.
ولى رضى الله عنه بعد أبى بكر رضى الله عنه باستخلافه إياه عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر، ففتح الله به الفتوح، ودون الدواوين، ورتب الناس فى ذلك، وحج بالناس عشر سنين متوالية، وحج فى آخرهن بأمهات المؤمنين، وهو أول من نوَّر المساجد لصلاة التراويح، وأول قاض فى الإسلام، فإن الصدِّيق ولاه القضاء فى خلافته.
قتل عمر رضى الله عنه شهيداً سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. طعنه أبو لؤلؤة، فيروز غلام المغيرة بن شعبة فى صلاة الصبح ست طعنات، فمكث ثلاث ليال ومات يوم الأربعاء لثمان ليال بقين من ذى الحجة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.
روى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً. اتفق «الشيخان» على تسعة وعشرين، وانفرد البخارى بأربع وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين.
وفى «جامع الأصول» : إن أبا لؤلؤة لعنه الله طعن سيدنا عمر رضى الله عنه مصدر الحاج بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة، سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد غرة المحرم، سنة أربع وعشرين، وصلى عليه صهيب، ودفن إلى جانب أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنهما فى الحجرة الشريفة عند النبى ﷺ.
روى عنه أبو بكر وباقى العشرة رضى الله عنهم، وابنه عبد الله وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم، ومن التابعين علقمة بن وقاص الليثى، ومالك بن أوس، الحدثان، وهما معدودان من الصحابة.

فضيلة الدكتور / هناك اعتراض من الخطابى نرجو توضيحه والرد عليه ؟:

نقول : قال الخطابى رحمه الله تعالى فى قوله ﷺ ، كما فى «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبى هريرة : رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر : إن هذه اللفظة تصحيف، وعز القرطبى هذا لابن قتيبة، وارتضاه ابن بطال. قال : لأن الحور طاهرات لا وضوء عليهن، وكذا كل من دخل الجنة، لا يلزمه طهارة، وقد استدل الداودى بهذا الحديث على أن الحور فى الجنة يتوضأن ويصلين.

نقول : ورد الحافظ ابن حجر فقال : لا يلزم من كون الجنة لا تكليف فيها بالعبادة أن لا يصدر من أحد من العباد باختياره ما شاء من أنواع العبادة.

فضيلة الدكتور / هل الجنة والحور العين مخلوقتان وموجودتان الآن؟ وما هى آراء علماء أهل السنة فى ذلك وكيف ردوا على المعترضين؟

نقـول : دل الحديث على أن الجنة موجودة الآن، وكذا الحور العين، وهذا الحق الذى لا محيد عنه. قال ابن القيم فى كتابه «حادى الأرواح» : لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن نبعت نابعة من القدرية والمعتزلة، فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة، وقالت بل الله ينشئها يوم المعاد، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغى أن يفعل كذا، ولا ينبغى له أن يفعل كذا، وقاسوه سبحانه على خلقه فى أفعاله، فهم مشبه فى الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة، ليس فيها سكانها.

قالوا : ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح، وعطلها من الناس، ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه.

قال ابن القيم : فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب، وحرَّفوها عن مواضعها، وضلَّلوا، وبدَّعوا من خالفهم فيها، والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا صار السلف يذكرون فى عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.

قال أبو الحسن الأشعرى فى كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين» جملة ما

عليه أصحاب الحديث وأهل السنة، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردُّون من ذلك شيئاً. قال فيه : ويقرُّون أن الجنة والنار مخلوقتان، وقد قال تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها الجنة، كما في «الصحيحين» من حديث أنس رضى الله عنه في صفة الإسراء، وفي آخره، ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدرى ما هى. قال : ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ؛ وإذا ترابها المسك.

قال في «المطالع» فسروا الجنابذ بالقباب، واحدتها جنبذة بالضم، والجنبذة ما ارتفع من البناء.

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضى الله عنها في حديث الكسوف، وفيه : ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، حين رأيتموني تأخرت.

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عباس رضى الله عنهما. قال : انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر الحديث وفيه، فقالوا : يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت، فقال : إني رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا : بم يا رسول الله. قال : بكفرهن. قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط.

وفي «البخارى» عن أسماء بنت الصديق رضى الله عنهما في حديث الكسوف. قال ﷺ : دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ... الحديث، وروى مسلم من حديث جابر نحوه، وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث بن عمر نحوه.

وقد ذكر الله قصة خلق آدم وإسكانه الجنة وإهباطه له منها، وكرر ذلك في كتابه العزيز، وعلى كل حال فالحق الذى عليه أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار موجودتان الآن.

وقد قال الإمام أحمد رضى الله عنه في كتابه الذى يرد فيه على الجهمية والزنادقة. قال رضى الله عنه : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا. قال : وأدركت من أدركت، من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها؛ فهو مخالف مبتدع، خارج

الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، وساق رضى الله عنه أقوالهم، إلى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل، وخلق الخلق لهما، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً. فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل : (كل شيء هالك إلا وجهه) ونحو هذا من تشابه القرآن، قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء، لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة، لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة ولا أبداً، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل.

وقال فى رواية أبى جعفر الطائى محمد بن عوف ابن سفيان الحمصى – قال الخلال عنه : إنه حافظ، إمام فى زمانه، معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة، وكان الإمام أحمد رضى الله عنه يعرف له ذلك – فمن زعم أنهما لم يخلقا، فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن، كافر بالجنة والنار، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وقال الإمام أحمد فى رواية عبدوس بن مالك العطار، وذكر رسالته فى السنة، قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان، كما جاء عن رسول الله ﷺ : «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، فمن زعم أنهما لم تخلقا، فهو مكذب بالقرآن، وأحديث رسول الله ﷺ، قال : ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار» إلى غير ذلك من النقول عن الأئمة والرسول.

فضيلة الدكتور/ هل فى الحديث منقبة لسيدنا عمر بن الخطاب ؟

نقول نعم : ڤى هذا الحديث دليل على منقبة سيدنا عمر رضى الله عنه.

وفيه أن من علم من صاحبه خلقاً لا ينبغى أن يتعرض لما ينافره .

وفيه أن رسول الله ﷺ كان يعلم أن عمر كان شديد الغيرة .

وبالله التوفيق

الخامس والأربعون
(تشميت العاطس)

روى الإمام أحمد بسنده عن سليمان التيمى،حدثنا أنس: قال : عطس رجلان عند النبى ﷺ، فشمَّت أو قال : فسمَّت ـ أحدَهما وترك الآخر، فقيل : هما رجلان عطسا، فشمَّتَّ ـ أو قال : فسمَّتَّ ـ أحدهما وتركت الآخر ؟ فقال : إن هذا حمد الله عز وجل، وإن هذا لم يحمد الله، قال سليمان : أراه نحواً من هذا.

فضيلة الدكتور/ ماهو معنى التشميت والتسميت ؟وكيف كان قول أهل الجاهلية لمن عطس ؟ وكيف كان أدب الإسلام فى هذا الشأن ؟ ومن الرجلان ؟ وماهى الألفاظ الواردة فى شأن العاطس والمشمت ؟

نقـول :قال سليمان التيمى (ثنا أنس) بن مالك رضى الله عنه (قال عطس) بفتح الطاء المهملة فى الماضى، وبكسرها وضمها فى المضارع (رجلان) قال فى «الفتح» فى حديث أبى هريرة، عند البخارى فى «الأدب المفرد» وصححه ابن حبان، أحدهما أشرف من الآخر، وأن الشريف لم يحمد، وللطبرانى من حديث سهل بن سعد : أنهما عامر بن الطفيلى وابن أخيه (عند النبى ﷺ، فشمت) فتح الفاء والشين المعجمة والميم المشددة : قال ابن مفلح فى «الأداب الكبرى» : التشميت بالمعجمة هى الفصحى، ومعناها أبعدك الله عن الشماتة، قال ابن الأبنارى : كل داع بخير فهو مشمت؛ (أو قال : فسمت) بالسين المهملة قال فى «الفتح» : وقع فى رواية الإمام أحمد، عن سليمان التيمى، فشمت أو سمت، بالشك فى المعجمة والمهملة، وهو من التشميت. قال الخليل وأبوعبيد وغيرهما : يقال : بالمعجم والمهملة. قال ابن الأنبارى : والعرب تجعل الشين والسين فى اللفظ الواحد بمعنى.

قال فى «الفتح» : وهذا ليس مطرداً، بل هو فى مواضع معدودة، قال : وقد جمعها شيخنا مجد الدين صاحب «القاموس» فى جزء لطيف. قال ثعلب : الاختيار أنه بالمهملة، لأنه مأخوذ من السمت، وهو القصد والطريق القويم. ورجحه ابن دقيق العيد. وقال القزّاز : التسميت : التبريك، والعرب تقول : سمته : إذا دعا له بالبركة، وسمت عليه : إذا برك عليه، وفى الحديث؛ فى قصة تزويج على بفاطمة : سمت عليهما، أى دعا لهما بالبركة. نقل ابن التين، عن أبى عبد الملك قال : التسميت بالمهملة أفصح، وهو من سمت الإبل فى المرعى إذا جمعت فمعناه على هذا : جمع الله شملك، وتعقبه : بأن سمت الإبل إنما هو بالمعجمة، وكذا نقله غير واحد أنه بالمعجمة، فيكون معنى سمته : دعا له بأن يجمع شمله. وقيل : بالمعجمة من الشماتة، وهى فرح الشخص بما يسوء عدوه، فكأنه دعا له أن لا يكون فى حال من يشمت به،

أو أنه إذا حمد الله أدخل على الشيطان ما يسوؤه، فشمت هو بالشيطان. وقيل : هو من الشوامت جمع شامتة، وهى القائمة، يقال : لا ترك الله له شامتة، أى قائمة.

وقال ابن العربى فى «شرح الترمذى» : تكلم أهل اللغة على اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه، وهو بديع. وذلك أن العاطس ينحل كل عضو فى رأسه، وما يتصل به من العنق ونحوه، فكأنه إذا قيل له يرحمك الله؛ كان معناه أعطاك الله رحمة يرجع بها بدنك إلى حاله قبل العطاس، ويقيم على حاله من غير تغيير. فإن كان التسميت بالمهملة؛ فمعناه : رجع كل عضو إلى سمته الذى كان عليه. وإن كان بالمعجمة؛ فمعناه : صان الله شوامته، أى قوائمه التى بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال. قال : وشوامت كل شيء قوائمه التى بها قوامه، فقوام الدابة بسلامة قوائمها التى ينتفع بها إذا سلمت، وقوام الآدمى بسلامة قوائمه التى بها قوامه وهو رأسه، وما يتصل به من عنق وصدر كما فى «الفتح» وفى «مفتاح دار السعادة» لابن القيم روح الله روحه : التسمين بالمهملة : تفعيل من السمت الذى يراد به حسن الهيئة والوقار، فيقال : لفلان سمت حسن، فمعنى سمّت العاطس؛ وقّرته وأكرمته وتأدبت معه بأدب الله ورسوله فى الدعاء له، وقيل : سمّته، دعا له أن يعيده الله إلى سمته قبل العطاس من السكون والوقار وطمأنينة الأعضاء، فإن فى العطاس من انزعاج الأعضاء واضطرابها، ما يخرج العاطس عن سمته، فإذا قال له السامع يرحمك الله، فقد دعا له أن يعيده الله إلى سمته وهيئته. وأما بالمعجمة فقال ابن السكيت وجمع : إنه بمعنى التشميت وأنهما لغتان، ذكره فى كتاب «القلب والإبدال» ولم يذكر أيهما الأصل، ولا أيهما البدل. وقال أبو على الفارسى : المهملة الأصل فى الكلمة، وعكس تلميذه ابن جنى. ثم قال فى «مفتاح دار السعادة» : **ومما كان فى الجاهلية** يتطيرون به ويتشاءمون منه؛ العطاس، كما يتشاءمون البوارح والسوانح. قال رؤبة بن العجّاج يصف فلاة : قطعتها ولا أهاب العطاسا.

وقال امرؤ القيس :

وقد اعتدى قبل العطاس بهيكل ... شديد مسد الجيب نعم المنطق

أراد : أنه تنبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم، لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم به. وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا له : عمراً وشباباً، وإذا عطس من يكروهونه قالوا له : ورياً وقحاباً. والورى كالرمى داء يصيب الكبد فيفسدها، والقحاب كالسعال وزناً ومعنى، فكان الرجل إذا سمع عطاساً، فتشاءم به، يقول : بك لأبى، أى أسأل الله

أن يجعل شؤم عطاسك بك لأبى، وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد. فلما جاء الله بالإسلام؛ وأبطل برسوله ﷺ ما كان عليه الجاهلية الطغاة من الضلال والبهتان والآثام، نهى أمته عن التشاؤم والتطير، وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه، دعاء له بالرحمة. ولما كان الدعاء على العاطس نوعاً من الظلم والبغى، جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافى للظلم، وأمر العاطس أن يدعو لسامعه ومشمته بالمغفرة والهداية وإصلاح البال. فيقول : يغفر الله لنا ولكم، ويهديكم الله ويصلح بالكم. فالدعاء بالهداية لأنه اهتدى إلى طاعة الرسول، ورغب عما كانت عليه الجاهلية، فدعا له أن يثبته الله عليها، ويهديه إليها، وكذلك الدعاء بإصلاح البال، وهى كلمة جامعة. **وأما الدعاء بالمغفرة**، فجاء بلفظ يشمل العاطس والمشمت، فيقول : يغفر الله لنا ولكم، ليتحصل من مجموع دعوتى العاطس والمشمت لهما المغفرة والرحمة معاً، فصلوات الله وسلامه على المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة.

قوله(أحدهما) ﷺ (وترك الآخر) فلم يشمته (فقيل) بالبناء للمجهول والسائل عن ذلك هو العاطس الذى لم يحمد، وقع كذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى «الأدب المفرد» للبخارى ولفظه : فسأله الشريف. وكذا فى رواية عند البخارى عن أنس رضى الله عنه : عطس رجلان عند النبى ﷺ فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر، فقال الرجل : شمت هذا ولم تشمتنى. قال فى «الفتح» : وهذا قد يعكر على ما فى حديث سهل بن سعد أن الشريف المذكور هو عامر بن الطفيل، فإنه كان كافراً، ومات على كفره، فيبعد أن يخاطب النبى ﷺ بقوله : يا رسول الله كما فى رواية، ويحتمل أن تكون القصة لعامر بن الطفيل غير المذكور، ففى الصحابة عامر بن الطفيل الأسلمى، له ذكر فى الصحابة، وحديث رواه عنه عبد الله بن بريدة الأسلمى. حدثنى عمى عامر بن الطفيل، وفى الصحابة أيضاً عامر بن الطفيل الأزدى، ذكره وثيمة فى كتاب «الردة» وأورده له مرثية فى النبى ﷺ، فإن لم يكن فى حديث سهل بن سعد ما يدل على أنه العامرى المشهور؛ احتمل أن يكون أحد هذين.

قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» : ثم راجعت «معجم الطبرانى» فوجدت سياق حديث سهل بن سعد، الدلالة الظاهرة على أن عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، الفارس المشهور، وكان قدم المدينة وجرى بينه وبين ثابت بن قيس بحضرة النبى ﷺ كلام، ثم عطس ابن أخيه فحمد فسمته النبى ﷺ ثم عطس عامر فلم يحمد فلم يسمته فسأله. (هما) أى العاطسان (رجلان عطسا) أى كل واحد منهما قد عطس (فشمت أو قال فسمت) بالمعجمة أو المهملة (أحدهما وتركت الآخر) فلم تشمته، أى فلأى شيء فعلت هذا ؟ (فقال) ﷺ (إن هذا) الذى شمته (حمد الله عز

وجل) فاستحق بحمده لربه أن يشمت (وأن هذا) الذى لم أشمته (لم يحمد الله) عز وجل عقب عطاسه فاستحق أن لا يشمت (قال سليمان) التيمى رحمه الله ورضى عنه (أراه) بضم الهمزة وفتح الراء والهاء بعد الألف، أى أظنه يعنى الحديث الذى سمعته من أنس بن مالك رضى الله عنه (نحواً) بالنصب مفعول ثان لأرى، والأول : الضمير فى أراه (من هذا) الحديث الذى سقته إن لم يكن عنه. وفى «الأدب المفرد» للبخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : «أن هذا ذكر الله فذكرته، وأنت نسيت الله فنسيتك»، وقد يطلق النسيان ويراد به الترك. قال الحليمى : الحكمة فى مشروعية الحمد للعاطس أن العطاس يدفع الأذى من الدماغ الذى فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب التى هى معدن الحس، وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة، يناسب أن تقابل بالحمد لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه سبحانه لا إلى الطبائع.

وفى الحديث دليل على أن التشميت إنما يشرع لمن حمد الله تعالى، قال ابن العربى : وهو مجمع عليه، وفى «صحيح مسلم»، من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه مرفوعاً : «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، وإن لم يحمد الله فلا تشمتوه». قال النووى : ومقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمت. قال فى «الفتح» : هو منطوقة، لكن هل النهى فيه للتحريم أو التنزيه ؟ الجمهور على الثانى. قال يحيى بن أبى كثير عن بعضهم : حق على الرجل إذا عطس أن يحمد الله تعالى، وأن يرفع صوته، وأن يسمع من عنده، وحق عليهم أن يشمتوه. فإن شمت من لم يحمد كره. **ويؤخذ من الأحاديث** : أن العاطس لو أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمت، كما فى «صحيح البخارى» وغيره : «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله، فإذا قال له : يرحمك الله؛ فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم، فإن زاد : ويدخلكم الجنة عرفها لكم، فلا بأس به، لأنه روى عن الحسن أنه قال، كما ذكر فى «الآداب» لابن مفلح. وظاهر الأحاديث وجوب الحمد على العاطس، لثبوت الأمر الصريح به. ولكن نقل النووى الاتفاق على استحبابه.

وأما لفظه : فنقل ابن بطال وغيره، عن طائفة أن لا يزيد على الحمد لله، وعن طائفة يقول : الحمد لله على كل حال، كما جاء عن ابن عمر، وقال : هكذا علمنا رسول الله ﷺ، أخرجه البزار والطبرانى، وأصله فى الترمذى، وعند الطبرانى من حديث أبى مالك الأشعرى رفعه : «إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله على كل حال» ومثله عن أبى داود. وللإمام أحمد والنسائى من حديث سالم بن عبيد رفعه : «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال، أو الحمد لله رب العالمين» وعن طائفة يقول : الحمد لله

رب العالمين. كما ورد فى حديث ابن مسعود، رواه البخارى فى «الأدب المفرد» والطبرانى. وورد الجمع بين اللفظتين، فعند البخارى فى «الأدب المفرد» عن على رضوان الله عليه قال : «من قال عند عطسة سمعها الحمد لله رب العالمين على كل حال، لم يجد وجع الضرس ولا الأذن أبداً» وهو موقوف، رجاله ثقات. ومثله لا يقال من قبل الرأى، فله حكم الرفع. وقد أخرجه الطبرانى من وجه آخر عن على مرفوعاً بلفظ : «من بادر العاطس بالحمد؛ عوفى من وجع الخاصر؛ ولم يشك ضرسه أبداً» وسنده ضعيف. وللبخارى فى «الأدب المفرد» والطبرانى بسند لا بأس به، عن ابن عباس قال : «إذا عطس الرجل فقال : الحمد لله. قال الملك : رب العالمين، فإن قال رب العالمين. قال الملك : يرحمك الله» وعن طائفة ما زاد من الثناء فيما يتعلق بالحمد كان حسناً. فقد أخرج أبو جعفر فى «التهذيب» بسند لا بأس به، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت:«عطس رجل عند النبى ﷺ فقال الحمد لله، فقال له النبى ﷺ : يرحمك الله، وعطس آخر فقال : الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فقال : ارتفع هذا على هذا تسع عشرة درجة» وأخرج ابن السنى بسند ضعيف، عن أبى رافع قال : «كنت مع رسول الله ﷺ فعطس فخلى يدى، ثم قام فقال شيئاً لم أفهمه، فسألته فقال : أتانى جبريل فقال : إذا أنت عطست فقل : الحمد لله لكرمه، الحمد لله لعزة جلاله، فإن الله عز وجل يقول صدق عبدى ثلاثاً، مغفور له».

ولا أصل لما اعتاده كثير من الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد قوله الحمد لله رب العالمين، وكذا العدول عن الحمد إلى أشهد أن لا إله إلا الله، أو تقديمها على الحمد، فهو مكروه. وفى «الأدب المفرد» للبخارى عن مجاهد، أن ابن عمر رضى الله عنهما سمع ابنه عطس، فقال : أب فقال وما أب ؟ إن الشيطان جعلها بين العطسة والحمد» وأخرجه ابن أبى شيبة بلفظ : اش بدل أب، ونقل ابن بطال عن الطبرانى : أن العاطس يتخير بين أن يقول الحمد لله؛ أون يزيد رب العالمين، أو على كل حال، والذى يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزئ، لكن ما كان أكثر ثناء؛ كان أفضل بشرط أن يكون مأثوراً.

وأما التشميت، فمداره على عدة ألفاظ : يرحمك الله، ويهديكم الله، ويصلح بالكم، وبدون زيادة : ويصلح بالكم، وبزيادة : ويدخلكم الجنة عرفها لكم، ويغفر الله لنا ولكم. وكان ابن عمر إذا عطس فقيل له : يرحمك الله، قال : يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم، وقال الإمام أحمد : التشميت يهديكم الله ويصلح بالكم، وقال : هذا عن النبى ﷺ من وجوه. وذكر القاضى : أنه روى عن رسول الله ﷺ لفظان : أحدهما يهديكم الله، والثانى يرحمكم الله. كذا قال. وصوب ابن تيمية، ويغفر الله لكم. قال

القاضى : ويختار أصحابنا، يهديكم الله، لأن معناه يديم هدايتكم. واختار بعض العلماء : يغفر الله لنا ولكم. وقال مالك والشافعى : يخير بين هذا؛ وبين يهديكم الله ويصلح بالكم. وفى «الأدب المفرد» للبخارى بسند صحيح، عن أبى جمرة بالجيم : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما إذا شمت يقول : عافانا الله وإياكم من النار، ويرحمكم الله. وفى «الموطأ» عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان إذا عطس فقيل له: يرحمك الله، قال : يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم. قال ابن دقيق العيد: ظاهر الحديث أن السنة لا تتأدى إلا بالمخاطبة. وأما ما اعتاده كثير من الناس من قولهم للرئيس : يرحم الله سيدنا فخلاف السنة. قال : وبلغنى عن بعض الفضلاء، أنه إذا شمت رئيساً فقال له يرحمك الله يا سيدنا، فجمع بين الأمرين وهو حسن.

ومالذى ينبه عليه هذا الحديث ؟

نقول يتمثل ذلك فى الآتى :

الأول : تشميت عاطس مسلم حمد، وإجابته فرض. ومن جمع كفاية، وقيل : فرض عين مطلقاً، وقال به ابن مزين من المالكية، وجمهور أهل الظاهر، وقال ابن أبى حمزة : قال جماعة من علمائنا : إنه فرض عين، وقوّاه الإمام ابن القيم فى «حواشى السنن» فقال : جاء بلفظ الوجوب الصريح، وبلفظ الحق الدال عليه، وبلفظ على الظاهرة فيه، وبصيغة الأمر التى هى حقيقة فيه، وبقول الصحابى : أمرنا رسول الله ﷺ قال : ولا ريب أن الفقهاء أثبتوا وجوب أشياء كثيرة بدون مجموع هذه الأشياء، وذهب عبد الوهاب من المالكية إلى أنه مستحق، ويجزئ الواحد عن الجماعة، وهو قول الشافعية، والراجح أنه فرض كفاية، وهو مذهب معظم الحنابلة والحنفية والمالكية. والله أعلم.

ومن آداب العاطس : أنه إذا عطس خمر وجهه، وغض صوته، ولا يلتفت يميناً وشمالاً، وحمد الله جهراً؛ بحيث يسمع جليسه ليشمته.

الثانى : إذا نسى العاطس الحمد لم يذكره جليسه، لكن يعلم الصغير أن يحمد الله، وكذا حديث عهد بإسلام ونحوه. ذكره علماؤنا وهو ظاهر قوله ﷺ : «وإذا لم يحمد فلا تشمتوه» وقال الإمام النووى من الشافعية : يستحب لمن حضر من عطس فلم يحمد أن يذكره الحمد، ليحمد فيشمته، وقد ثبت ذلك عن إبراهيم النخعى، وهو من باب النصيحة، والأمر بالمعروف. وزعم ابن العربى : أنه جهل من فاعله، وخطّأه النووى واستصوب الاستحباب. قالوا : ولو جمع بينهما فقال : الحمد لله، يرحمك الله، جمع جهالتين : إلزامه نفسه مالا يلزمها، وإيقاعه التشميت قبل وجود الحمد من العاطس.

وحكى أن رجلاً عطس عند الأوزاعى فلم يحمد، فقال له : كيف يقول من

عطس ؟ فقال : الحمد لله، فقال يرحمك الله. ويروى عن النبى ﷺ أنه قال : «من سبق العاطس بالحمد، أمن من الشوص والوص والعلوص» وهذه أوجاع اختلف فى بعضها، ذكره ابن الأثير فى «النهاية» وغيره. والحديث ضعيف. قال فى «القاموس»: الشوص : وجع الضرس والبطن، وقال فى العلوص كسنَّور التخمة ووجع فى البطن، وقال فى اللوص: وجع الأذن أو البخر، ومثل ذلك فى «النهاية».

الثالث : لا يجب تشميت جماعة، منهم الذمى، فلا يجب ولا يستحب، فإن قيل له: يهديكم الله جاز. فقد أخرج أبو داود وصححه الحاكم من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : «كانت اليهود يتعاطسون عند النبى ﷺ رجاء أن يقول : يرحمكم الله، فكان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم».

ومنهم : الصبى إذا عطس؛ فإنه يدعى له بأن يقال : بورك فيك وجبرك الله.

ومنهم : الشابة فلا تشمت الأجنبى ولا يشمتها.

ومنهم المزكوم فإنه يشمته ثلاث مرات، وفى «الأدب المفرد للبخارى»، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : «شمته واحدة، وثنتين، وثلاثا، فما كان بعد ذلك فهو زكام» هكذا أخرجه موقوفا، وأخرجه أبو داود كذلك، ولفظه : «شمت أخاك» ورفعه غير واحد، والأحاديث بذلك متضافرة، ويدعو له بعد الرابعة بالعافية.

وبالله التوفيق

السادس والأربعون
ركوب البدنة في الحج

عن أنس أن رسول الله ﷺ مرَّ برجل يسوق بدنة فقال : اركبها، قال إنها بدنة. قال اركبها، مرتين أو ثلاثاً.

فضيلة الدكتور / من الرجل ؟ وعلام تطلق البدنة ؟ ولماذا لم يركبها الرجل ؟ وعلام أرشده النبى ؟ وماهى أراء العلماء فى ركوب البدن ؟

نقول : عن أنس بن مالك (أن رسول الله ﷺ مر برجل). قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» : لم أقف على تسميته، ولم يتعرض له البرماوى فى «مبهمات العمدة»، وبيض له جلال الدين البلقينى فى «مبهمات البخارى» من حديث أبى هريرة وأنس رضى الله عنهما «يسوق بدنة» زاد مسلم : مقلدة بقلادة فى عنقها. قال الجوهرى : التقليد أن يعلق فى العنق شيء ليعلم أنها هدى.

والبدنة تقع على الجمل والناقة، والبقرة وهى بالإبل أشبه، وكثر استعمالها فيما كان هدياً.وفى «المطلع» قال كثير من أهل اللغة : البدنة تطلق على البعير والبقرة. وقال الأزهرى : تكون من الإبل والبقر والغنم.

وقال صاحب «المطالع» وغيره : البدنة والبدن، هذا الاسم يختص بالإبل لعظم أجسامها.

وللمفسرين فى قوله تعالى : (والبدن جعلناها لكم) ثلاثة أقوال :

أحدهما : أنها الإبل، هو قول الجمهور.

الثانى : أنها الإبل والبقر، قاله جابر وعطاء.

الثالث : أنها الإبل والبقر والغنم.

وعند أحمد أنه إذا نذر بدنة وأطلق أجزأته بقرة. وإن نوى شيئاً لزمه ما نواه، ولابد فى إجزاء البدنة الواجبة من الإبل أن تكون تم لها خمس سنين ودخلت فى السادسة، وأن تكون بصفة ما يجزئ فى الأضحية، ومن البقر حيث أجزأت عن البدنة أن تكون تم لها سنتان وطعنت فى الثالث.

(فقال) ﷺ للرجل الذى يسوقها : (اركبها) لتخالف بركوبك لها الجاهلية فى ترك الانتفاع بالسائبة، والوصيلة، والحام.

وأوجب بعضهم ركوبها لهذا المعنى عملاً بظاهر الأمر، وحمله الجمهور على الإرشاد لمصلحة دنيوية، واستدلوا بأنه ﷺ أهدى ولم يركب، ولم يأمر جميع الناس بركوب الهدايا، وجزم العلماء أن له الركوب لحاجة فقط بلا ضرر، ويضمن نقصها إن نقصت.

قال فى «الفروع» : وله ركوبه، أى الهدى لحاجة، ومطلقاً. بلا ضرر، ويضمن نقصه ، وجزم النووى من الشافعية فى «الروضة» كأصلها بجواز الركوب مطلقاً، ونقله فى «المجموع» عن القفّال والماوردى، ونقل فيه عن أبى حامد وغيره تقييده بالحاجة، ودليله ما أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائى من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعاً :«اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها حتى تجد ظهراً»، فهذا خبر صحيح مقيد، والمقيد يقضى على المطلق، ولأنه شيء خرج عنه لله يرجع فيه، ولو أبيح النفع لغير ضرورة أبيح استئجاره، ولا يجوز ذلك اتفاقاً.

(قال) : وفى لفظ : فقال الرجل : (إنها بدنة) أى هدى (قال) : وفى لفظ : فقال، بزيادة الفاء : (اركبها) كرر ذلك النبى ﷺ، يعنى أمر الرجل بركوب بدنته (مرتين أو ثلاثا) من المرات، كذا فى «صحيح مسلم» بالشك. وقال البخارى : ثلاثاً من غير شك، وفى آخرها قال: اركبها، ويلك، قالها فى الثانية أو الثالثة.

وفى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة، قال له رسول الله ﷺ : «ويلك اركبها». فقال : بدنة يا رسول الله ؟ قال : «ويلك اركبها، ويلك اركبها». قال أبو هريرة رضى الله عنه كما فى «البخارى» : فلقد رأيته راكباً يساير النبى ﷺ.

قوله ﷺ للرجل : «ويلك» بالنصب على الفعل المطلق بفعل من معناه محذوف وجوباً، أى ألزمه الله ويلاً، وهى كلمة تقال من وقع فى الهلاك، أو لمن يستحقه، أو هى بمعنى الهلاك، أو المشقة من الحزن أو العذاب، أو وادٍ فى جهنم أو بئر فيها، أو باب لها، أقوال. وإنما دعا بها النبى ﷺ على الرجل، لعدم مبادرته وامتثال أمره، تأديباً لأجل مراجعته له مع عدم خفاء الحال عليه، ويحتمل أنها إنما جرت على لسانه ﷺ على ما اعتيد فى لغة العرب فى مخاطبة بعضهم بعضاً من غير قصد لموضوعها، كما فى : «تربت يداك» ونظائرها. وقيل : إن الرجل كان قد أشرف على الهلاك من الجهد، وكلمة ويل تقال لمن أشرف على الهلاك أو وقع فى هلكة، فالمعنى : أشرفت على الهلاك فاركب، فهى على هذا إخبار. وفى حديث أنس أيضا عند الإمام أحمد، والنسائى : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة، وقد أجهده المشى. فقال : «اركبها»، قال : إنها بدنة، قال : «اركبها»، قال : إنها بدنة، فقال له ﷺ فى الثالثة أو الرابعة : «اركبها ويحك أو ويلك»، رواه الترمذى، وهو فى «البخارى» فى باب هل ينتفع الواقف بوقفه، كذلك والله أعلم.

السابع والأربعون
(إنا أعطيناك الكوثر)

عن أنسَ بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسماً، إمّا قال : قال لهم، وإمّا قالوا له: لِمَ ضحكت ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنه أُنزلت علىَّ آنفاً سورة؛ فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم (إنّا أعطيناكَ الكوثر ..) حتى ختمها. قال : هل تدرونَ ما الكوثرُ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال هو نهر أعطانيه ربى فى الجنة، عليه خير كثير، تَردُ عليه أمتى يوم القيامة، آنيتهُ عدد الكواكب، يُختلجُ العبد منهم، فأقول : يارب ! إنه من أمتى، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك.)

فضيلة الدكتور/ نود بيان المعنى العام لهذا الحديث مع بيان ما أنزل على النبى من سور القرآن وما معنى الإغفاءة وما المقصود بالتبسم ؟

نقول : يخبرنا الصحابى أنس بن مالك) رضى الله عنه أن : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة) قال فى «النهاية» : يقال : أغفى إغفاءاً وإغفاءة؛ إذا نام، وقلما يقال : غفا، قال الأزهرى: اللغة الجيدة أغفيت، ويقال أيضاً غفوت غفوة، أى نمت نومة خفيفة. (فرفع) ولفظ مسلم ثم رفع (رأسه) من نومه حال كونه (مبتسماً) وهو مبادئ الضحك، فهو من الضحك بمنزلة السنّة من النوم، ومنه قوله تعالى : (فتبسم ضاحكا) أى شارعاً فى الضحك. وفى الحديث كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً. وحمل على غالب أحواله، لأنه ورد : جل ضحكه التبسم، ولما ثبت أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وقد قيل : إنه ما كان ﷺ يضحك إلا فى أمر الآخرة، وأما فى أمر الدنيا فلم يزد عن التبسم (إما قال) أنس : (قال لهم، وإما قالوا) هم، أى الصحابة (له : لِمَ ضحكت؟) وفى «مسلم» فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ (فقال رسول الله ﷺ)، ولفظ مسلم قال : (إنه) أى الشأن والأمر، أو ضحكى (أنزلت)، ولفظ مسلم نزلت (علىَّ آنفاً) أى قريباً أوالساعة، وقيل : فى أول وقت كنا فيه، وكله من الاستئناف والقرب (سورة) قال فى «المطلع» تهمز لشبهها بالسؤر الذى هو بقية الشيء، ولا تهمز لشبهها بسور المدينة. قال فى «القاموس» : السورة المنزلة من القرآن معروفة، سميت بذلك لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى (فقرأ) صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر) واستمر فى قراءتها (حتى ختمها) عليه الصلاة والسلام، ثم (قال) ﷺ : (هل) ولفظ مسلم : (أتدرون ما الكوثر ؟ قالوا :) ولفظ مسلم : قلنا: (الله ورسوله أعلم، قال): عليه السلام (هو) أى الكوثر (نهر أعطانيه ربى) ولفظ مسلم: قال : فإنه نهر وعدنيه ربى (فى الجنة، عليه خير كثير) ولهذا فسر

ابن عباس رضى الله عنهما، الكوثر بالخير الكثير الذى أعطاه الله لنبيه ﷺ، قال أبو بشير : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناساً يزعمون أنه نهر فى الجنة، قال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه. قال ابن حجر : هذا تأويل من سعيد بن جبير، جمع بين حديثى عائشة أنه نهر فى الجنة، وابن عباس أنه الخير الكثير. (ترد عليه) أى الكوثر (أمتى) ولفظ مسلم : هو حوض ترد عليه أمتى (يوم القيامة) وفى «سنن الترمذى»، من حديث ابن عمر رفعه : الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت ... الحديث، وقال : حسن صحيح. وحاصل ما قاله سعيد بين جبير؛ أن قول ابن عباس رضى الله عنهما: إنه الخير الكثير، لا يخالف قول غيره: إن المراد به نهر فى الجنة، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير. ولعل سعيد أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لأنه يشمل كل خير كثير مفرط، من علم وعمل، وشرف الدارين؛ لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبى ﷺ من عدة طرق عن عدد من الصحابة؛ فلا معدل عنه، لثبوت ذلك وصحته عن الذى أنزل عليه الوحى. ففى «البدور السافرة» للسيوطى رحمه الله تعالى : ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً، وهم الخلفاء الأربعة، وأبى بن كعب، وأسامة بن زيد، وأسيد بن حضير، وأنس، والبراء بن عازب، وحذيفة، وعائشة، وعدّهم وساق أحاديثهم رضى الله عنهم ، (آنيته) أى الحوض، وهى جمع إناء، كسقاء وأسقية، وجمع الآنية أوانى (عدد الكواكب) جمع كوكب، يعنى النجوم. والمراد –والله أعلم– التكثير.

وفى «صحيح البخارى» . عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، أنها سئلت عن قوله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم، عليه در مجوف، آنيته بعدد النجوم (يُختلج) أى يقتطع ويجتذب (العبد منهم) أى من أمتى (فأقول : يارب ! إنه من أمتى) أى فكيف يختلج، ويقطع عن الورود على حوضى من بين أمتى وهو منهم (فيقال) للنبى صلى الله عليه وسلم، أى تقول له الملائكة، أو الحق جل شأنه : (إنك لا تدرى ما أحدثوا) يعنى هؤلاء المختلجين (بعدك) من البدع، وتغيير السنّة، والطريقة الحسنة.

قال القرطبى : كل ما ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به، فهو من المطرودين عن الحوض، قال : وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، كالخوارج، والروافض، والمعتزلة، على اختلاف فرقهم، فهؤلاء كلهم مبدّلون، وكذا الظلمة المسرفون فى الجور والظلم، وطمس الحق، وإذلال أهله، والمعلنون بالكبائر، المستخفّون بالمعاصى، وجماعة أهل الزيغ والبدع. ثم الطرد قد يكون فى حال، ثم

يقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال، ولم يكن فى العقائد. قد يقال : إن أهل الكبائر يردون ويشربون، فإذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش.

وهذا على ما اختاره القرطبى من أن الحوض بعد الصراط، والذى رجحه القاضى عياض : أن الحوض بعد الصراط، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار.

وقال الحافظ ابن حجر : ظواهر الأحاديث أن الحوض بجانب الجنة لينصبَّ فيه الماء من النهر الذى داخلها، فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذى ينصب من الكوثر فيه، قال : وأما ما أورد عليه من الحديث، أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يروه ويدهب بهم إلى النار، فجوابه : أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويُرون، فيدفعون فى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط.

قال القرطبى : المعنى يقتضى تقديم الحوض على الصراط، فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً، فناسب تقديمه، وقال القرطبى أيضاً : الصحيح أن للنبى ﷺ حوضين؛ أحدهما فى الموقف قبل الصراط، والثانى فى الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً. قال : ولا يخطر ببالك، أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده فى الأرض المبدلة، وهى أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم عليها أحد قط.

فضيلة الدكتور/ نود توضيحا أكثر عن الحوض بما ورد عن الحبيب وكيف يكون حال من عصى ؟ ؟

نقول وبالله التوفيق يتمثل ذلك فى النقاط التالية :

١-: الحوض والكوثر ثابت بالنص، وإجماع أهل السنة والجماعة، حتى عدَّه أهل السنة فى العقائد الدينية، لأجل الرد على أهل البدع والضلال.

وقد [illegible] ابن أبى عاصم فى السنة، والبيهقى، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال [illegible] قوم يكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من الن[illegible]

واخرج الحاكم، وابن المبارك، عن أنس رضى الله عنه، قال : دخلت على زياد وهم يتذاكرون الحوض، فقالوا ما تقول فى الحوض ؟ فقلت : والله ما شعرت أن أعيش حتى أرى أمثالكم يشكّون فى الحوض، لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلى واحدة منهنَّ صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد ﷺ وفى حديث أبى برزة رضى الله عنه، أنه قال [illegible] عبيد الله بن زياد : إنما بعثت إليك لأسالك عن الحوض، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ قال أبو برزة : لا مرة ولا [illegible] ولا ثلاثاً ولا

أربعاً ولا خمساً، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضباً. أخرجه أبو داود.
٢- ورد عن النبى ﷺ : أن حوضه مسيرة شهر، وزواياه سواء، يعنى عرضه مثل طوله. أخرجه الإمام أحمد، والبزار، من حديث جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما. وأخرج الطبرانى فى «الأوسط» من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما، مرفوعاً : حوضى ما بين أيلة إلى صنعاء، له ميزابان : أحدهما من ذهب، والآخر من فضة. وفى «الطبرانى» عن أنس مرفوعاً : أن عرضه وطوله ما بين المشرق إلى المغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، لا يشربه من أخفر ذمتى، ولا من قتل أهل بيتى.

وفى «صحيح مسلم» و «سنن الترمذى» من حديث أبى ذر مرفوعاً : والذى نفسى بيده، لآنيته – يعنى حوضه صلى الله عليه وسلم – أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة، من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخب ميزابان من الجنة، عرضه مثل طوله، مابين عُمان إلى أيلة، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل.

وفى «الصحيحين» و «الترمذى»، من حديث أنس مرفوعاً : ما بين ناحيتى حوضى كما بين صنعاء والمدينة. وفى رواية : كمثل ما بين المدينة وعُمان. وفى أخرى : ما بين لابتى حوضى. وفى أخرى : ترى فيه أباريق الذهب والفضة، كعدد نجوم السماء. وفى لفظ : أكثر من عدد نجوم السماء. وفى أخرى : إن قدر حوضى ما بين أيلة وصنعاء اليمن.

وفى «الصحيحين» أيضاً، من حديث حارثة بن وهب رضى الله عنه؛ أنه سمع النبى ﷺ قال : حوضى ما بين صنعاء والمدينة، فقال المستورد : ألم تسمعه قال : الأوانى ؟ قال : لا، قال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب.

وفى «مسلم» من حديث سمرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا إنى فرطكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة، كأن الأباريق فيه النجوم.

وفى «الصحيحين» و «أبى داود»، من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال : إن أمامكم حوض ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرُح. قال بعض الرواة : هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال.

وفى «مسلم» عن ثوبان رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل عن عرض حوضه، فقال : من مقامى إلى عُمان.

وفى «الترمذى» عن أبى سلام الحبشى، قال : بعث إلىّ عمر بن عبد العزيز

فحملت على البريد، فلما دخلت عليه قلت : يا أمير المؤمنين ! لقد شق عليَّ مركبي البريد، فقال : يا أبا سلام ! ما أردت أن أشق عليك، ولكني بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ في الحوض، فأحببت أن تشافهني به، فقلت : حدثني ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال : حوضي مثل ما بين عدن إلى عَمَّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وأكوابه بعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. أول الناس وفوداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم أبوب السدد. فقال عمر رضي الله عنه: قد أنحكت المنعمات؛ فاطمة بنت عبد الملك، وفتحت إلى أبواب السدد، لا جرم لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ.

٣-: قال القرطبي : ظن بعض الناس، أن اختلاف هذه التحديدات في الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات متعددة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، وربما قدر ذلك بالزمان، فيقول : مسيرة شهر، والمعنى المقصود من ذلك كله؛ أنه حوض كبير متسع الجوانب. وكان من حضرة ﷺ ممن يعرف تلك الجهات بخطاب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، وبالله التوفيق.

٤-: في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن إليَّ رجال منكم، إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب ! أصحابي، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفيهما من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : ليردنَّ على الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رفعوا إلى اختلجوا دوني، فلأقولنَّ : أي رب ! أصحابي أصحابي، فليقالنَّ لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. زاد في رواية : فأقول سحقاً لمن بدّل بعدي.

وفيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي، أو قال : من أمتي، فيحلون عن الحوض، فأقول : يارب : أصحابي، فيقول : إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى.

وفي «مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه : إني على الحوض أنظر من يرد عليَّ منكم، فوالله ليتقطعنَّ دوني رجال، فلأقولنَّ : أي رب ! مني ومن أمتي ؟ فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. ما زالوا يرجعون على أعقابهم.

وفي حديث أسماء أختها، رضي الله عنها في «الصحيحين» وغيرهما : وسيؤخذ

ناس دونى؛ فأقول : يا رب ! منى ومن أمتى. وفى رواية فأقول : أصحابى، فيقال هى شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم.
وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها فى «مسلم» : قال رسول الله ﷺ : إنى لكم فرط على الحوض؛ فإياى، ليأتينَّ أحدكم فيذب عنى كما يذب البعير الضال؛ فأقول فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك؛ فأقول : سحقاً.

وقد تقدم أن أهل البدع والفساد والظلم والارتداد لا يردون الحوض، ولا يشربون منه. ولا ريب أن كثيراً من الأعراب، ومن بنى حنيفة، ومن بنى تميم؛ ممن كان قد أسلم ووفد على النبى ﷺ قد ارتد لما توفى النبى ﷺ، فقاتلهم الصدِّيق الأعظم، فأمر خالد بن الوليد فأنكا فيهم، فمنهم من قتل، ومنهم من حرق، ومنهم من رجع إلى الإسلام، فالحديث من أعلام النبوة. وبالله التوفيق.

الثامن والأربعون
(من خلق الخلق؟)

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله تباركَ وتعالى قال لى : إنَّ أمتك لا يزالون يتساءلون فيما بينهم، حتى يقولوا : هذا الله خلق الناس، فمنْ خلقَ اللهَ ؟

فضيلة الدكتور / نود شرح هذا الحديث شرحا وافيا ؟

نقول وبالله التوفيق: عن أنس) بن مالك رضى الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى قال لى) : فيكون حديثاً قدسياً لنسبته إلى الحضرة الإلهية (إن أمتك) يا محمد المجيبين لك؛ المتبعين لما جئت به من الدين القويم، والهدى المستقيم (لا يزالون) أى لا ينفكون ولا يبرحون (يتساءلون فيما بينهم) عن غوامض المسائل، ودقائقها، وحقائقها، من صحيحها وباطلها، وقويمها وعاطلها (حتى) يتوصوا بذلك؛ إلى أن يسألوا عن المسائل المستحيلة فى نفسها، بأن (يقولوا : هذا الله) جل شأنه وتعالى سلطانه الإشارة إلى المستحضر فى الذهن المعلوم؛ للسائل والمسؤول، أى هذاالله قدعرفناه، وهو الذى خلق الأشياء؛ ولهذا قال (خلق الناس) وسائر المخلوقات؛ من العالم العلوى والسفلى (فمن خلق الله ؟) تعالى وتنزه عن ذلك علواً كبيراً، فإنه القديم بالذات والصفات، وإنما يصدر مثل هذا السؤال من جاهل بالواجب والجائز والمستحيل، فقلبه به مرض الجهل الذى لا شفاء له منه، إلا بالسؤال والتعلم، فإن القلوب ثلاثة : صحيح سليم، ومريض سقيم، وميت رميم. فالسليم : هو الذى لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال جل شأنه : (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وهو الذى سلم من الشهوات والشبهات، فليس لله فيه شريك بوجهٍ ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ومحبةً وتوكلاً وإنابة وإخباتاً وخشية وتفويضاً ورجاء. قد أخلص عمله لله، فإن أحب فلله، وإن أبغض ففى الله، وإن أعطى فلله، وإن منع فلله، ولا يسلم السلامة الأبدية، ويحيا الحياة السرمدية، حتى يسلم من الانقياد والانفعال لكل من عدا رسول الله ﷺ. فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الاقتداء به، وحده دون غيره، فى الأقوال والأفعال والعقائد، فيكون الحاكم عليه فى ذلك كله دِقّه وجلّه ما جاء به الرسول ﷺ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل، كما قال تعالى : (لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) أى لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر، ولهذا قال بعض السلف : ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان : لمَ ؟ وكيف ؟ أى لم فعلت ؟ وكيف فعلت ؟

فالأول : سؤال عن علة الشيء وباعثه وداعيه من دفع مكروه، أوجلب محبوب، أم

الباعث على ذلك القيام بحق العبودية، وطلب التقرب إلى الرب سبحانه، وابتغاء الوسيلة إليه ؟ ومحل هذا السؤال : أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك ؟.

والثانى : سؤال عن متابعة الرسول فى ذلك التعبد، أى هل كان ذلك العمل مما شرعته على لسان رسولى ؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه ؟ فالأول سؤال عن الإخلاص، والثانى عن المتابعة، فلا يقبل الله عملاً إلا بهما، فمتى أخلص العمل، وحقق المتابعة، كان قلبه سليماً، وسيره قويماً.

وضد هذا **القلب الميت** الذى لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره؛ وبما يحبه الله ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته وإرادته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، لعدم مبالاته إذا فاز بشهواته وحظوظه كيفما ما اتفق؛ رضى ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله؛ حباً وخوفاً، ورضا وسخطاً وتعظيماً وذلاً، فهو إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وكذلك منعه وإعطاؤه، وتقريبه وإقصاؤه، فهواه أثر عنده من رضى مولاه، فهو إنما يفكر فى تحصيل أغراضه، ولو كان فيها هلاكه مع أمراضه، لأن قلبه بحب الدنيا والأمور الدنيوية مخمور، ولبه باقتناص العاجل دون الآجل مغمور، فلسان حاله يقول : برّة منقودة، ولا درّة مفقودة، فإذا نادى به داعى الله ورسوله والدار الآخرة؛ فمن مكان بعيد، فلا يستمع للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، فالدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يقربه ويقصيه، فهو مع الدنيا كما قيل :

عدو لمن عادت وسلم لأهلها ومن قرّبت ليلى أحب وقرّبا

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سم.

والقلب الثالث : قلب له حياة وبه علة، فله مادتان؛ يمد بهذه مرة وبهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله والإيمان به؛ والإخلاص له والتوكل عليه؛ ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات؛ وإيثارها والحرص على تحصيلها؛ والحسد والكبر والعجب وحب العلوّ فى الأرض بالرئاسة؛ ما هو مادة هلاكه وعطبه، فهو ممتحن من داعيين؛ داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العاجلة، فالقلب السليم ليس بينه وبين قول الحق؛ وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك، تام الانقياد وأقول له، والقلب الميت القاسى لا ينقاد له ولا يقبله، والقلب المريض إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسى، وإن غالبت عليه صحته التحق بالسليم، فما يلقيه الشيطان فى الأسماع والأذهان من الألفاظ، وفى القلوب من الشبه والشكوك والظنون والتخيلات الباطلة، فتنة لهذين القلبين، أعنى الميت، والمريض

السقيم، وقوة للقلب الحى السليم، لأنه يردُّ ذلك ويكرهه ويبغضه، ويعلم أن الحق فى خلافه، فيخبت للحق قلبه، ويطمئن وينقاد، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان من سوء الاعتقاد، فيزداد إيماناً بالحق محبة له، وكفر بالباطل وكراهة له، فهذا السائل لمثل هذه المسائل من ذوى القلبين، لأنه إما قلبه ميت رميم، أو مريض سقيم.

قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : قال رسول الله(تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصر عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها؛ نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين؛ قلب أسود مرٌ بادٍ كالكوز مجخّيا ؛ لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه: وقلب أبيض مشرق، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض). فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً، كعرض عيدان الحصر، وهى طاقاتها. **وقسم القلوب** عند عرضها عليها **إلى قسمين:** قلب إذا عرض عليه فتنة أشربها كما يشرب السفنج الماء، فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه، حتى يسود وينتكس؛ وهو معنى قوله : كالكوز مجخيّاً؛ أى مكبوباً منكوساً، فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران مترامیان إلى الهلاك : **أحدهما** اشتباه بالمعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، بل ربما استحكم فيه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً؛ والسنة بدعة، والبدعة سنة؛ والحق باطلاً، والباطل حقاً.

الثانى : تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول، والقيادة للهوى واتباعه له.

وقلب أبيض أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتن أنكرها وردّها، فازداد نوره وإشراقه وقوته.

والفتن التى تعرض على القلوب هى أسباب مرضها، وهى فتن الشهوات؛ ومحل الشبهات؛ **فالأولى** توجب فساد القصد والإرادة؛ وتثبط عن مكارم الأخلاق وحسن العبادة، **والثانية** توجب فساد العلم والاعتقاد؛ وتتعدى بعماها إلى غير المراد، وهذا السائل القليل الضليل من هذا القبيل.

وقد صح عن حذيفة أيضاً رضى الله عنه، أنه قال : **القلوب أربعة : قلب** أجرد فيه سراج مزهر، فذلك قلب المؤمن. **وقلب** أغلق فذلك قلب الكافر، **وقلب** منكوس. فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمى، وقلب تمده مادتان : مادةُ إيمان؛ ومادة نفاق، فهو لما غلب عليه منهما. فقوله : أجرد؛ أى متجرد عما سوى الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ؛ فقد تجرد وسلم مما سوى الحق، وفيه سراج يزهر، وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل، وشهوات الغيِّ،

وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان، وأشار **بالقلب** الأغلف؛ إلى قلب الكافر، لأنه داخل في غلافة وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما حكى سبحانه عن اليهود : (وقالوا قلوبنا غلف) وهو جمع أغلف كأقلف وقلف، وهي الأكنّة التي ضربها الله تعالى على قلوبهم عقوبة لهم على ردّ الحق، والتكبر عن قبوله، فهي أكنّة على القلوب، ووقر في الأسماع، وعميً في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون، في قوله تعالى : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد، وتجريد المتابعة، ولىَّ أصحابُها على أدبارهم نفوراً، وأشار بالقلب المنكوس وهو المكبوب، إلى قلب المنافق كما قال تعالى :(فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) ، أي أنكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة، وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه، والحق باطلاً ويعادي أهله، والله المستعان. وأشار **بالقلب الرابع** الذي له مادتنا، إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان، ولم يزهر فيه سراجه ليدفع شبهات الباطل، وشهوات الغيّ، كقلب هذا السائل، فإنه من عوام الأمة ورعاعها، لم يستبصر بنور المعرفة، ولا استضاء بشعاعها، بل فيه مادة من الإيمان؛ وهو كونه يشهد لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة، وإنه من أمته التابعين لظاهر شرعيته، وفيه مادة من خلافه، وهي ظلمات الجهل، وغيم الشبهات، وهوى الشهوات الذي أطفأ مصباح بصيرته، فلم يشعر بما يجب لله، وما يجوز عليه، ويستحيل في حقه، حتى سأل سؤاله المستحيل الذي لو أصر عليه بعد التعريف؛ استحل ماله ودمه، لردّته عن سواء السبيل.

فضيلة الدكتور/ما هو الحال إذا وسوس الشيطان للناس بذلك ؟

نقول: الرد على ذلك في النقاط التالية ؟

الأولى : حديث أنس هذا؛ أخرجه مسلم في صحيحه. وأخرجه البخاري أيضاً، ولفظه : عن أنس رضي الله عنه. قال : قال رسول الله ﷺ : لن يبرح الناس يسألون : هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله ؟

وفي «الصحيحين» وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال : هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل : آمنت بالله وفي لفظ آخر : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول : الله. فذكر مثله، وزاد : ورسله. وفي لفظ آخر : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك؛

فليستعذ بالله، ولينته.

وفى «مسلم» عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس يسألونكم عن العلم، حتى يقولوا : هذاالله خلقنا، فمن خلق الله ؟ قال وهو آخذ بيد رجل : فقال : صدق الله ورسوله، قد سألنى اثنان، وهذا الثالث، أو قال : قد سألنى واحد، وهذا الثانى. وفى لفظ : قال : قال لى رسول الله ﷺ : لا يزالون يسألونك ياأبا هريرة ! حتى يقولوا : هذا الله؛ فمن خلق الله ؟ قال: فبينا أنا فى المسجد، إذ جاءنى ناس من الأعراب، فقالوا : يا أبا هريرة ! هذا الله، فمن خلق الله ؟ قال : فأخذ حصىً بكفه، فرماهم به، ثم قال : قوموا؛ صدق خليلى ﷺ. وفى لفظ : ليسألنكم الناس عن كل شيء؛ حتى يقولوا : إن الله خلق كل شيء، فمن خلقه ؟ وفى رواية لأبى داود، والنسائى : فقولوا : (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم. وفى لفظ للنسائى : فليستعذ بالله منه ومن فتنته.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد جيد، وأبو يعلى، والبزار، عن عائشة رضى الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال : إن أحدكم يأتيه الشيطان. فيقول : من خلقك ؟ فيقول الله، فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم، فليقل : آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه. ورواه ابن أبى الدنيا فى «مكائد الشيطان» ولفظه : إن الشيطان يأتى أحدكم ... الحديث، ورواه الطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث خزيمة بن ثابت رضى الله عنه.

وفى «صحيح مسلم» عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ، فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحَدنا أن يتكلم به، قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم. قال : ذاك صريح الإيمان.

وأخرج أيضاً من حديث ابن مسعود رضى الله عنه، قال : سئل النبى ﷺ عن الوسوسة، فقال : تلك محض الإيمان.

وفى «الصحيح» أن أصحاب رسول اله ﷺ، قالوا : يا رسول الله ! إن أحدنا ليجد فى نفسه ما لأن يخرّ من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به، قال : الحمد لله الذى ردَّ كيده إلى الوسوسة.

وفى «سنن أبى داود» عن أبى زميل؛ سماك بن الوليد، قال : سألت ابن عباس رضى الله عنهما فقلت : ما شيء أجده فى صدرى ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به، قال : فقال لى : أشيء من شكٍّ ؟ قال : وضحك، قال : ما نجا من ذلك أحد، قال : حتى أنزل الله عز وجل : (فإن كنت فى شكٍّ مما أنزلنا غليك فاسأل الذين

يقرؤون الكتاب من قبلك، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننَّ من الممترين) قال : فقال لى : إذا وجدت فى نفسك شيئاً، فقل : هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

وفى «مسلم» من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه، أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبِّسها علىَّ، فقال رسول الله ﷺ : ذاك شيطان يقال له : خِنْزَبٌ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً، قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عنى. قوله : خنزب: هو بكسر الخاء المعجمة، وسكون النون، وفتح الزاى بعدها باء موحدة.

الثانية : إن كان هذا السؤال ونحوه من آدمى؛ فيقطع بالبرهان، وهو أن الله قديم أزلىّ، وهو دائم أبدىّ، فالحدوث مستحيل فى حقه جل وعلا، خلق الخلائق تفصيلاً وجملاً. وإن كان من إلقاء الشيطان فليقل ما تقدم، وليتفل عن يساره ثلاثاً، فإذا التجأ الإنسان إلى الملك الدَّيان فى دفع وساوس الشيطان، وما يلقيه فى وهم العبد من الشبهات والبهتان، فإنه جل شأنه وتعالى سلطانه، يمنع عبده الملتجئ إليه من عدوِّه المتسلط عليه، وقد قال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولوّنه والذين هم به مشركون) ، ومعنى استعذ بالله؛ امتنع به، واعتصم به، والجأ إليه. **ومن كلام العرب:** أطيب اللحم عوذه، أى الذى عاذ بالعظم واتصل به، فأمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن، لأن القرآن شفاء لما فى الصدور، ويذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوسواس والشبهات والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أثره فيها الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويجلى منه القلب، ليصادف الدواء محلاً خالياً فيتمكن منه، ويؤثر فيه. ولأن القرآن مادة الهدى والعلم والخير فى القلب، كما أن الماء مادة النبات، فالشيطان نار يحرق النبات، فكلما أحس بنبات الخير فى القلب سعى فى إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعذ بالله منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن، ولأن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير ويدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه، ويزيِّن له الكلام الباطل، والآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة التى فى زبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، والزبد الذى تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التى تعدل الحق بالباطل، والخطأ بالصواب، وقد تقاذفت بها أمواج الشبهات، ورانت عليها غيوم الخيالات، فمركبها القيل والقال، والشك والتشكيك، وكثرة الجدال. ليس لها حاصل من اليقين يعوِّل عليه، ولا معتقد مطابق للحق يرجع إليه. يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً،

فقد اتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً، وقالوا – من عند أنفسهم، مما ألقاه الشيطان فى قلوبهم - : منكراً من القول وزوراً، فهم فى شكّهم يعمهون، وفى حيرتهم يتكمهون، قد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على قلوبهم من الشبهات والشهوات، فهم إليه يتحاكمون. قد فارقوا الدليل، واتبعوا من أضلهم عن سواء السبيل، وقد قعد الشيطان للإنسان كل مقعد، ورصده كل مرصد، وألقى فى وهمه الشبهات، وأطفأ نور بصيرته بدخان الشهوات والتخيّلات، فلا رادّ لشهوته، ولا كاشف لشبهته، إلا بذكر الله وصدق الالتجاء إليه، والاستعاذة به والتوكل عليه، فإنه جل شأنه يدبر أمر الممالك، ويسلم من المخاوف والمهالك، ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيى، ويقضى ويمضى، ويعزُّ ويذلُّ، ويقلّب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويغيّر الدول؛ فيذهب بدولة ويأتى بأخرى، ورسل الملائكة ما بين صاعد بالأمر ونازل به. أوامره متعاقبة، وآياته نافذة، فما شاء كان كما شاء، فى الوقت الذى يشاء، على الوجه الذى يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافد فى السموات وأقطارها، وفى الأرض وما عليها وما تحتها، وفى البحار والجوّ وسائر أجزاء العالم وذرّاته، يقلبها ويصرفها كيف يشاء، ويحدث فيها ما يشاء. قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وحكمة. قد وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه، ولا تشتبه ببعضها، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها، على تفنّن حاجاتها، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحّين. وأحاط بصره بكل المرئيات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، فى الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر لديه علانية، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل. شملت قدرته كل ممكن، ووسعت رحمته كل شيء، وسبغت نعمته على كل حى، يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن، وهذه شئون يبديها لا يبتديها، يفرج هماً، ويكشف غمّاً، ويجبر كسيراً، ويغنى فقيراً ويعلم جاهلاً، ويهدى ضالاً، ويرشد حيراناً، ويغيث لهفاناً، ويرد غائباً، ويقبل تائباً، ويستر عورةً، ويؤمن رَوْعة، لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل. حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. يمينه ملأى وكلتا يديه يمين، لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه، وقدره، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، لا تضره الذنوب، ولا تنفعه الطاعات، لو

أن الأشجار من حين وجدت إلى انقضاء الدنيا أقلام، والبحور وأضعاف أضعافها مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد، لفنيت الأقلام ونفد المداد، ولم تنفد كلمات الله، وكيف تفنى كلماته وهى لا بداية لها ولا نهاية، فهو الأول الذى ليس قبله شيء، والآخر الذى ليس بعده شيء، والظاهر الذى ليس فوقه شيء، والباطن الذى ليس دونه شيء. أحق من ذكر، وأولى من شكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأعفا من قدر، وأكرم من قصد، وأنصف من حكم، وأعدل من انتقم. هو الملك لا شريك له، والفرد فلا ندّ له، والغنى لا ظهير له، والصمد فلا ولد له ولا صاحبة. كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل فضل منقطع إلا فضله، لن يطاع إلا بإذنه وفضله، ولن يعصى إلا بعلمه وعدله، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حال دون النفوس؛ وأخذ بالنواصى. إذا أراد شيئاً إنما يقول له : كن فيكون. حارت العقول فى قدرته، وأذعنت الألباب لحكمته، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فأين تقع الأوهام والظنون ؟ أم كيف تشرف البصيرة على عموم قدرته؛ وإرادته وحكمته وعلمه، وهو الخالق، وهى المخلوقة الأسيرة ؟ فلا سلامة لمن لا يسلم، ولا فوز ولا فلاح لمن لا يذعن؛ وينقاد لأوامر الملك الجواد، فنسأله الهداية والمعونة، والكفاية والمؤونة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الثالثة : فى الحديث دليل على كراهة كثرة السؤال عن مثل هذه المسائل.

ففى «مسند الإمام أحمد» و «سنن أبى داود» بإسناد حسن، عن معاوية رضى الله عنه؛ نهى رسول الله ﷺ عن الأغلوطات. ومثله قول ابن مسعود رضى الله عنه؛ وأنذرتكم صعاب المنطق.

قال السيوطى فى «الدر» : الأغلوطات والغلوطات – بفتح الهمزة – المسائل التى يغالط بها العلماء ليزلوا، فيهيج بذلك شر وفتنة وفى «الصحيحين» وغيرهما، من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهاتٍ، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال. قيل المراد بكثرة السؤال عن المشكلات والمعضلات من المسائل الكلامية، والأقيسة الجدلية، لما فى ذلك من التنطع والقول بالظن، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ. وقد قال تعالى :(لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) لكن خصوا هذه الآية بزمن نزول الوحى، ويشير إليه حديث : أعظم الناس جرماً عند الله من سأل عن شيء لم يحرم؛ فحرم من أجل مسألته.

وأخرج أبو داود من حديث بريدة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال : إن

من البيان سحراً، وإن من العلم جهلاً. قال الحافظ ابن رجب : فسر صعصعة بن صوحان قوله: إن من العلم جهلاً؛ أن يتكلف العالم إلى علمه مالا يعلم، فيجهله ذلك. قال ابن رجب : ويفسر أيضاً بأن العلم الذى يضر ولا ينفع؛ جهل، لأن الجهل به؛ خير من العلم به، فإذا كان الجهل به خيراً منه؛ فهو شر من الجهل، وهذا كالسحر والعلوم المضرَّة فى الدين.

وفى «السنن» حديث مرفوع : ما ضل قوم بعد هدى؛ إلا أوتو الجدل، ثم قرأ : (ما ضربوه لك إلا جدلاً، بل هم قوم خصمون).

وقد قال بعض السلف : إذا أراد الله بعبدٍ خيراً؛ فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شراً أغلق عليه باب العمل، وفتح له باب الجدل.

وقال الإمام مالك : أدركت أهل هذه البلدة؛ وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذى فيه الناس اليوم، يريد المسائل، وكان يكره الجواب فى كثرة المسائل ويقول : قال الله تعالى : (ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى) فلم يأته فى ذلك بجواب، وقال المراء فى العلم يقسى القلب، ويورث الضغن. قال الحافظ ابن رجب : وهذا سبيل الإمام أحمد؛ قال : وقد ورد النهى عن كثرة المسائل، وعن أغلوطات المسائل

وفى «أعلام الموقعين» ، ذكروا المسائل عند معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما. فقال : أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن عضل المسائل ؟

وروى ابن أبى خيثمة عن سهل بن سعد رضى الله عنه؛ قال : لعن رسول الله ﷺ المسائل وعابها.

وسئل الإمام مالك عن قول رسول الله ﷺ : أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال؛ فقال : أما كثرة السؤال فلا أدرى، أهو ما أنتم فيه فما أنهاكم عنه من كثرة المسائل ؟ فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، وقال ﷺ : ذرونى ما تركتكم، فإنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم.

وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما؛ ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة؛ حتى قبض ﷺ، كلهن فى القرآن : (يسألونك عن المحيض) (يسألونك عن الشهر الحرام) (يسألونك عن اليتامى) ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم. قال أبو عمر بن عبد البر : ليس فى الحديث من الثلاث عشرة مسألة إلا ثلاث. قال ابن القيم : مراد ابن عباس رضى الله عنهما، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة، المسائل التى حكاها الله فى القرآن عنهم، وإلا فالمسائل التى سألوه عنها، وبين لهم أحكامها بالسنة، لا تكاد تحصى، ولكن إنما كانوا يسألون عن الواقعات، ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات، والأغلوطات، وعضل المسائل، ولم يكونوا يشتغلون

بتفريغ المسائل، وتوليدها، بل كانت هممهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم به، فإذا وقع بهم أمر سألوا عنه فأجابهم.

نقول: والمذموم من كثرة المسائل إنما يراد السؤال عن الكلام الباطل، والآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة التى هى زبالة الأذهان، ونحاتة الأفكار، لا عن المسائل الشرعية بأدلتها المرضية. ويدل على هذا كلام أئمة الدين من المتقدمين والمتأخرين، ولهذا قال الإمام مالك لابن وهب وهو ينكر كثرة المسائل والجواب عنها : يا عبد الله ! ما علمته فقل به، ودُل عليه، ومالم تعلم فاسكت، وإياك أن تتقلد الناس قلادة سوء.

وقد روى ابن عبد البر بسنده إلى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، عن أبيه رضى الله عنه، قال :

دينُ النبى محمد آثار	نعم المطيّة للفتى الأخبار
لا تخدعنّ عن الحديث وأهله	فالرأى ليلٌ والحديث نهارُ
ولربما جهل الفتى طرف الهدى	والشمسُ طالعة لها أنوارُ

والله أعلم.

الرابعة : فيما ذكرنا من الأحاديث، وكذا نفس الحديث المشروح؛ دليل على ذم التفكر فى ذات الله تعالى. وقد ورد ذلك صريحاً، فأخرج الطبرانى فى «الأوسط» وابن عدى فى «الكامل» والبيهقى فى «شعب الإيمان» من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً : تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله. ورواه أبو الشيخ أيضاً.

وروى أبو نعيم فى «الحلية» من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً: تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله.

وروى أبو الشيخ فى كتاب «العظمة» عن ابن عباس أيضاً رضى الله عنهما، مرفوعاً : تفكروا فى كل شيء ولا تفكروا فى ذات الله، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك.

وأخرج أبو الشيخ أيضاً، عن ابى ذر رضى الله عنه، مرفوعاً : تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا.

قال ابن القيم فى كتابه «مفتاح دار السعادة» : سأل رجل أم الدرداء عن أبى الدرداء رضى الله عنهما بعد موته، عن عبادته، فقالت : كان نهاره أجمع فى بادية الفكر. وقال الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة. قال الفضيل : التفكر مرآة تريك

حسناتك وسيئاتك. وقيل لإبراهيم بن أدهم : إنك تطيل الفكرة، فقال : الفكرة مخ العقل. وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة فى نعم الله من أعظم العبادة. وقال بشر الحافى : لو فكر الناس فى عظمة الله ما عصوه.

والحاصل أن التفكر باب التذكر، والتذكر ثمرة التبصر، فالتبصرة : التعقل. والذكرى : التذكر، والفكر باب ذلك ومدخله؛ فإذا فكر تبصر؛ وإذا تبصر تذكر؛ فالتفكر والتذكر أصل الهدى والصلاح، وهما قطبا السعادة.

قال الحسن البصرى : مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر؛ وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت؛ فإذا لها أسماع وأبصار، فالتفكر طلب القلب مالم يكن يحصل من العلوم من أمر وهو حاصل منها، هذا حقيقته، فإنه لو لم يكن ثمَّ مراد يكون مورداً للفكر؛ استحال الفكر، لأن الفكر بغير متعلق متفكر فيه محال، وتلك المواد هى الأمور الحاصلة، ولو كان المطلوب بها حاصلاً عنده لم يتفكر فيه، فالمتفكر ينتقل من المقدمات والمبادئ التى عنده إلى المطلوب الذى يريده، فإذا ظفر به، وتحصّل له، تذكر به وأبصر مواقع الفعل والترك، وما ينبغى إيثاره، وما ينبغى اجتنابه، **فالتذكر** : هو مقصود التفكر وثمرته، فإذا تذكر، عاد بتذكره على تفكره فاستخرج به مالم يكن حاصلاً عنده، فهو لا يزال يكرر بتفكره على تذكره، وبتذكره على تفكره مادام عاقلاً، لأن العلم والإرادة لا يقفان به على حد، بل هو دائماً سائر بين العلم والإرادة. قال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) فإذا عرف معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى يتبصر بها من عمى القلب، ويتذكر بها من غفلته. وعلى كل حال، أحسن ما انفقت فيه الأنفاس؛ التفكر فى آيات الله، وعجائب صنعه، والانتقال منها إلى تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته(١) ، وبه التوفيق.

١- مستفاد من كتاب ثلاثيات مسند الإمام أحمد للعلامة السفارينى الحنبلى ١ /٥٥٨ طالمكتب الإسلامى.

التعريف بالمؤلف

١- هو /عبد الله عبد العليم محمد على فرج الصبان ٠

٢- من مواليد قرية دبيج فى ٢٢- ٣- ١٩٦٢م - مركز ديرب نجم محافظة الشرقية ٠ مصر ٠

٣- ينتمى إلى أسرة الصبان المشهورة بالعلم والأدب قديما وحديثا والمنتشرون فى ربوع مصر والمملكة العربية السعودية واليمن وسوريا وتونس والمغرب ٠

٤- الأول فى ترتيبه على زملائه فى مرحلة الإبتدائية ٠

٥- حول مساره التعليمى إلى الأزهر الشريف وكان ترتيبه الأول دائما على زملائه فى مراحل الدراسة فضلا عن نشاطه فى مجال الدعوة وهوفى سن مبكر جعله مثار إعجاب الناس فى بلده ومركز(ديرب نجم)على وجه الخصوص كما أنه كان رائدا لفصله منذ الصف الأول الابتدائى ورئيسا لاتحاد طلاب المدرسة وكذا كان الحال فى المعهدالأزهرى عندما غير مساره إلى أن تركه للدراسة فى الجامعة ٠

٦-اختار كلية أصول الدين من بين كليات الجامعة لما يهدف إليه من خدمة الدعوة ووجد أن الأمر لايتم إلا بمعرفة ما يحكم على الدين كله ألا وهو دراسة الحديث النبوى الشريف وعلومه حيث إن الأئمة جميعا دون استثناء هم من المحدثين ولا يتم أمر الدعوة إلا بمعرفة فكر صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم فتخصص فى الحديث والتفسير وكان ترتيبه الأول على كلية أصول الدين بالمنصورة عام ١٩٨٤ م – ١٩٨٥ م فى هذا التخصص٠

وكان من إعجاب أساتذته به فى الكلية أن لايبقى مع الطلاب بعد انتهاء المحاضرات بل يكون معهم فى مكاتبهم محاورا ومناقشا، وكانوا يزورونه فى بيته بل وقد يفاجأ بأن أحدهم قد سبق فزف بشرى نجاحه لأبويه فى المنزل قبل مجيئه من الكلية ، بل وفى الصيف يشتاقون لتلميذهم ومحاورهم فيأتون للقرية لزيارته مما كان أيضا مثار إعجاب أهل بلده وفرحهم بابن قريتهم النجيب .

٧-قام بأداء الواجب العسكرى ضابطا احتياطيا بسلاح الإشارة ولم يكمل المدة العسكرية نظرا لتعينه معيدا .

٨- تم تعينه معيدا بقسم الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع الزقازيق وكان استلام العمل فى ٦-٤- ١٩٨٧ م . بقسم الحديث الشريف وعلومه .

٩- فى شهر ١١-١٩٨٧ م حصل على السنة الأولى بالدراسات العليا .

١٠- فى شهر ٨- ١٩٨٨م حصل على السنة الثانية للدراسات العليا من كلية أصول الدين بالقاهرة .

١١- ناقش رسالة التخصص(الماجستير) فى (الجزء السادس من مسند أنس بن مالك من كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل (ضبط أحاديثه وتخريجها وبيان درجة إسناد كل منها والتعليق عليها عند الحاجة) وكان المشرف عليها هو الأستاذ الدكتور / عزت على عيد عطية وكيل كيلة أصول الدين بالقاهرة وكانت الناقشة فى مدرج الشيخ /محمد حسين الذهبى . ٢٢-٢-١٩٩٠ م

١٢-كان قرار لجنة المناقشة هو حصوله على درجة الماجستير بتقدير(ممتاز)
١٣- واعتمد قرار اللجنة واعتمدها مجلس الكلية فى ١٤-من شعبان ١٤١٠ هـ واعتمدها مجلس الجامعة فى ٥ من رمضان ١٤١٠ الموافق ١- من إبريل ١٩٩٠ م ٠وقد كتبت جريدة الأهرام فى شهر رمضان نفس العام مقالا على لسان الصحفى / أحمد إبراهيم البعثى مشيدة بالنتيجة التى توصل إليهاالباحث : عبد الله عبد العليم الصبان فى بحثه ٠

١٤- عين مدرسا مساعدا بقسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق فى ٦-٥- ١٩٩٠ م ٠

١٥- قام بالتسجيل للدكتوراة فى الحديث وعلومه متخذا موضوعا من الموضوعات المهمة ألا وهو (جهود الإمام ابن أبى حاتم فى السنة) أتمها فى عامين وقدمها للمناقشة ٠

١٦- أوذى واضطهد واضطر إلى الا ستقالةمن عمله بالجامعة ــ بسبب أعداء النجاح الذى كشف ألاعيبهم وتزويرهم فى أعمال الامتحانات ــ ولقوة شخصيته ،وحضوره الذى أعجب طلابه، مع احتضانه للطلبة المتفوقين ومدافعته عن الظلم الذى يقع على الطلبة على وجه العموم ،فأوقعوا الظلم به، وأجمعوا على ضره ، ورد رسالته بعد تأخيرها عامين من موعدها ظلما وعدوانا بعد أن ناقشهم وأفحمهم أكثر من خمس ساعات كاملة متحديا لهم بالإتيان بالكتب التى تثبت صدق وجدية بحثه ولكنه الكيد المبيت من الكلية والجامعة ــ وقتها ــ فردت الرسالة مما اضطره للاستقالة والتى قبلت بأسرع مما يتوقع حيث قدمت الاستقالة يوم ١٨-

١٢ – ١٩٩٤ م ووافق عليها السيد رئيس الجامعة بتاريخ ٢٢-١٢ – ١٩٩٤م ولذا تعد من أسرع الاستقالات فى العالم .

١٧- استقال وجلس فى بيته مؤثرا البعد عن شرهم وشررهم وقدم عدة موضوعات لدكتوراة جديدة وبعد عام تقريبا من تقديمه تمت الموافقة على أصعب الموضوعات المقدمة على أن يعتمد الموضوع بتاريخ تقديمه أى من عام سبق إمعانا فى التعجيز .

١٨- كان موضوع الرسالة الجديدة بعنوان:

(الموازنة بين الذهبى وابن حجرفى كتابة تراجم رواة الحديث ومنهجهما فى التصحيح والتضعيف) . بإشراف الأستاذ الدكتور/ عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة .

١٩- قدم الرسالة الجديدة للمناقشة بعد كتابة لها دامت خمس سنوات وستة أشهر حصل بها على درجة الدكتوراة فى الحديث وعلومه بتقدير(مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها مع الجامعات) وكان ذلك فى يوم الثلاثاء ٢٩ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ٢٩- ٨ -٢٠٠٠م بمدرج الشيخ الذهبى والذىناقش فيه الماجستير من قبل وردت فيه أيضا رسالته الأولى للدكتوراة – ووافق مجلس كلية أصول الدين بالقاهرة فى ٩ من جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ الموافق ٧ من سبتمبر ٢٠٠٠ م ومجلس الجامعة بتاريخ ٢٣ من جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ ٢١ من سبتمبر – ٢٠٠٠ م

٢٠- قدم أوراقه للعودة إلى الجامعة بدرجة مدرس بقسم الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق ونظرا لتفوقه وعدم وجود النظير له كانت الموافقة على عودته فى ٢- ٥ – ٢٠٠١ م

٢١- حصل على درجة أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه فى ٢٩ – ٦- ٢٠٠٥ م ٠ويعمل الآن رئيسا لقسم الحديث وعلومه بالكلية ٠

٢٢- مؤلفاته العلمية :

١- بيان كيف تستثمر الأوقات من حديث سيد السادات صلى الله عليه وسلم ٠ وقد طبع أكثر من ست طبعات نفذت جميعا والآن تعد الطبعة السابعة وهى منقحة ومزيدة ٠

٢- بدايات الأنوار فى مصطلح حديث المختار صلى الله عليه وسلم ٠وقد طبع مرتين وقد نفذت الطبعة وسوف تطرح طبعة جديدة قريبا ٠

٣- السيرة الذاتية لخير البرية صلى الله عليه وسلم طبع خمس مرات الجزء الأول ٠

٤- رواة الكتب الستة بين يدى أقلام العلماء قبل الحافظين الذهبى وابن حجر ٠ طبع مرتين ٠

٥- المختار من كلام المختار صلى الله عليه وسلم٠ وقد طبع أكثر من خمس مرات ٠

٦- السيرة الذاتية لخير البرية الجزء الثانى٠ وقد طبع أكثر من خمس مرات

٧- الخلاصة المفهمة لما فى كتاب التقدمة٠ طبع الطبعة الأولى ٠

٨- الانفتاح فى علوم الاصطلاح، طبع الطبعة الأولى .

٩- عبد الرحمن الرازى ومنهجه فى كتابه الجرح والتعديل، طبع خمس طبعات .

١١-الإمـــام الحـــافظ عبدالرحمن بن أبى حاتم حياته ومؤلفاته طبع الطبعة الأولى .

١٢- لمحات من حياة كامل الأوصاف صلى الله عليه وسلم، طبع الطبعة الأولى.

١٣- إلى محمود وخلود نفحات من أحاديث سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .طبع الطبعة الأولى .

١٤- التأسيس لعلوم أنفس نفيس صلى الله عليه وسلم . طبع الطبعة الأولى

تحت الطبع

١- منهج العلامة محمد بن على الصبان فى كتابه (إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين).

٢- ديوان (قصاصات الأوقات).

٣- ديوان (سهام) .

٤- ديوان (هيا بنا نرحل من هذا الوطن).

٥- ديوان (أيها الحق : أين أنت ؟).

فى مجال الدعوة إلى الله

١- محاضر ومناقش فى مجالات الدعوة والقضايا الوطنية فى مراكز الإعلام والمنتديات العامة .

٢- أذيع ويذاع له أحاديث فى التلفزيون العربى (القناة الرابعة) والإذاعة المصرية(إذاعة القرآن الكريم) وقناة المحور، وكان محاورا يقظا وعنيدا أمام(قناة المنار) فى قضية المهدى النتظر.

٣- له الحضور البارز فى الدعوة إلى الله على مستوى بلده ومحافظة الشرقية على وجه الخصوص حتى إنه ليسمى بـ (فارس الدعوة إلى الله) .

فهرست الموضوعات

فهرست المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم .**

٢- **آداب الشافعى ومناقبه** ، لابن أبى حاتم الرازى ، **تحقيق : الشيخ / عبد الغنى** عبد الخالق ، مكتبة التراث الاسلامى ، حلب ، سوريا .

٣- **أبو جعفر الطحاوى وأثره فى علم الحديث ، تأليف د/ عبد المجيد محمود ، ط** الهيئة العامة المصرية للكتاب صــ ١٩٧٥ .

٤- **أحوال الرجال** ، لأبى إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ٢٥٩ هــ ، تحقيق : صبحى البدرى السامرائى ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٥- **إحياء علوم الدين** ، للإمام أبى حامد الغزالى ٥٠٥ ، **تحقيق : د/ بدوى طبانه** ، ط عيسى البابى الحلبى .

٦- **إرشاد الفحول** ، للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى ت ١٢٥٥ ، **تحقيق** : أحمد عبد السلام ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هــ – ١٩٩٤م .

٧- **إرواء الغليل فى تخريج منار السبيل ، تأليف** / محمد ناصر الدين الألبانى ، ط المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ ، ١٩٧٩م .

٨- **أسد الغابة فى معرفة الصحابة** ، لعز الدين بن الأثير الجزرى ت ٦٣٠ ، ط دار إحياء التراث العربى ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

٩- **أسماء الصحابة الرواة** ، لأبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى الأندلسى ، تحقيق : سيد كسروى حسن ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ ، ١٩٩٢م .

١٠- **أصول الحديث وعلومه** ، د/ محمد عجاج الخطيب ، ط دار المنارة ، مكة ، جدة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٤ ، ١٩٩٤ .

١١- **أصول التخريج** ، د/ محمود الطحان ، ط دار الكتب السلفية ، القاهرة .

١٢- **أعلام الموقعين عن رب العالمين** ، شمس الدين أبى عبد الله بن محمد أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية ٧٥١ هـ ، ط دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية ، ١٤١٤ ، ١٩٩٣م .

١٣- **ألفية السيوطى على علم الحديث** ، تحقيق : أحمد شاكر ، ط دار الكتب العلمية .

١٤- **اقتضاء الصراط المستقيم** ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق : د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ .

١٥- **اهتمام المحدثين بنقد الحديث** ، د/ محمد لقمان السلفى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، ١٩٨٧ .

١٦- **الإجازة للمعدوم والمجهول** ، للخطيب البغدادى ، ط دار الكتب العلمية .

١٧- **الإحكام فى أصول الأحكام** ، لابن حزم الظاهرى، ط دار الكتب العلمية، بدون ذكر طبعه.

١٨- **الإحكام فى أصول الأحكام**، سيف الدين بن أبى الحسن على بن أبى على بن محمد الآمدى تحقيق : / إبراهيم العجوز ، ط دار الكتب العلمية .

١٩- **الأدب المفرد** ، للإمام البخارى ، ط دار الكتب العلمية .

٢٠- **الأحكام للإمام النووى** ، ط دار التراث العربى .

٢١- **الإشارة إلى وفيات الأعيان** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : إبراهيم صالح ، ط دار ابن الأثير، بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ ، ١٩٩١ .

٢٢- **الإغتباط بمعرفة من رمى بالختلاط** ، سبط بن العجمى ٨٤١ ، ط دار الكتاب العربى .

٢٣- **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٤- **الاستيعاب فى معرفة الأصحاب** ، للحافظ ابن عبد البر ، بهامش الإصابة .

٢٥- **الإصابة فى تمييز الصحابة** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتاب العربى .

٢٦- **الأعلاق النفسية** ، لابن رسته أبى على أحمد بن عمر بن رستة ، ط دار صادر ، بيروت.

٢٧- **الإكمال فى ذكر من له رواية فى مسند أحمد من الرجال ، لأبى المحاسن** شمس الدين محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى الشافعى ، تحقيق : د/ عبد المعطى قلعجى ، ط جامعة الدراسات الإسلامية ، باكستان .

٢٨- **الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى والأنساب** ، للأمير على بن هبة الله بن ماكولا ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٩- **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضى عياض بن موسى اليحصبى** ، ط دار التراث ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ .

- ب -

٣٠- **بدر الدين العينى وأثره فى علم الحديث** ، صالح يوسف معتوق ، ط دار البشائر الإسلامية
بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧م .

٣١- **بحوث فى تاريخ السنة المشرفة** ، للدكتور / أكرم ضياء العمرى ، ط دار الكتب العلمية .

٣٢- **بقية الألمعى فى تخريج الزيطى** ، جمال الدين أبى محمد عبد الله بن يوسف الحنفى الزيطى ، ط مكتبة الرياض الحديثة .

٣٣- **بلوغ الآمال فى ترتيب أحاديث ميزان الاعتدال** ، جمعه / أبى عبد الرحمن محمود الجزائرى ، ط دار المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ ، ١٩٩١ .

٣٤- **بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى** ، للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا السعاتى ، ط دار الشهاب ، القاهرة .

٣٥- **بيان خطأ البخارى فى تاريخه** ، للحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، مؤسسة الكتب الثقافية .

٣٦- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** ، للشوكانى ، ط دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة .

٣٧- **البداية والنهاية** ، **للحافظ ابن كثير** ، ط دار مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ .

٣٨- **البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف** ، لابن أبى حمزة الحسينى ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ .

- ت -

٣٩- **تأويل مختلف الحديث** ، للإمام / محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة " ٣٧٦ " ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٤٠- **تاريخ خليفة بن خياط ٢٤٠** ، أبى عمرو خليفة بن خياط ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

٤١- **تاريخ أصبهان** ، للحافظ أبى نعيم الأصبهانى ، تحقيق : السيد كسروى حسن ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ .

٤٢- **تاريخ بغداد** ، للحافظ الخطيب البغدادى ٤٦٣ ، ط مطبعة الخانجى ، القاهرة ، ودار الفكر للطباعة والنشر .

٤٣- **تاريخ أسماء الثقات** ، لابن شاهين ، ط دار الباز ، مكة المكرمة ، ودار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٤ .

٤٤- **تاريخ الثقات** ، للحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى ٢٦١ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٥ ، ١٩٨٤ .

٤٥- **تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى** ، تحقيق : د/ أحمد محمد نور سيف ، ط دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت .

٤٦- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير من الأعلام** ، للحافظ الذهبى ، ط دار الغد العربى ، ط الأولى ١٩٩٦ .

٤٧- **تاريخ أبى زرعة الدمشقى** ، للحافظ عبد الرحمن بن عمر الدمشقى ، ط مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

٤٨- **تاريخ الطبرى** ، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ٣١٠ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

٤٩- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : محمد على البجاوى ، ط المكتبة العلمية .

٥٠- **تحرير تقريب التهذيب** ، للدكتور/ بشار عواد وشعيب أرنؤط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الأولى ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .

٥١- **تراجم الرجال بين الجرح والتعديل** ، صالح اللحيدان ، ط دار طويق السعودية .

٥٢- **تحفة الأحوذى بشرح صحيح جامع الترمذى** ، للمباركفورى ١٣٥٣ ، ط دار الفكر .

٥٣- **تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين** ، للشيخ عبد الله الشرقاوى ، ط
المشهد الحسينى ، القاهرة .

٥٤- **تدريب الراوى** ، للحافظ السيوطى ، تحقيق : د/ عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ ، ١٩٦٦ .

٥٥- **تذكرة السامع والمتكلم** ، لبدر الدين بن جماعة الكنانى ٧٣٣ ، ط دار الكتب العلمية .

٥٦- **تذكر الحفاظ** ، للحافظ الذهبى ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٧- **تذهيب التهذيب** ، للحافظ الذهبى (مخطوط) .

٥٨- **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتاب العربى .

٥٩- **تسمية فقهاء الأمصار من الصحابة فمن بعدهم** ، للإمام النسائى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٠- **تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد للنسائى** ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٦١- **تصحيفات المحدثين** ، لأبى أحمد العسكرى ٣٨٢ ، تحقيق : د/ محمود الميرة ، ط الطبعة العربية الحديثة ، القاهرة .

٦٢- **تطهير الجنان واللسان** ، للحافظ أحمد ابن حجر الهيثمى ، تحقيق : دكتور / عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط مكتبة القاهرة ، لصاحبها على يوسف .

٦٣- **تفسير القرآن العظيم** ، لابن كثير ، دار إحياء الكتب العربية ، حلب .

٦٤- **تقريب التهذيب** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الأولى ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٦٥- **تقريب التهذيب** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : محمد عوامة ، ط دار الرشيد ، سوريا ، ط الرابعة ١٤١٢ ، ١٩٩٢ .

٦٦- **تغليق التعليق** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن القزقى ، ط المكتب الإسلامى ، بيروت ودار عمار ، عمان .

٦٧- **تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب** ، جمال الدين أبى حامد الصابونى ، ط دار الكتب العلمية .

٦٨- **تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير** ، للحافظ ابن حجر ، ط نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .

٦٩- **تلخيص المستدرك** ، للحافظ الذهبى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١١ ، ١٩٩٠ .

٧٠- **تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٥ ، ١٩٩٤ .

٧١- **تهذيب الكمال للحافظ المزى ٧٤٢** ، تحقيق : بشار عواد ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ .

٧٢- **تهذيب الأسماء واللغات** ، للحافظ النووى ٦٧٦ ، ط دار الكتب العلمية .

٧٣- **تهذيب مستمر الأوهام** ، لابن ماكولا ، تحقيق : سيد كسروى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

٧٤- **تهذيب الآثار** ، لأبى جعفر الطبرى ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٧٥- **توضيح الأفكار** ، ط دار إحياء التراث العربى ، للأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى ، الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ .

٧٦- **تمييز الطيب من الخبيث** ، لابن البديع الشيبانى ، ط مكتبة محمد على صبيح بميدان الأزهر ١٩٦٣ .

٧٧- **التاريخ ليحيى بن معين** ، تحقيق : أحمد محمد نور سيف ، ط جامعة الملك عبد العزيز الأولى ١٩٧٩ .

٧٨- **الترغيب والترهيب** ، للحافظ عبد القوى المنذرى ، ط دار الحديث بجوار إدارة الأزهر .

٧٩- **التاريخ الصغير للبخارى** ، ط دار المعرفة .

٨٠- **التاريخ الكبير** ، للإمام البخارى ، ط دار الباز ، مكة المكرمة .

٨١- **التخويف من النار** ، للحافظ ابن رجب الحنبلى ، ط مكتبة الإيمان عابدين ، القاهرة .

٨٢- **التصحيف وأثره** ، أسطيرى جمال ، ط دار طيبة .

٨٣- **التعريفات للشريف** ، محمد بن على الجرجانى ، دار الكتب العلمية ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

٨٤- **التعليق الغنى على الدارقطنى** ، لأبى الطيب محمد أبادى ، ط إحياء التراث العربى ، بيروت .

٨٥- **التدليس فى الحديث** ، إعداد : د/ مسفر بن عزم الله الدمينى ، ط الإمارات العربية المؤلف نفسه .

٨٦- **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد** ، للحافظ أبى بكر بن نقطة الحنبلى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ ، ١٩٨٨ .

٨٧- **التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح** ، للحافظ زين الدين العراقى ٨٠٦ ، تحقيق : محمد عبد الله شاهين ، دار الكتب العلمية الأولى ، ١٩٦٦ .

٨٨- **التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد** ، لأبى عمر بن عبد البر ، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ، ١٩٩٠ .

- ث -

٨٩- **الثقات ، لابن حبان البستى ٣٥٤** ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ ، حيدر أباد الدكن .

- جـ -

٩٠- **جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائد الكبير** ، للحافظ السيوطى ، جمعه ورتبه أحمد عبد الجواد ، وأحمد عباس صقر ، طبع على نفقة الدكتور / حسن عباس زكى .

٩١- **جامع العلوم والحكم ، للحافظ ابن رجب ، ط مؤسسة الرسالة ، تحقيق : شعيب أرنؤط** إبراهيم باجس ، الطبعة الثالثة ١٩٩١ .

٩٢- **جامع الأصول من أحاديث الرسول** ، لابن الأثير ، ط دار إحياء التراث العربى ، **الطبعة الأولى** ، ١٩٥٠ .

٩٣- **جامع بيان العلم وفضله** ، لابن عبد البر ٤٦٣ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٩٤- **جمهرة أنساب العرب ابن حزم الأندلسى ٤٥٦** ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

٩٥- **الجامع الصغير** ، للحافظ السيوطى ، ط مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

٩٦- **الجرح والتعديل** ، لابن أبى حاتم ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٩٧- **الجواهر والدرر** ، للحافظ السخاوى ، تحقيق : حامد عبد المجيد ، و د/ طه الزينى ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

- حـ -

٩٨- **حاشية الشنوانى على** ، مختصر ابن أبى جمرة ، ط دار الفكر .

٩٩- **حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة** ، للحافظ السيوطى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٨ ، ١٩٨٧ .

١٠٠- **حلية الأولياء** ، للحافظ أبى نعيم الأصفهانى ، ط دار الفكر ١٤١٦ ، ١٩٩٦ .

١٠١- **حياة الصحابة** ، لمحمد بن يوسف الكاندهلوى ، ط دار القلم ، دمشق ، حلب ، الأولى .

١٠٢- **حياة محمد** ، للدكتور / محمد حسين هيكل ، دار المعارف الخامسة عشر

١٠٣- **الحافظ ابن حجر العسقلانى أمير المؤمنين فى الحديث** ، تأليف الأستاذ / عبد الستار الشيخ ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ ، ط دار القلم ، دمشق .

- خـ -

١٠٤- **خلق أفعال العباد** ، للإمام البخارى ، ط مكتبة التراث الإسلامى ، عابدين ، القاهرة .

- د -

١٠٥- دراسات فى **الجرح والتعديل** ، دكتور / محمد ضياء الرحمن الأعظمى ، ط مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة الأولى ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

١٠٦- **دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث** ، للدكتور / امتياز أحمد ، تحقيق الدكتور / عبد المعطى أمين قلعجى الأولى ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

١٠٧- **الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة** ، للحافظ ابن حجر ، ليس به رقم الطبعة ولا اسم الدار .

١٠٨- **الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب** ، للإمام القاضى إبراهيم بن نور الدين المعروف فرحون الماكلى ١٩٩٧ ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١، ١٩٩٦.

- ذ -

١٠٩- **ذكر من يعتمد قوله فى الجرح والتعديل** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : الشيخ / عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب .

١١٠- **ذيل ميزان الاعتدال** ، للحافظ العراقى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٦ ، ١٩٩٥.

١١١- **ذيل تذكرة الحفاظ** ، لأبى المحاسن الحسينى ، ط دار الكتب العلمية .

١١٢- **ذيل طبقات الفقهاء والشافعين للعبادى** ، تحقيق : د/ أحمد عمر هاشم ، ط دار المكتبة الثقافية الدينية ، بالقاهرة ، ط ١٩٩٣ ، ١٤١٣ .

١١٣- **ذيل طبقات الحفاظ للذهبى** ، للحفاظ السيوطى ، دار الكتب العلمية .

١١٤- **ذيل الكاشف** ، لأبى زرعة العراقى ٨٢٦ هـ ، تحقيق : بوران الضناوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .

١١٥- **ذيل التقييد** ، للحافظ تقى الدين أبى الطيب محمد بن أحمد الفاسى المكى ، ٨٣٢ هـ ، ط دار الكتب العلمية ط الأولى ، ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

- ر -

١١٦- **رجال السند والهند** ، للقاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى ، ط دار الأنصار ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ .

١١٧- **رسالة أبى داود فى وصف السنن** ، تحقيق : صدقى محمد جميل العطار ، ط دار الفكر، ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

١١٨- **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** ، للعلامة ابن تيمية ، ط دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١١٩- **الرسالة** ، للإمام محمد بن إدريس الشافعى ٢٠٤ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط المكتبة العلمية .

١٢٠- **الرسالة المستطرفة** ، للعلامة محمد بن جعفر الكتانى ١٣٤٥ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

١٢١- **الرحلة فى طلب الحديث** ، للحافظ الخطيب البغدادى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٣ .

١٢٢- **الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل** ، لأبى الحسنات الكلنوى الهندى ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط الثالثة ١٩٨٧ .

- ز -

١٢٣- زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، ط المطبعة المصرية ، القاهرة .

١٢٤- **زيادات على المختلف والمؤتلف** ، للأصفهانى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢٥- **الزهد** ، للإمام أحمد بن حنبل ، ط مكتبة الإيمان ، الكيت كات .

- س -

١٢٦- **سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب** ، للشيخ / محمد أمين بغدادى الشهير بالسويدى ، ط دار القلم ، دمشق .

١٢٧- **سنن أبو داود** ، ط دار الفكر .

١٢٨- **سنن النسائى** ، ط دار الكتب العلمية .

١٢٩- **سنن ابن ماجة** ، ط المكتبة العلمية ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

١٣٠- **سنن الدرامى** ، ط دار الفكر .

١٣١- **سنن الدارقطنى** ، ط دار إحيار التراث العربى .

١٣٢- **السنن الكبرى للبيهقى** ، ط دار الفكر .

١٣٣- **السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى** ، للدكتور / مصطفى السباعى ، ط المكتب الإسلامى .

١٣٤- **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** ، للشيخ / محمد الغزالى ، ط دار الشروق ، ط الحادية عشر ١٩٩٦ مارس .

١٣٥- **السيرة النبوية** ، لابن هشام ، تحقيق : الدكتور / مصطفى السقا ، ط مكتبة المصطفى ، حلب .

- ش -

١٣٦- **شرح نخبة الفكر** ، للحافظ ابن حجر ، ط مكتبة الغزالى ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

١٣٧- **شذرات الذهب** ، لابن العماد الحنبلى ، ط دار الفكر .

١٣٨- **شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد** ، للشيخ / محمد السفارينى الحنبلى ، ط المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط ١٣٩٩ .

١٣٩- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، للقاضى عياض بن موسى اليحصبى ، ط دار الفكر ، ١٤١٥ ، ١٩٩٥.

- ص -

١٤٠- **صحيح البخارى بحاشية السندى** ، ط دار التراث العربى للطباعة والنشر.

١٤١- **صحيح مسلم** ، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار الكتاب المصرى.

١٤٢- **صحيح مسلم** ، بشرح النووى ، ط مكتبة أسامة الإسلامية .

١٤٣- **صحيح سنن الترمذى** ، محمد ناصر الدين الألبانى ،ط دار مكتبة التربية العربى لدول الخليج الأولى ١٩٨٣ .

١٤٤- **صفة الصفوة** ، لابن الجوزى ، ط دار المعرفة .

١٤٥- **الصواعق المحرقة** ، لابن حجر الهيثمى ، تحقيق : الدكتور / عبد الوهاب عبد اللطيف ط مكتبة ، القاهرة .

- ض -

١٤٦- **الضعفاء الصغير للبخارى** ، ط دار عالم الكتب الأولى ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

١٤٧- **الضعفاء الكبير** ، لأبى جعفر العقيلى ، ط دار الكتب العلمية الثانية ، ١٤١٨ ، ١٩٩٨ ، تحقيق : د/ عبد المعطى أمين قلعجى .

١٤٨- **الضعفاء والمتروكين** ، للحافظ النسائى ، ط دار الفكر الثانية ١٤٠٧ هـ ، ١٩٧٨م، تحقيق : كمال يوسف الحوت .

١٤٩- **الضعفاء والمتروكين** ، للحافظ الدارقطنى ، تحقيق : موفق بن عبد الله عبد القادر ، ١٩٨٤ ، ١٤٠٤ ، ط المعارف ، الرياض .

١٥٠- **الضعفاء والمتروكين** ، للحافظ ابن الجوزى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : أبو الفدا عبد الله القاضى .

١٥١- **الضعفاء** ، لأبى نعيم الأصبهانى ، تحقيق : فاروق حماده ، ط دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ١٤٠٥ ، ١٩٨٤ .

- ط -

١٥٢- **طبقات المحدثين بأصبهان** ، للحافظ أبى محمد عبد الله بن جعفر بن حيان المعروف بابن أبى الشيخ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤٠٩ ، ١٩٨٩ .

١٥٣- **طبقات المدلسين** ، للحافظ ابن حجر ، ط مكتبة الكليات الأزهرية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .

١٥٤- **طبقات الفقهاء الشافعين** ، لابن كثير ، تحقيق : الدكتور / أحمد عمر هاشم ، ط المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة .

١٥٥- **طرق تخريج حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، للأستاذ الدكتور / عبد المهدى ابن عبد القادر بن عبد الهادى ، ط دار الاعتصام .

١٥٦- **طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، لابن القيم ، ط دار الكتب العلمية .

١٥٧- **الطبقات الكبرى** ، **لابن سعد** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

١٥٨- **الطبقات الكبرى** ، للإمام الشعرانى ، ط محمد على صبيح .

١٥٩- **الطبقات** ، لخليفة بن خياط ، تحقيق : الدكتور / أكرم ضياء العمرى ، ط بغداد .

١٦٠- **الطبقات** ، للإمام النسائى ، تحقيق : نصر أبو العطايا ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٩٣ .

- ع -

١٦١- **علم التأريخ عند المسلمين ، تأليف** / فرانزروزنثال ، ترجمة : د/ صالح أحمد العلى ، ط مؤسسة الرسالة .

١٦٢- **علل الحديث** ، لابن أبى حاتم الرازى ، ط دار السلام ، حلب .

١٦٣- **علل الحديث ومعرفة الرجال** ، ط دار الوعى ، حلب ، للحافظ على بن المدينى .

١٦٤- **عمدة القارئ** ، شرح صحيح البخارى للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن احمد العينى .

١٦٥- **عون المعبود** ، شرح سنن أبى داود للعلامة أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى ط دار الفكر .

١٦٦- **العقد الثمين فى فتوح الهند** ، جمعه القاضى أبو المعالىأطهر المباركبورى ، ط دار الأنصار ، القاهرة .

١٦٧- **العواصم من القواصم** ، للقاضى أبى بكر بن العربى ، تحقيق : د/ عمار طالبى ، ط دار التراث العربى ، القاهرة .

- غ -

١٦٨- **غريب الحديث** ، لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .

١٦٩- **غوامض الأسماء المبهمة الواقعة فى متون الأحاديث المسندة ، لأبى** القاسم بن بشكوال تحقيق دكتور / عز الدين على السيد ، والدكتور / محمد كمال الدين ، ط عالم الكتب الأولى ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .

- ف -

١٧٠- **فتح البارى شرح صحيح البخارى** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الفكر .

١٧١- **فتح الباقى على ألفة العراقى** ، للشيخ : زكريا بن محمد الأنصارى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٧٢- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث** ، للحافظ العراقى ، ط دار الكتب السلفية

١٧٣- **فتح المغيث بشرح ألفة الحديث** ، للحافظ السخاوى ، حققه : عبد الرحمن محمد عثمان ، ط المكتبة السلفية ، بالمدينة المنورة .

١٧٤- **فتوح الشام** ، للواقدى ، ط المشهد الحسينى .

١٧٥- **فتوح البلدان** ، لأبى الحسن البلاذرى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٧٦- **الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى** ، للشيخ/ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتى ، ط دار الشهاب .

١٧٧- **الفوائد المجموعة للشوكانى** ، للإمام محمد بن على الشوكانى ، تحقيق : عبد الرحمن المعملى اليمانى ، ط دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

١٧٨- **الفتاوى الكبرى الفقهية** ، للعلامة ابن حجر الهيثمى ، ط المشهد الحسينى ، القاهرة .

- ق -

١٧٩- **قاعدة فى الجرح والتعديل** ، وقاعدة فى المؤرخين ، للحافظ تاج الدين عبد الوهاب ابن على السبكى ، ط مكتبة المطبوعات .

١٨٠- **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث** ، للشيخ / محمد جمال الدين القاسمى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٨١- **قواعد علوم الحديث** ، للشيخ/ ظفر أحمد العثمانى التهانوى ، **تحقيق** : عبد الفتاح أبو غدة ، ط مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الثالثة ١٩٧٢ ، ١٣٩٢

١٨٢- **القاموس المحيط** ، للعلامة مجد الدين الفيروز أبادى ، ط دار إحياء التراث الأولى ١٩٩١ .

١٨٣- **القول المسدد فى الذب** ، عن مسند أحمد للحافظ ابن حجر ، **تحقيق** : عبد الله درويش ، اليمامة ، دمشق .

١٨٤- **القصاص والمذكرين** ، للعلامة / ابن الجوزى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٦ .

- ك -

١٨٥- **كشف الخفا ومزيل الإلباس** ، الشيخ / إسماعيل العجلونى ١١٦٢ هـ ، تحقيق : أحمد القلاش ، ط دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية ، القاهرة .

١٨٦- **كشف الظنون عن أسامى الفنون** ، للعلامة حاجى خليفة ، ١٠٦٧ ، ط دار الفكر ١٤٠٢، ١٩٨٢ .

١٨٧- **كشف اللثام** ، للدكتور / عبد الموجود عبد اللطيف ، ط مكتبة الأزهر ، ط الأولى ، ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

١٨٨- **الكامل فى ضعفاء الرجال** ، للحافظ ابن عدى ٣٦٥ ، ط دار الفكر الأولى ، ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

١٨٩- **الكاشف** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : الدكتور / عزت عطيه وموسى محمد على الموشى ط دار الكتب الحديثة الأولى ، ١٣٩٢ ، ١٩٧٢ .

١٩٠- **الكاشف** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : محمد عوامه ، ط دار القبلة الأولى ، ١٤١٣ ، ١٩٩٢ .

١٩١- **الكفاية فى علم الرواية** ، للخطيب البغدادى ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤٠٩ ، ١٩٨٨ .

١٩٢- **الكواكب النيرات** ، لأبى البركات محمد بن أحمد بن يوسف الذهبى الشهير بابن الكيال ٩٢٩ ، تحقيق : حمدى عبد المجيد السلفى ، ط دار العلم بنها الأولى ١٤٠١ .

- ل -

١٩٣- **لب اللباب فى تحرير الأنساب** ، للحافظ السيوطى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١١، ١٩٩١ .

١٩٤- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ، لقتى الدين محمد بن فهد المكى ، ط بيروت .

١٩٥- **لسان العرب** ، لابن منظور ، ط دار المعارف ، القاهرة .

١٩٦- **لسان الميزان** ، للحافظ ابن حجر ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٦ ، ١٩٩٦ .

١٩٧- **اللآلئ المصنوعة** ، للسيوطى ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

١٩٨- **اللؤلؤ والمرجان** ، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ، ط دار الحديث ١٤٠٧ ، ١٩٨٦ .

- م -

١٩٩- **ما اتفق لفظه واختلف معناه** ، لأبى السعادات ابن الشجرى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

٢٠٠- **محاسن الاصطلاح** ، للعلامة البلقينى ، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب .

٢٠١- **مختصر نصيحة إلى أهل الحديث** ، للخطيب ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الأولى ١٩٩٣ .

٢٠٢- **مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى** ، تحقيق : محمد ناصر الألبانى ، ط المكتب الإسلامى .

٢٠٣- **مدارج السالكين** ، لابن القيم ، ط دار التراث العربى ، القاهرة .

٢٠٤- **مختصر فتح رب الأرباب** ، تأليف عباس بن محمد المدنى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠٥- **مسند عمر بن عبد العزيز** ، لابن الباغندى ، ط مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

٢٠٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط المكتب الإسلامى .

٢٠٧- **مشاهير علماء الأمصار** ، لابن حبان البستى ، ط دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٦، ١٩٩٥ .

٢٠٨- **مشارق الأنوار** ، للقاضى عياض ، ط المكتبة العتيقة ، تونس ودار التراث بالقاهرة .

٢٠٩- **مشكل الحديث وبيانه** ، للحافظ أبى بكر بن فورك ، تحقيق : موسى محمد على ، ط دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٢١٠- **مصباح الزجاجة على زوائد** ، ابن ماجه للشهاب البوصيرى ، تحقيق : د/ عزت عطيه ، ط دار الكتب الحديثة .

٢١١- **معجم البلدان** ، لياقوت الحموى ، ط دار صادر ، بيروت ، الأولى ١٩٩٥

٢١٢- **معجم شيوخ الذهبى** ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : د/ روحية عبد الرحمن السيوفى الأولى ، ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

٢١٣- **معجم محدثى الذهبى** ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : د/روحية عبد الرحمن السيوفى ، ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٢١٤- **معرفة علوم الحديث للحاكم** ، ط مكتبة المتنبى ، القاهرة .

٢١٥- **مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده** ، ط دار الكتب العلمية .

٢١٦- **مقدمة ابن الصلاح** ، تحقيق : د/ عائشة عبد الرحمن ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٧٤ .

٢١٧- **مقدمة ابن خلدون** ، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون ٨٠٨ ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .

٢١٨- **منهج كتابة التاريخ الإسلامى** ، تأليف / محمد بن صامل العليانى السلمى ، ط دار طيبة الأولى ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .

٢١٩- **مناسبات تراجم البخارى** ، للقاضى ابن جماعة ، ط دار الفكر .

٢٢٠- **موارد الخطيب البغدادى** ، للدكتور / أكرم ضياء العمرى ، ط دار طيبة الثانية ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .

٢٢١- **منهج النقد فى علوم الحديث** ، للدكتور/ نور الدين عتر ، ط ، دار الفكر المعاصر ، بيروت.

٢٢٢- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان** ، للحافظ أبى بكر الهيثمى ، ط دار الثقافى العربية ، دمشق الأولى ، ١٩٩٠ .

٢٢٣- **موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادى** ، ط دار الفكر ١٩٥٩ حيدر أباد الدكن.

٢٢٤- **ميزان الاعتدال للحافظ الذهبى** ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

٢٢٥- **من كلام أبى زكريا يحيى بن معين فى الرجال** ، رواية أبى خالد الدقاق ، تحقيق : أحمد محمد نور سيف ، ط دار المأمون للتراث .

٢٢٦- **المتكلمون فى الرجال للحافظ السخاوى** ، ط المطبوعات الإسلامية ، بحلب ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

٢٢٧- **المجروحين** ، لابن حبان البستى ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط دار الوعى ، حلب.

٢٢٨- **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس** ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلى ، ط دار المعرفة الأولى ، ١٤١٥ ، ١٩٩٤ .

٢٢٩- **المحصول فى علم أصول الفقه** ، للإمام الفخر الرازى ، ط جامعة الإمام / محمد ابن سعود الإسلامية ، تحقيق : د/ طه جابر فياض العلوانى .

٢٣٠- **المراسيل** ، لأبى داود ، ط دار الفكر ، ١٤١٥ ، ١٩٩٥ ، على شرح عون المعبود .

٢٣١- **المحدث الفاصل بين الراوى والواعى** ، للحافظ محمد بن خلاد الرامهرمزى ، تحقيق : د/ محمد عجاج الخطيب ، ط دار الفكر ، الثالثة ، ١٤٠٤ ، ١٩٨٤ .

٢٣٢- **المستصفى فى علم الأصول** ، للإمام أبى حامد الغزالى ٥٠٥ ، ط دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

٢٣٣- **المستدرك على الصحيحين للحاكم** ، ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤١١ ، ١٩٩٠ .

٢٣٤- **المسودة فى أصول الفقه** جمعها شهاب الدين أبو العباس الحنبلى الحرانى ، الدمشقى ، تحقيق : وتعليق : د/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار الكتاب العربى .

٢٣٥- **المستزاد من إتحاف الخبرة للبوصيرى** ، ط مؤسسة قرطبة الأولى ، ١٤١٧ ، ١٩٩٧ بهامش المطالب العالية .

٢٣٦- **المشتبه فى أسماء الرجال** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق : على محمد بجاوى ، ط الدار العلمية دلهى .

٢٣٧- **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً** ، لياقوت الحموى ، ط عالم الكتب .

٢٣٨- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، للحافظ ابن حجر ، ط مؤسسة قرطبة الأولى ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .

٢٣٩- **المعجم الصغير للطبرانى** ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ، ١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

٢٤٠- **المعرفة والتاريخ** ، ليعقوب بن سفيان ، الفسوى ، تحقيق : د/ أكرم ضياء العمرى ، ط مكتبة الدار المدينة المنورة .

٢٤١- **المعجم الوجيز فى اللغة العربية** ، ط مجمع اللغة العربية ، ١٤١٢ ، ١٩٩٢ .

٢٤٢- **المعجم المفصل فى الإملاء** ، إعداد الأستاذ / ناصف يمين ، ط دار الكتب العلمية الثالثة، ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .

٢٤٣- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى** ، أرندجان فنسنك ، ط دار الدعوة ، اسطنبول ١٩٨٦ .

٢٤٤- **المفرد العلم فى رسم القلم** ، تأليف / السيد أحمد الهاشمى ، ط دار الكتب العلمية .

٢٤٥- **المغنى فى ضعفاء الرجال للحافظ الذهبى** ، تحقيق : د/ نور الدين عتر .

٢٤٦- **المؤتلف والمختلف** لأبى الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسرانى ، ط دار الكتب العلمية الأولى ، ١٤١١ ، ١٩٩١ .

٢٤٧- **المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور** ، تصنيف أبى الحسن عبد الغفار بن إسماعيل ، تحقيق : د/ محمد أحمد عبد العزيز ، ط دار مكتبة العلمية .

٢٤٨- الموطأ ، **للإمام مالك** ، ط كتاب الشعب ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى .

٢٤٩- الموقظة **فى علم مصطلح الحديث** ، للحافظ الذهبى ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الثانية ، ١٤١٢ .

٢٥٠- **الموافقات فى أصول الشريعة** ، لأبى إسحاق الشاطبى ٧٩٠ ، ط دار الكتب العلمية .

٢٥١- **المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب أحمد** ، لأبى اليمن العليمى ٩٢٨ ، تحقيق : عادل نويهض ، ط عالم الكتب الأولى ، ١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

٢٥٢- **المنار النيف فى الصحيح والضعيف** ، لابن قيم الجوزية ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

- ن -

٢٥٣- **نصب الراية لأحاديث الهداية** ، للحافظ/ جمال الدين يوسف الزيلعى ، مكتبة الرياض الحديثة .

٢٥٤- **نقعة الصديان** فيمن فى صحبتهم نظر من الصحابة ، الإمام الحسن بن محمد الصاغانى دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٥٥- **نيل الأوطار** ، للإمام الشوكانى ، ط مكتبة شهاب الأزهر .

٢٥٦- **نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار** ، للشيخ/ سيد الشبلنجى ، مكتبة الجمهورية العربية ، الأزهر .

٢٥٧- **نهاية الاغتباط ممن رمى من الرواة بالاغتباط** ، لعلاء الدين على رضا ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٥٨- **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** ، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف تغرى بردى ، تحقيقه : د/ إبراهيم على طرخان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م .

٢٥٩- **النكت على كتاب ابن الصلاح** ، لابن حجر العسقلانى ، تحقيقه : مسعود عبد الحميد السعدنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٦٠- **النهاية فى الفتن والملاحم** ، للحافظ بن كثير الدمشقى ، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز ، ط دار التراث الإسلامى ، الأزهر .

-هـ -

٢٦١- **هدى السارى** ، للحافظ ابن حجر العسقلانى ، ط دار الفكر .

٢٦٢- **الهند فى عهد العباسيين** ، للقاضى أبو المعالى أطهر المباركبورى ، ط دار الأنصار، القاهرة .

- و -

٢٦٣- **الوضع فى الحديث** ، للدكتور / عمر حسن فلاته ، ط المؤلف .

- ى -

٢٦٤- **اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر** للعارف سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، مطبعة

المشهد الحسينى ، القاهرة .